

زوجة المشتاق
في
تاريخ يهود
العراق

تأليف
يوسف وزق الله
غنيمة

نزهة المشتاق في

تاريخ مهاباد الفراء

تأليف

يوسف يرق اليغثيمة



حقوق اعادة الطبع والترجمة محفوظة المؤلف



الطبعة الاولى

طبعت لحساب نهجانه الاعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد

مطبعة الفرات . بغداد ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

٢٥٠ ٢٨

مركز جامعة العاجد للثقافة والشراف

لجنة

رقم التسجيل ١٩٤٣

الطبعة الاولى



كلمة الناشر

ازف الى قراء العربية كتاب « نزلة المتن في تاريخ بروج العراق »
 مؤلفه البجائي يوسف افندي رزق الله غنيمه . ومن نظر الى هذا الكتاب
 يتحقق لديه ما بذله المؤلف من المساعي للبحث عن تاريخ هذه الجماعة
 وتحقيق احوالهم على تعاقب الايام . وقد اشبع مردياته تحييصاً شأن
 كل ما يكتبه . فلا حاجة الى تعريف هذا الكتاب واطرائه فهو يتكلم
 عن نفسه والغاية العلمية البحتة التي يرمي اليها . فنورد ان يقع عملنا هذا
 موقع الاستحسان عند القراء الكرام والله ولي التوفيق .

نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية ببغداد



اثار المؤلف المطبوعة

تجارة العراق

قديمًا وحديثاً

وهو كتاب يبحث عن تاريخ تجارة العراق منذ اقدم الازمنة
 الى اليوم يقع في ١٧٤ ص طبع في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢١
 وقد اثنت عليه اكبر المجلات والمصنف كالمطوف والمشرق والهلل
 والعرفان والكلية ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة السيدات والرجال
 وجريدة الاحوال وجريدة التجارة الاسكندرية واسات العرب
 المقدسية والعراق والموصل والاقوات العراقية كما اثني عليه غير واحد
 من العلماء والمستشرقين .

برديسان والبرديسانية : رسالة فلسفية تاريخية في بدعة ظهرت في
 القرن الثاني الميلادي بين النهرين وقد نالت استحسان العلماء المستشرقين
 تقع في ١٦ ص طبعت في بيروت سنة ١٩٢٠ .

نزلة المتن في تاريخ بروج العراق : وهو الكتاب الذي بين يديك
 ايها القارئ الكريم وهو الوحيد في بابها يقع في ٢٢٠ ص .

المقدمة	٥
التوراة والعراق	١
اليهود في عهد البابليين والآشوريين	٤١
يهود العراق في عهد الماذهين والفرس	٦٠
اللغة العبرية وآدابها في بابل	٨٣
يهود العراق في عهد العرب	٩٨
اليهود في عهد الفول والتتار	١٤٢
يهود العراق في حكم الأتراك	١٥٣
يهود اليوم في عهد الاحتلال والحكومة العربية العراقية	١٨٣
الزارات الدينية اليهودية في العراق	١٨٩
١ : قبر عزرا الكاتب او العزيز	١٨٩
٢ : مدفن النبي حزقيال او الكفل	١٩٦
٣ : مزار يوشع كوهين كادول	٢٠٣
٤ : كنيس الشيخ اسحق القاووني	٢٠٧
٥ : مزار ناحوم الاقوشي	٢١٣
زيادات وإيضاحات	٢١٦
تصحيح خطأ	٢٢٢

مقابل صفحة	
٣١	اور الكلدانيين وطن ابراهيم الخليل
٥٣	جماعة من تجار اليهود بلباسهم الخاص بهم
٨٣	الحاخام داود بابو بتيابه الرسمية من الحكومة التركية
١٥٣	عائلة يهودية
١٧٩	حضرة مناحيم افندي صالح دانيال
١٨٧	صاحب المعالي السراسون افندي
١٨٩	مرقد العزيز على نهر دجلة
٢٠٣	مرقد يوشع كوهين كادول



للعراق بين اقطار المسكونة ، نزلة جليلة وبين امصار المعمورة
ذكر طيب ، فاذا بحثنا عن مهد الحضارة ونشوتها في بابل وآثور
وجدنا ضالتنا المنشودة وفي وادي الرافدين انفس على عزها ومجدها وفي
السكوفة والبصرة وبغداد البلدان العربية الثلاث تتجلى بموكبها البهي
ومنظرها الخلاب .

اضحى العراق منذ الازمنة المتوغلة في القدم مهبطاً لشعوب عديدة
وعناصر مختلفة وبينها العنصر السامي الذي ساد في البلاد واسس الدول
وعمر المدن وسن الشرائع . ومن هذا العنصر نشأ الشعب العربي ، من
سلالة ابراهيم الخليل ، ابن بلاد الكلدان وريث الفراتين . ظعن
الخليل من اور الى حوران ونزل مصر وكان ما كان من امر اعتاقه
حتى ايام الجلاء . فجاء بهم نبوكداصر الى بابل وبقيوا فيها حتى اليوم .
ان تاريخ بني اسرائيل في العراق موضوع بحثنا في هذا الكتاب
واذ كان هذا الشعب قد عاش في هذا المصر قروناً مع اجيال مختلفة
من الناس ورأى دولاً نشأت وعظمت وتضاءلت ففي درس تاريخه

نجد شيئاً كثيراً من عمران الاقدمين وسياسة السالفين من الامم
التي ارتادت العراق وانتجعت طيب منابته .

لقد بذلنا ما في وسعنا من البحث والتنقيب وتصفح الكتب
والاسفار العديدة لنتمكن من معالجة تاريخ يهود العراق على اسلوب
علمي . واصدار كتابنا حافلاً باخبار هذه الجماعة القديمة في العراق
على توالي الازمان ومختلف القرون ، جامعاً بين ضلوعه مرويات
الاقدمين والمتأخرين عنها . فبلغنا الحمد لله معظم غايتنا . ومع ذلك
بقي شيء غير نزر لمن اراد التبسط في هذا الموضوع والتوسع فيه .

وعلى كل فكتابنا هذا « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق »
هو الاول في بابيه والفرد في جنسه ويقتضى مرجعاً للذين يعالجون
هذا الموضوع بعدنا .

توخينا في كتابة هذا التاريخ الحقيقة الناصعة وسردنا الاخبار
بعد تدقيق النظر فيها وتمحيصها واسنادها الى مراجعها اذ لا غاية لنا
من تأليفه الا خدمة العلم والتاريخ .

ولا يسعنا ان نضرب صفحاً عن شكر اصدقائنا الافاضل الذين

فتحوا لنا خزان كتبهم للتتقيب . ونذكر بنوع خاص مؤازرة حضرة
الاستاذ المفضل الاب انستاس الكرملي المحترم لنا اذ تطف ووقف
على مسودات طبعه وتصحيحها فتقدم الى حضرة جزيل شكر اننا
على هذا الاحسان .

وأخر أمنية لنا ان ينتقد رجال العلم هذا الكتاب ويظهروا
موضع الخلل منه تحيصاً للحقيقة التي هي قلة كل نفس تصبو الى العلم
الحقيقي فان العصمة لله والكمال له وحده .

المؤلف

بغداد في ٢ كانون الثاني ١٩٢٤

ي . ر . غنيم



التوراة والعراق

ان عدداً من الحوادث الخطيرة الوارد ذكرها في كتاب اليهود المقدس جرت في
بلاد بابل وآشور وبين النهرين فرأيت ان البحث عن البقاع والمدن التي كانت ميداناً
للك الحوادث لا يخلو من فائدة تاريخية وكتابية ولهذا اوردت في هذه العجالة
ملخص آراء العلماء واقوال الأثريين الكتابيين في هذا الباب ولا انكر انه لا يمكن
البت في بعض القضايا لتوغل اخبارها في القدم وتضارب علماء الكتاب في تعليلها
وتفسيرها ولكنني عولت على المرجح من الآراء او ما ظهر لي اصح من غيره واقرب
الى الحقيقة .

١ جنة عدن وأنهاها

لقد اختلف العلماء في تعيين موقع الجنة المنوّه بها في الفصل الثاني من كتاب
التكوين كما انهم اختلفوا في الانهر الاربعة . ولكن المرجح من الآراء ان جنة عدن
كانت في العراق ولم تقبل نظرية فريق من العلماء ومنهم دلمان (Dilmann) ورس
(Reus) الذين فرضوا ان اسم عدن اسم رمزي اخترعه العبريون ويريدون به السرور .
ان الذين فرضوا موقع عدن في العراق لم يتفقوا في تعيينه فالسر هنري رولنسن
ذهب الى ان العامة حرّفت كلمة كندوانس او كردونياس (وهو فطر مخصب كل الحصب
يظن بوجوده قرب بابل او يظن بأنه ملتصق بها) حتى افضى بها التحريف على
توالي القرون الى كلمة عدن . وذهب العلامة تيلي (Tiele) وونكر (Winckler)
الى انه كان في جنوبي بابل محاذياً لخليج فارس . اما الباحثة دلتش في كتابه Wo

(? lag das Paradies) فبرثني ان جنة عدن كانت في سهل بابل في القسم الشمالي منه وكان يسقيه الفرات . ويوجد نهر فيشون والبالا كوباس (١) (وهو البلوكان عينه الوارد ذكره في الرقم) . واما جيحون فهو نهر النيل عنده . وبرثني ان هذين النهرين كانا عقيقين قبل ان يتخذهما البابليون لآعمال الري في عهدهم .

ان الرأي الذي يرجحه العلماء وبحلونه محل القبول هو مذهب المعلم سايس الذي يجعل جنة عدن في موقع مدينة اريدو وهي أبوشهرين الحالية (٢) . ويعتقد ان النهر الكبير الذي ورد ذكره في كتاب العبريين هو خليج فارس وكان يصب فيه اربعة انهر وهي الفرات (٣) ودجلة و كرخا (Choaspes) والبالا كوباس هكذا ورد عن سايس في معلة الكتاب المقدس الا ان السر ولم يالكوكس في كتابه الانكليزي المعنون « من جنة عدن الى عبر الاردن » (٤) يذكر رأي المعلم سايس وفقاً لقول المعلمة في كل التفاصيل ما خلا البالا كوباس فيذكر عوضه

(١) يذهب رولنسن في كتاب الدول العظمى الى ان البالا كوباس هو نهر ابا معني ومبني .
(٢) أبوشهرين اطلال مدينة اريدو القديمة موقعها على بعد ١٢ ميلا في جنوب شرقي اطلال القبر وكانت مرصودة الاله انكي (ايا) وقد وصفها الرقم الأثرية أنها واقعة على ساحل البحر وهذا مما يدل على ان خليج فارس كان يتقدم في البر . وقد نقب فيها تيلر في منتصف القرن الماضي . وفي ربيع سنة ١٩١٨ نقب فيها الكابتن كامبل تومسن وفي السنة التالية نبش كنوزها الاستر هول (٣) Encyclopaedia Biblica By Cheyne and Black (٤) From the Garden of Eden to the Crossing of the Jordan.

نهر كارون . والسر ويلكوكس يذكر في الكتاب عينه ان الجنة المذكورة كانت للشمرين وفي هذه البقعة كانت شقة من الارض تعرف بعدن حسبها جاء مدونا في الرقم الأثرية فنسبت اليها جنة عدن .

اما الاكديون فكانت جنتهم في الارض التي بين عانة وهيت (١) حيث بقي هذا الجيل من الناس رجالهم عندهم وبنوهم السامي ويظن انهم كانوا من ارومة العرب والاسرائيليين وعليه كان فيشون يطلق على منخفضي الحباينة واني دبس وجيحون على نهر الهندية الحالي وعلى رأي ويلكوكس هو نهر شبر بعينه الوارد ذكره في سفر حزقيال ونهر اهو الوارد ذكره في سفر عزرا والبالا كوباس الذي ركه اسكندر الكبير وسمي نهر الكوفة في عهد العرب (٢) .

والنهر الثالث حداقل او دجلة وهو الساعد المعروف اليوم بنهر الصقلاوية وكان يصب في منخفض عقر قوف وتفيض المياه هناك وتصب في دجلة عند ابواب بغداد وما لا ريب فيه ان الصقلاوية كانت في غابر الزمان رأس دجلة وان سكان بابل نقلوا هذا الاسم الى بلاد آثور واطلقوه على نهرها . والنهر الرابع الفرات ولا حاجة الى الاسهاب في الكلام عنه .

مها كان رأي السر ويلكوكس فلا ترى مندوحة عن الكلام عن الرافيين وبنوهم وعقيقهما وبارنجيهما لما لحما من العلاقة بخصب هذه الديار . فانهما يذبحان

(١) هي مدينة ايس التي ذكرها هيرودوتس وفيها المغرة والكبريت وينابيع الفار

(٢) في كلام المؤلف نظر . فجعله كل هذه الانهر واحدة ليس بثبت .

من عين واحدة في ارمينية من اسفل جبل قرب معادن سوان عرفه الاقدمون باسم قاطس وسماه الأتراك « كلشن طاغ » ويسميه العرب اليوم جبل نمرود .

ومن العيون الكبيرة التي تصب في دجلة « اوج كول » . وعلى مسير يومين ونصف من آمد (ديار بكر) يصب فيه نهر عين دجلة . وعندما يمر بديار بكر يصب فيه « بلمان صو » والارزن اودجلة الشرقية ثم الزاب . الزاب الاكبر والزاب الاصغر في ولاية الموصل . وقد عرفا هذان النهران عند الآثوريين بزابو ايلو وزابوشو يالو وعلى بعد تسعة كيلومتر وانت منحدر من بغداد يصب فيه نهر ديبلي .

اما القرات فبعد ان ينبجس من مصدره المذكور سابقاً يصب فيه قسم من مياه بحيرة صغيرة « كولك » وتنحدر اليه مياه الامطار والتلعات من ضفتيه وينضم اليه نهر مراد وقبل ان يغادر الاصقاع الجبلية تصب فيه بعض الانهر التي تجتمع في قبة الخططة العظيمة التي يخطها في غربي سلسلة جبل طورس كالطوكمة صو (Melas) في أعالي جبل طورس ويصب فيه الساجور ونهر البليخ والتابور الذي يرد من طورعبدن .

لم يكن الرافدان في كل اعصر التاريخ على ما شاهدنا اليوم بل كانا يسيران في بدء عهدنا الجيولوجي نحو خمس درجات في سهل متموج ثانوي التكوين . كان خصباً على عدوات النهرين وقريباً من عيون المياه وقفراً في ما سوى ذلك . وكان طرفه الجنوبي بمثابة شاطئ البحر . وكان النهران يصبان في خليج متوحد وهما بعيدان الواحد عن صاحبه نحو عشرين فرسخاً وكان مصهما في خليج نار مارآنو (وهو خليج فارس

اليوم) يحده من الشرق آخر اسناد جبال ايران ومن الغرب هضاب الرمال التي تحد نجد بلاد العرب .

والقسم الاسفل من وادي الفراتين ارض حديثة التشوه بالنسبة الى غيرها مما يجاورها في الشمال وقد تكونت من تراكم غريل النهرين وسائر الانهر كعظيم وديلي وكرخا (Choaspes) وغيرها . وبما لامرية فيه ات في عهد هبوط الاقوام التي استعمرت هذه الديار كان خليج فارس يتقدم في البر نحو اربعين او خمسة واربعين فرسخاً عما هو عليه الان . (١)

٢ : الطوفان وجبل اراراط

ومن الحوادث العظيمة التي رواها ستمر التكوين واسهب فيها حادثة الطوفان . وقد جاءت هذه الرواية مدونة في الرقم البابلية (٢) وكان بطلها

(١) راجع Maspero : Histoire des Peuples anciens de L'Orient.

(٢) ان علواء كلكامش التي عثر عليها العلماء مدونة في الرقم البابلية تسرد حكاية الطوفان وتنسب خلاص البشر الى اوتنايشم وكان وطنه في شريباك وهي شروباك اكتشف الآثريون موقعها حينما كانوا ينقبون في اطلال قارة ١٩٠٢ - ١٩٠٣ . ولم ترد قصة الطوفان في علواء كلكامش وحدها بل ان ييزر (Peiser) نشر نصاً من نصوص اساطير بابل مع مصور البلاد في عهد الطوفان وفيه يشير الى جبل الفلك في شمالي بابل . وقد عثر مؤخرأ الاب شيل على رواية اخرى من روايات الطوفان في مجموعة صفائح في متحفة القسطنطينية .

سبشم (١) وليس نوحاً كما جاء عند الاكديين اجداد الساميين . قد تضاربت آراء العلماء في الطوفان وفي تعيين مقر الفلك بعد ان اُخربت المياه المعمورة واهلكت كل ذي نسمة . فهم من قال ان الطوفان كان عاماً شمل كل الارض وعززوا مذهبهم بالبراهين الثابتة والشواهد الساطعة (٢) ومنهم من ناقضهم وقال بان الطوفان كان محلياً في العراق فقط وهو من المشاهد الطبيعية التي تتكرر في هذا الاقليم فانه اشبه شيء يفرق يحدث من ابتناق اسداد دجلة والفرات وكثرة الامطار على حد ما رواه التاريخ وشاهدناه عياناً في هذه البلاد . وينتوّن رأيهم هذا على مبادئ طبيعية يقبلها العقل منها : ١ : من ابن تولدت المياه لتغطي الارض كلها حتى الجبال الشاخحة ٢ : ان ثقل المياه كان كافياً ليحدث اختلالاً في نظام جاذبية الافلاك العامة وان يفصل الارض عن هذا النظام ٣ : ان زالت تلك المياه وكيف تبخرت ٤ : ان نص سفر التكوين لا يدل دلالة صريحة على ان الطوفان كان عاماً شاملاً المعمورة كلها : خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تماظمت المياه فتغطت الجبال (تكوين ٧ : ٢٠) فهذا الارتفاع لم يكن كافياً ليعطي اي جبل كان من الجبال الشاخحة او غيرها مما يطلق عليها

(١) قد اختلف في ضبط اسم هذا البطل البابلي فقد قيل فيه سبشم واوتناشتم وبرنشتي وتسيناشتم (٢) ان المؤلف G : Frederick Wright في كتابه Scientific Confirmation of Old Testament History. خص بذكر الطوفان بحثاً مسهباً استغرق ٢٠٩ صفحات. فلورد البراهين الكثيرة والحجج الساطعة لاثبات طوفان نوح وشموله المعمورة كله .

اسم جبل في عرف جغرافي هذا الزمان . هذا اذا كان الذراع المصطلح عليها في سفر التكوين تقارب احدي الاذرع المتخذة اليوم وحدة للقياس . ليست الغاية من هذه المقدمة لنثبت رأياً او ننقض آخر في الطوفان فان ذلك لا يدخل في بحثنا وإنما تطرقنا اليه لعلاقته بعلوآء كلكامش البابلية ولسرده الآراء المختلفة في موقع جبال اراراط .

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط (تلك ٨ : ٤) لم ترد لفظة اراراط في هذه الفقرة وحدها من العهد القديم بل وردت في آيات كثيرة (١) وفصول متفرقة ولكنها تشير هناك الى صقع من الاصقاع لابل الى دولة من الدول . وقد جاءت في الرقم الآثورية اورارني وتعاقبت ولفظة نارني بمعنى واحد . واللفظة الاخيرة سامية الاصل اطلقت على بلاد اورارني عينا . وكانت هذه المملكة في متسع من الارض . وكانت الدولة الارمنية التي تألفت بعد ذلك داخل حدودها . ويظهر من الرقم المكتشفة في (وان) وغيرها من الاماكن ان حدود نارني كانت تمتد الى جنوبي ذلك الصقع حتى منشأ دجلة والفرات . اما اورارني الاصلية فكانت في الشمال في سهل نهر الرس (٢) (Araxes) ولم تتوحد اللفظتان وتانيا مترادفتين الا بين القرن التاسع والعاشر قبل المسيح لما استولى سكان اورارني (٣) على الجنوب

(١) راجع ٢ الملوك ١٩ : ١٧ واشعيا ٣٧ : ٣٨ وطوبيا ١ : ٢١ : وارميا ٥١ : ٢٧

(٢) نهر بارميدية بين موقان والبيلقان يصب في نهر الكر Cyrus . (٣) يجوز كتابتها اورارني واورارطي واواراطو .

والتخذوا ناري مركزاً لحكمهم وصولهم .

اما جبال اراراط التي هي مدار مختلفا فيها في علوآء كل كاشم جبل نسير او جبل فردو في بلاد نسير او نازير . وقد تضاربت الاراء وتشعبت الظنون في موقعه . فهم من قال بأنه في بلاد مادي في شرقي الزاب الاسفل وفي جنوبي بحر قزوين وقد ارتأى نيقولا الدمشقي (Nicaulus Damascenus) أنه جبل بارز وربما اشار الى جبل البرز او حارة برزاني . الا ان المشهور من الاراء ان جبال اراراط واقعة في دولة اراراط الموصوفة قبيل هذا . التي فيها جبل شاهق له قمتان . الواحدة منها ترتفع ١٧٠٠٠ قدم عن البحر والاخرى ٤٠٠٠ قدم دون الاولى في العلو . ومن المأثور الشائع ان جبال اراراط كانت في بلاد فردو او فردوشيا على ضفة دجلة اليسرى وكان مقر فلک نوح في جبل جودي في جنوب غربي (وان) وقد قالت العرب بهذا القول . وحدث رأي ظهر في عالم التفسير رأي وليم ويلكوكس . فانه نفى المأثورات المشهورة ولم يسلم بواحد منها . وقد ذهب الى ان جبال اراراط لم تكن الا جبال رمل او تلول تراب في ارض شنغار وقد اعتاد اهالي هذه البلاد تسميتها جبلا منذ الاعصر المتوغلة في القدم . وختم نظريته بقول بات لم يكن يجوز له القطع فيه اذ قال : ان اراراط لا يمكن ان يكون الجبل المعروف في بلاد ارمينية كما ان مدينة انيوبورك ليست مدينة يورك . (١)

(١) يروس الكاهن الكلداني ذكر حكاية الطوفان ودعا بطله كزيس تروس وعند المجوس ان الطوفان وصل الى حلوان العراق فقط .

٣ . مملكة نمرود

تصفح الفصل العاشر من التكوين تر في العدد العاشر منه ما يأتي : وكان ابتداء مملكته (نمرود) بابل وارك واكد وكلثة في ارض شنغار . يظهر من هذا النص ان اول مملكة عرفها التاريخ في ارض شنغار كانت كوشية النجار لان نمرود كان ابن كوش . ويظن ارباب البحث ان نمرود هو كل كاشم المذكور في العلوآء البابلية لانفاق اوصاف الرجلين في التوراة وفي اساطير البابليين . قد التف حول هذا الجبار السكتاني احاديث خوارق واختلات مخيلة الاقوام اقصيص طرقات . ولكن ماهي منزلته من التاريخ ؟ فان هذا الموضوع ملتقى الجدل والتخصص . والرأي الراجح عند علماء الكتاب انه رجل وهمي وليس مثل سائر اولاد كوش الذين يمثلون الشعوب . وعلى كل فان العبريين ارادوا به رجلاً غريباً . وكان يسهل على المفسرين فك هذه المعضلة الكتابية لو كان نمرود متصفاً بالجبروت والعتو فقط بل ان التوراة تجمع فيه بين هذه الصفات وبين الادارة وتأسيس المدن . ويتسع المأثور في هذا الباب ويذهب الى ان سلطته ابتدأت في بابل فامتدت الى ارك واكد وكلثة في ارض شنغار ثم ذهب الى آثور واسس نينوى ورحوبوت غير وكالج وراسن .

قد حاول رهب من العلماء (١) توحيد نمرود ومردوخ اله بابل . وقالوا ان الاول تصحيف عبري للاسم الثاني . اما الفرس فقالوا ان نمرود تأله وتحول الى برج الجبار وعليه قال بعض المحدثين انه بطل من ابطال النظام الشمسي وليس من

(١) وهم سايس (Sayce) وكريفل (Grivel) وويلهوسن (Wellhausen)

ملوك الاساطير . وقد جاء في روايات العرب انه اتى الخليل في النار (١) وجاء في ما تورات اليهود انه بنى برج بابل .
ندع هذا الجار سلام وندع الحكم في تاريخه وصحة وجوده او وهمه الى من هم اقدر منا في هذه الابحاث ولتعد الى جغرافية المدن المنسوبة اليه .

بابل : لا يعلم تاريخ بناء هذه المدينة . ومعنى اسمها باب الاله او باب الالهة (٢) كانت راحة ضفتي الفرات وكان يسمى الجانب الواحد منها دينتيرا (محل شجرة الحياة) والجانب الاخر كادنكبرا (باب الله) والاسم الاخر شمري او اكدي وهو ترجمة لفظة بابل السامية . (٣) ومن اسمائها (اي) او (ايكي) وهناك اسماء اخرى اطلقت في الرقيم على بابل مثل شوبانم ولينامو وشوانا . ويرتشي العلماء ان هذه الاسماء كلها كانت لازباط او احياء او مزارع ضمت الى بابل فاطلقت عليها اسمائها .

وقد عبرت هذه المدينة ادواراً خطيرة منذ تأسيسها حتى خرابها وتناوب عليها السعد والبؤس فكانت في اول نشأتها مدينة خاملة من مدن شومار ولم يرد ذكرها الا عرضاً في مطاوي تاريخ الملوك وغزواتهم . وقد كان فيها معبدان شهيران متوغل تاريخهما في القدم وهما اسا كيلا اي « معبد الراس الشامخ » والاخر ازيدا اي « معبد الحياة » . وقد كانا موضوع اهتمام الملوك ومطعم الغزاة والفاتحين .

(١) راجع الطبري (٢) باب ايلو او باب ايلينو (٣) ولم يفسر علماء اليهود اسم بابل بالبليلة الا بعد عهدها الاول اذ فعل « بلال » في اللغة العبرية بمعنى ببلل او خايط . وقد جاء في كتاب التلمود تفسيرها بهذا المعنى عن الزبان يوحنا .

ولم تصبح بابل عاصمة البلاد واطلق اسمها على المملكة كلها الا في عهد السلالة الامورية في نحو سنة الالف الثاني قبل المسيح . وقيل ان مؤسس هذه الدولة سموا بوم هو الذي اقام عرشه فيها وقيل حوربي الشهير . ولم يحدث هذا الامر عفواً ولم يرتق بابل الى مصاف الحواضر بدون سبب غير ان التاريخ ساكت عن هذه المسئلة او الاخرى بنا ان نقول ان معلوماتنا قاصرة في هذا الباب ولعل الاكتشافات المستقبلية توقفنا على ما نجهله اليوم .

وبين الملوك الذين شادوا فيها ابنة واسواراً وهياكل تذكر سمو لاياو وحفيده ابلسين وحوربي (١) وابنه شمشوالونا . وفي حوالي سنة ٨٩٢ قبل المسيح اجتاحتها نوكونتي نينيب ملك آثور وقتل سكانها وغنم كنوزاً كثيرة حملهامعه الى آثور وبنيها مقتنيات هيكل اسا كيلا العظيم . وفاق سنحاريب جده في تدميرها وتخريبها . فنقض هياكلها وهدم اسوارها وقصورها والتي اتقاضها في الهر فطمت مياهه واغرقت المدينة باجمها . الا ان اسرحدون استأنف عمارتها وشاد هياكلها على طرز فخيم حتى فاقت عظمها الاولى وتفنن كل من شمشو او كين وآسور بانينبال في تجميلها وزينها . وزاد نبو بولاصر بعدهما في تجميلها . وكان في بابل كدر آصر هو ذلك الرجل الذي ولدته العصور ليأخذ بها الى قمة العز والمجد ويخرجها من ايدي الرذاة طرفة من طرف الصناعة يضرب بها المثل ويتزعم بوصفها في كل قطر . وقد استعان

(١) قال العلماء الكتابيون بان حوربي هو امرا فل ملك شومار الذي ذكره الكتاب

بأسرى اليهود والآثوريين والمصريين والسوريين وغيرهم للقيام بهذه الأعمال وعاش
أهلها في رفد بالغ وبذخ عظيم وأشار إلى كل ذلك أنبياء بني إسرائيل في أسفارهم
فهذا اتبعوا ياغب بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين (١٢: ١٩) وفي الفصل
السابع والأربعين يقول عن أبنه بابل ناعمة ومترقفة وسيدة الممالك . وجاء في سفر
دانيال نقلاً عن لسان الملك نبوخذ نصر (١) (٤: ٣٠) ليست هذه بابل العظيمة
التي بنيتها لبنت الملك بقوة اقتداري ولجلال مجدي . وقد جاء مكتوباً على أنوبتين
أسطوانتي الشكل دخلتا في ملك المتحف البريطاني سنة ١٨٧٨ كل الأعمال التي قام بها
الملك نبوخذ نصر العظيم في عاصمة دولته (٢) . وهي جذيرة بأن يجعل بابل عروس
الفرات .

وقد اتخذ كورش بابل حاضرة بلاده الواسعة الأرجاء وجاء إليه الملوك والأمراء
من كل الأقطار وقدموا إليه الهدايا والجزية . ولم يتبدى المخطاط دار الكلدانيين وزوال
مجدها إلا حينما حاصرها الملك دارا هشتب (٥٢١ - ٤٨٥ ق م) وخرب
أسوارها . ويظهر أن بعض المبادئ بقيت عامرة ويقوم سدتها بخدمة المدينة حتى
سنة ٢٩ ق م .

فدأ ختلف المؤرخون القدماء في مساحة هذه المدينة كل اختلاف فقد جاء في كتاب
هيرودوتس (١: ١٧٨ و ١٧٩) أنها كانت مربعة وكان كل طرف منها ١٢٠ استادة

(١) هو نبوخذ نصر عهده (٢) E. W. Budge : Babylonian Life and

وعليه فقد كان محيطها ٤٨٠ استادة (٥٥ ميلاً وربع الميل) وكان يحيط بها خندق
يجري فيه ماء ووراءه سور عظيم ارتفاعه ٢٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً . وأما
ديودورس فقد نقل عن كتسياس أحد معاصري هيرودوتس أن محيطها كان ٣٦٠
استادة . وقد جاء في كتاب استرابون أنه كان ٣٨٥ وقال غيرهم غير ذلك .

ومن الغريب أن موقع أطلال هذه المدينة ودوارسها بقي عهداً من الزمان
مجهولاً فالتفت الأمر على السباح وذهبوا في بقاياها كل مذهب . بيد أن بنيامين
التطيلي وبيتر ودلا فاه وصفاهما وصفاً دقيقاً . وقد بدأ بالتنقيب في تلك الأطلال
الفنصل العام الانكليزي ريج Mr. Rich سنة ١٨١١ وبعد أربعين سنة ١٨٥١
حفر فيها لايرد وبحث عن دقائقها وبين تلك السنة وسنة ١٨٥٤ تعمق أوبرث في درس
بقايا المدينة العظيمة وذهبهم رولنسن ١٨٥٤ وهو مرز درسام من ١٨٢٨ إلى سنة
١٨٨١ إلا أن التنقيب المنظم والبحث المستقصى لم يبتدأ الا في سنة ١٨٩٩ وقد
قامت بهذا الأمر العلمي البعثة الألمانية برئاسة الدكتور كالدواي . وقد نشر هذا العلامة
الألماني سنة ١٩١٣ كتاباً ضمنه فذلك العمل وقد رجم هذا السفر الجليل إلى
الانكليزية سنة ١٩١٤ . فنقطتف من الترجمة فذلك موجزة غاية الإيجاز
فنقول :

وجد الدكتور كالدواي عرض أسوار بابل يتراوح بين ١٢ و ٢٢ متراً . ولم
يتجاوز في غيرها من المدن القديمة ٢ متراً . وإن ارتفاع نلول القرب يتراوح في
بابل بين ١٢ و ٢٤ متراً وأما سائر المدن المندثرة في العالم لا تعلوها هضبة يفوق

ارتفاعها سبعة أمتار . وقد كانت قائمة أعماله في ٢٦ آذار سنة ١٨٩٩ في الوجهة الشرقية من القصر الى شمالي باب اشتر . وفي ختام تلك السنة اكتشف على جادة ملاوفا الاله مردوخ وبلغ به الحفر الى زاوية الجنوب الشرقية من الحصن الرئيسي وفتح حفرة عريضة على طول الجهة الشمالية من ذلك الحصن . وفي سنة ١٩٠٠ حفر هيكل الاله نينماخ واكتشف موقع اساكيل في وسط تل عمران وداوم التنقيب حتى ظهرت له غرفة العرش في الوجهة الجنوبية الشرقية من الحصن الجنوبي واعالي جادة الطواف وفي سنة ١٩٠١ حفر على طول خط التل الممتدة بين القصر والصحن وتفقد البناء القائم في غربي القصر ونقب في هيكل تيب . وفي سنة ١٩٠٢ حفر باب اشتر وهيكلًا مجهولاً وقام بأعمال تغطية في بوريديا وفارا . وفي سنة ١٩٠٣ اكتشف في الزاوية الشمالية الشرقية من الحصن على بناء معقود بطن ايه من بقايا الجنان المعلقة وفي سنة ١٩٠٤ اتم بتلول خيرة والمسرح اليوناني وبدأ بكشف سور المدينة الداخلي وتقدم بالتنقيب الى الوجهة الغربية من الحصن الجنوبي والقسم الشرقي من قصر نبوبولصر وفي سنة ١٩٠٥ فتح قسماً من السور الداخلي واستطاع سور مرجون ومبدأ سور آراشتو . واهم ما وقف عليه سنة ١٩٠٦ سور الخندق المنسوب الى امكور بل والبناء الفارسي وما اكتشف عليه سنة ١٩٠٧ جداران حيال هيكل الاله نينماخ . وبدأ بالحفر في المركز . وكانت الاشتغال الرئيسية سنة ١٩٠٨ في المركز وافضي به التنقيب الى الوقوف على اقدم طبقة عرفت حتى اليوم وترتقي الى عهد ملوك بابل الاولين . وبدأ بفتح الصحن في

برج بابل ودام هذا العمل الثانوي حتى سنة ١٩١١ وعثر على سوري آراشتو ونبو ناهيد في الجادة الواقعة في غربي الصحن . وكانت أعماله سنة ١٩٠٩ في القصر اذ عثر النقبون على طبقة واسعة النطاق متصلة العمران ترتقي الى زمن نبوكدر اصر . واكتشفوا سنة ١٩١٠ على جسر الحجر الذي كان يوصل جانبي الفرات وهيكل اشتر اكدي المركز واكتشفوا في سني ١٩١١ و ١٩١٢ غير ذلك (١)

ان مدينة ارك المنسوب بناؤها الى نمرود هي اطلال الوركاء . (وركة) الموجودة حتى اليوم في العراق وكان البابليون يسمونها اوروك . وبقايا اطلالها تغطي بقعة من الارض تتجاوز مساحتها ٢٥٠٠ في ٣٠٠٠ يرد واقعة في بعد ٤٠ او ٤٥ ميلاً في شمال غربي الناصرية وقد اكتشف فيها لوفس في منتصف القرن الماضي هيكل الالهة نيني او اشتر الالهة الحب ويرتقي تاريخ هذا الهيكل الى ما قبل سنة ٢٤٠٠ ق م . (٢) وكانت في ايام عزها من المدن المقدسة عند البابليين وفيها هياكل قدعة ومدرسة للكهنة

وكانت ثالثة المدن اكد . ظن بعض العلماء ان موقعها كان في شمالي بابل حيث

The Excavations at Babylon by R. Koldewey trans. (١)
A. S. Johns page, VI - VII.

History and Antiquities of Mesopotamia R. C. (٢)
Thomson 67.

استقر الاكدوني من حجرهم من موطنهم وحاذت شهرة بعيدة في عهد الملك سرجون الاول حوالي سنة ٣٨٠٠ ق م وقد سافهم الى هذا المكان تشابه الاسمين (١) ويظن كذلك ان موقعها كان قرب سبارا او « ابوخبة » الحالية في ضواحي قرية المحمودية (٢) اما مدينة كلثة فقد فرض رولنسن انها تدور معتمداً على نص من التلموذ . وجعلها واحدة مع كلثو الوارد ذكرها في اشعيا (٩: ١٠) (٣) الا ان علماء الآثار رفضوا هذا التعليل . وقد ذهب غيره الى انها طيفون وآخر الاقوال انها زاريلاب المدون اسمها في الرقم الآرية ولا يعرف موقعها حتى اليوم (٤)

ان المدن التي جاء وصفها آنفاً كانت واقعة في ارض شنعار (تكون ١٠ : ١٠) فعلى اي بقعة يطلق الكتاب المقدس اسم شنعار يا ترى ؟ قد جاءت هذه اللفظة سبع مرات في العهد القديم في سفر التكوين ١٠ : ١٠ و ٢ : ١١ و ٩ : ١٤ وفي سفر يشوع ٢١ : ٧ وفي سفر اشعيا ١١ : ١١ وفي دانيال ١ : ٢ وفي زكريا ٥ : ١١ ووردت في رسائل تل العمارنة مرة واحدة . وقد ورد مراراً ذكر ملك سنكرة في الكتابات الآرية المصرية . فيرثني اد . ماير في كتابه المعلنون Aegyptica ان شنعار وسنكرة صوربان لفرجة « كرنياش » الاسم الذي كان يطلقه الكوشيون

Encyclopaedia Biblica. Cheyne and Black P. 31-32 (١)

King: Summer and Accad P 37 (٢)

Rawlinson : The Great Five Monarchies 1:20 (٣)

Encyclopaedia Biblica Cheyne and black P. 632 (٤)

على بابل . وان كان وجه لقبول هذا الرأي الا ان علماء الكتاب لا يسمون به تسلياً بآناً (١) وكان المفسرون يقولون بان لفظ « شنعار » مؤلف من حرفين عبريين « شنا » ومعناه اثنان و (آر) او (سهر) وان الحرف آر من اصل اشكوزي Seythie او كوني بابلي .

جاء في كتاب بلينيوس (Pliny) Ar Malchar آر ملكار وفي تأليف ابيدانس Abydenus آر ماكليس وكلاهما يعني نهر الملك (٢) فيكون مفاد شنعار « ارض الهرين » وقصارى القول ان المفسرين قد اختلفوا في تأويل شنعار ولم يتوصلوا الى تعيين موقعه تعييداً مدققاً وان غلب القول على انه ارض بابل .

بعد ان جاء الكتاب المقدس بذكر المدن الاربع التي في ارض شنعار انتقل الى بلاد اشور واورد أسماء اربع مدن أخرى ونسب بناءها الى اشور فقال « من تلك الارض خرج اشور وبني ينوى ورحوبوت عبر وكال . ورأسن بين ينوى وكال . هي المدينة الكبيرة تكون ١٠ : ١١ و ١٢ »

ينوى : اذا وقفت في مدينة الموصل على عدوة دجلة اليمنى ونظرت الى عدوة اليسرى تراءت لك اطلال « نبي يونس » « وقويشحيق » وفي آثار تلك المدينة الاشورية العظيمة بقايا البلدة التي ارسل اليها الرب يونا (يونس) ليخط في اهاها ويدعوهم الى التوبة . وكانت مسيرة ثلاثة ايام (يونا ٣ : ٣) وفيها اكثر من اثني عشرة دوة من الناس الذين لا يعرفون عنهم من شياهم (يونا ٤ : ١١) .

Encyclopaedi Biblica P 44 77 (١)

Rawlinson The Five Great Monarchies 1. 2 note 2 (٢)

لم يتفق المفسرون وعلماء الآثار على معنى نينوى ومصدر اشتقاق هذه الكلمة. فقال بعضهم أنها مؤلفة من حرفين معناهما « بيت الحوت » وارتأى آخرون أن هذا الحرف ليس بسامي بل أنه مشتق من نى - نا - آ وقد فسره دلتش « منوى الراحة » وقال فريق أن الحرف نينوى مشتق من نين يا . ومعناه « سيدنى » .

أن تاريخ نينوى مختلط بتاريخ آثور اختلاط الراح ببناء . لا بل أن معظم معلوماتنا عن ملكة آثور آثانا من الوثائق التي عثر عليها في قصر أسور بديل في نينوى . وقد أراد نينوى غير واحد من المؤرخين المتأخرين ومنهم كتيبياس وديودورس الصقلي صنع آثور الواقع بين الأنهر الأربعة مع أن البينات التاريخية تؤيد أن كالح لم تخضع لنينوى منذ عهد سرجون Sargon حتى سقوط هذه المدينة بل أن كل مدينة كان يحكمها وال (واسمه في الآثورية شككو) وأن اسم نينوى يأتي في جدول المدن بعد كالح .

أن آية الكتاب المقدس تدل على أن مدينة آشور « وهي اليوم أطلال شرقاط » (١)

(١) أوفلة شرقاط أو شرقات أو شركات وسهادا الترك طوبراق قلعه . وعرفها النصارى الكلدان والسريان بشهر كرد أو شهر قرد أو شهر قرت وكانت إحدى أسقفياتهم وتبعد ٤٠ ميلاً عن مصب الزاب الكبير و ٥٠ ميلاً عن أطلال عمود و ٥٧ ميلاً عن الموصل وهي واقعة على عدوة دجلة الغربية . وأول من أظهر خطورة هذه الأطلال في القرن الماضي المستر ريج . وزارها لارد في سنة ١٨٤٥ ووجد فيها

كائنات موجودة لما بنيت مدينة نينوى . ولكننا لا تمكن من معرفة تاريخ بنائها بل هناك ظلمات تاريخية تمنعنا من الوقوف على هذه الحقيقة المنشودة . حتى أن بعض العلماء يقدمون تاريخ بنائها على مدينة آشور نفسها . وقد استولى عليها غير واحد من ملوك بابل في أزمنة متوالية في القدم ووسعها وحسنها وسمى نفسه « مؤسس نينوى » . وشيد غيرهم الهياكل فيها بين سنة ٣٠٠٠ و ٢٥٠٠ قبل المسيح ومنهم جوديا ودونكي . وفي حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح ذكر حوربي أنه عمل في تنظيم « نى - نو - آ كي » هكذا ورد اسمها في مقدمة شرائع حوربي . وفي القرن الخامس عشر قبل المسيح أعربت الإلهة آشور نينوى عن رغبتها في الرحيل إلى مصر التي أحبها فبعث نوسراي ملك ميتاني تمثالا من غائيلها إلى المنحطب الثالث وجدد شمعناصر الأول هيكلها في نينوى حوالي الألف الثالث عشر قبل

بعض الآثار القديمة . وتقب رسام بمشارفة رولنسن وعثر على ثلاث أسطوانات من عهد تغلبلاصر الأول نحو ١١٠٠ سنة ق م وفيها ذكر نجر يد بناء هيكل أو ورمان قام به شمشي ارمان نحو سنة ١٨٢٠ ق م . وعرف من هذه الكتابة أن أطلال شرقات هي بقايا مدينة آثور أقدم عاصمة لملكة الآثوريين . وقد جاء ذكرها في مقدمة شرائع حوربي مع نينوى وقال عنها في ذلك العهد أنها قد عثان كل القدم . وقد دلت التنقيبات التي قام بها الألمان بين سنة ١٩٠٣ و ١٩١٤ أن سكان آثور القدماء لم يكونوا ساميين بل توريين أو على رأي بعضهم حثيين فالتحقق ذلك يكون في آثور مدينة تاريخها منذ ٣٥٠٠ سنة ق م أو ما فوق ذلك .

المسيح . وفي القرن الحادي عشر اتخذ آشور بل كلاً ابن تغلبلاصر الاول نينوى
عاصمة ملكه .

وفي القرن السابع ق م شاد فيها سنجاريب اربعة فحمة وواسعة وحصنها بأسوار
منيعه . وكانت محيط المدينة عندما نبوا عرش الملك ٩٣٠٠ ذراعاً فأضاف اليها
٢٢٥١٥ ذراعاً فبلغ محيطها ٢١٨١٥ ذراعاً . وجعل لها في سورها خمسة عشر باباً .
سبعة ابواب في الجنوب والشرق وثلاثة في الشمال وخمسة في الغرب . وحسن بخاري
المياه فيها فبنى حوضاً قرب العيون الواقعة الى الجنوب الشرقي منها واسال المياه الى
المدينة بقنوات . وكري نهراً وشعبه لري جنانه وحدائقه . وأنشأ في قسم من
المدينة حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان وغرس فيها انواع الشجر والثمر التي اتي
بها من الاعناق المختلفة وبسبها كان القطن . وجعل فيها انواع الحيوان ومنها الخنازير
البرية . وكانت الاشجار مأوى لافانواع الطير والمياه مسرجاً مختلف اجناس طير الماء .
واتى من الممالك المختلفة بانواع الغنائم فزين بها تلك المدينة التي اصحت عاصمة
جميلة تجمع بين جدرانها نقائس الصنائع وبدائع الآبار وشامخ الحضارة وحافظ
على تلك الحضارة وزدهو المدينة كل من ابنه اسرحدون وحفيده آسور نيبيل .
لابل زاداً على آثارها آثاراً .

لا يعرف شيء كثير عن نينوى بعد وفاة اسور نيبيل بل يظهر ان ابنه آسور انيل
الاني وسنشاراشكون (وهو الذي يسميه اليونان سارا كوس Sarakos) كانا
مخاري القوي مقلولي العزيمة فطعمت فيها الدول المجاورة لآشور واخذ ظل مجد

دولتها بتقلص رويداً رويداً الى ان زال . وكان سقوط نينوى بين سنة ٦٠٨
و٦٠٦ ق م . يبدو انه ليس لدينا معلومات وافية عن خراب نينوى وسقوط بنائها
واندثار قصورها . ولا بد ان النار والغرق كانا عاملين عظيمين في زوال مجدها .
فان آثار النار ظاهرة في بقايا غرف قصر آسور نيبيل . ويؤكد هذا القول ما جاء في
تاريخ اوساينوس نقلاً عن آبدينوس ان سنشاراشكون آخر ملوك آشور حبس نفسه
مع حرمه في قصره وشعله فانوا حرقاً . وجاءت الامطار فقوضت ما كان قد ابقته النار
وزادت في اطين بلة مياه دجلة والخورس . وقد قال باحوم النبي منذراً بذلك (٦: ٢)
ابواب الامهار انفتحت والقصر قد ذاب . . . ونينوى كبركة ماء منذ كانت ولكمهم
الان هاربون . وقد جاء في الفصل الثالث من السفر عينه في الآيتين ١٨ و ١٩ فسب
رعائك يمالك آشور اضطجعت عظماؤك تشمت شعبك على الجبال ولا من يجمع (١٩)
ليس جبر لانكسارك . جرحك عديم الشفاء كل الذين يسمعون خبرك يصفقون
بأيديهم عليك لانه على من لم يمسرك على الدوام ؟

اذا انطوى بساط مجد نينوى فذكرها لم ينطو من الادمهان ولم تنس الاجيال
التي توالى على الارض موقع هذه المدينة العظيمة مركز التجارة ومورد الغنى .
فهذا أميانوس (Ammianus) الذي مات قبيل سنة ٤٠٠ ق م يقول عن
نينوى انها مدينة عظيمة من قطر حدياب (١٨ : ٧) وقد ذهب بعض العلماء الى ان
قوله هذا يدل على الموصل . ومهما كانت الحالة فذكره نينوى دليل باهر على ان
اسم هذه المدينة يتردد في خاطره . وان الكتابة السريانية النصارى من شرفيين

(كردان ولساطرة) وعربيين (سريين ولساطرة) عرفوا موقع هذه المدينة .
 وكان للسلطنة اسقفية نينوى . ولم يغفل كتبة العرب عن ذكرها كالمسعودي
 وابن حوقل والمقدسي وابي الفداء وابن بطوطة والبلاذري وذكرها السليمان
 الاوربيون الذين زاروا هذا القطر منذ نزله بنيامين التيطلي (١١٧٣ م) . الا ان
 اول من درس اطلال هذه المدينة من العلماء المحدثين درساً منظماً المستر ريج
 (Paul Rich) فنصل بريطانيا في بغداد وذلك في اثناء رحلته الرابع الى
 الموصل بين سنة ١٨٠٨ و ١٨٢٠ ونهت ابحاث ريج الحكومة الفرنسية الى
 الحفر والتنقيب في تلك الاطلال فعهدت بالأمر الى فنصلها المسيو بوتا Botta في سنة
 ١٨٤١ - ٢ . وعقبه في التنقيب السير هنري لايرد Sir H. Layard مرتين
 (١٨٤٥ - ٤٧ و ١٨٤٩ - ٥١) ثم توالى النباش في اطلال نينوى وقام به سنة
 ١٨٥٤ المستر هورمزد رسام (وهو موصل الى الوطن كما اني الطائفة) ثم جورج سميث
 G. Smith ١٨٧٣ - ٧٦ ورسم مرة ثانية الى سنة ١٨٨٢ . وكان معظم التنقيب
 في تل قوينجق للعقبات القائمة في حفر تل نبي يونس اذ يعتقد الاهل ان
 هناك مدفن النبي يونس والارض مقدسة لا تمس . ومع ذلك فقد وجد من نقائس
 العاديات في اطلال نبي يونس ما لا يستهان به .

الى هنا اقف في البحث عن نينوى . ومن اراد التوسع في تاريخ هذه المدينة
 العظيمة فعليه بمراجعة المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الاسطر (١)

(١) Encyclopaedia Biblica by Cheyne and Black Nineveh
 Encyclopédie Biblique. Vigoureux Article Ninive

(رحووت غير) هذه المدينة الثانية من مدن اشور الوارد ذكرها في كتاب
 التكوين على ما مر بك . لم يتوصل العلماء حتى اليوم الى تعيين موقعها وباتت هذه
 المشكلة في غياهب الهممات وغاية ما في الامر انهم وجدوا ذكر مدينة ربيت نينا
 في رقيمى سرجون واسرحدون وارض كانت فيها مدينة ماجانوبا القديمة وعلى اسمها اقام
 الملك سرجون مدينة دور شريكنا وهي اطلال خورسا باد الحالية (١) ومن
 ظنيات المؤرخين المبنية على الاحمال ان رحووت غير تمثل ربيت آلي Rebit Ali
 وهذه توازي لفظ ربيت نينا وهو اسم كان تطلقه العامة على مدينة دور شريكنا .

فلفظ ربيتو يعني في الاصل الرحبة او الرض والارض التي هي في خارج اسوار المدينة
 او الحقول والمزارع . وقد ورد هذا اللفظ مراراً في الرقم الآتية ومنها ان
 سرجون قهر في اول حكمه خبانيديجاش ملك عيلام في ربيت دور ايلي . ودخل

By Nile and Tigris by W. Budge vol 11 : 1-29.

Niniveh and its Remains by sir H. Layard.

Perrot and Chipiez. Art in Chaldea and Assyria.

Maspero. histoire des peuples anciens de l' Orient.

(١) دور شريكنا (او جدار شريكنا) مدينة بنانا الملك شريكنا (سرجون)
 الذي شوا عرش آتور بين ٧٢٢ و ٧٠٥ ق م . ونقل اليها بلاطه . وكان ميل ملوك
 آتور ان ينقلوا عاصمة بلادهم الى الشمال من بين دجلة . وموقعها في قرية خورسا باد
 الحالية في شمال شرقي نينوى . وقد اكتشف اطلالها المسيو بوتا الفرنسي في

منتصف القرن الماضي .

اسرحدون دخول ظافر ريت نينوى . ان استولى على صيدا . وكثيراً ماورد
هذا اللفظ مضافاً الى اسم ملكه فيقال ريت رماني ايلواي رحبة اوريش رماني ايلو .
فاذا كان هذا الحال في رحوبوت فلم يقف العلماء على مدينة منسوبة الى رجل اسمه غير (١) .
— كالح — هذه المدينة الثالثة التي ذكرها الكتاب المقدس في اشور وقد وصفها
اشور ناصر بل في ايلم عزها ونسبها الى شلمناصر الاول وقال انها كانت عاصمته .
وقد اثبت لايرد ورسام وجورج سميث في حفرياتهم انها في اطلال نمرود واقعة
على بعد عشرين ميلاً الى جنوبي تل قوونجق . وهي في لسان من الارض بين دجلة
في الغرب واطالي الزاب في الشرق وتحصنها في شمالها الزلول وجدار شمالي وفيها
على اقل تقدير ٥٨ برجاً . وكانت المدينة منيعة وبسيل اليها الماء بقنوات من الزاب
الاعلى وفيها الحدائق والجنان . وكانت تقوم على سطحها المشيد من اللبن المغطى بالصخر
تلك القصور التي شيدها اوجدد بناءها كل من شلمناصر الاول نحو ١٣٠٠ ق م .
واشور ناصر بل وشلمناصر الثاني وتغلبالامر الثالث وسرجون واسرحدون واشور
ايل ايلاني . وكانت مقر البلاط الملكي على عهد هؤلاء الملوك الا ان اسمها لم يرد
في الجداول الرسمية اولا . وكان عدد سكانها دون سكان نينوى بل دون سكان
اشور . وقد تلافى هذا النقص اشور ناصر بل واسكن فيها الاسرى بعد ان جدد
بناها .

ويظن انه كان في كالح كما في سائر مدن آشور وبابل سجلات رسمية ومجموعات

(١) Encyclopaedia Biblica by Cheyne and Black

ادبية للملوك . وقد عثر على صفائح في اطلال نمرود استخرج منها ان سنحاريب نقل
خزانة كالح الى نينوى . (١)

— راسن — هذه آخر المدن الاربع الاشورية التي وازى بها الكتاب المقدس
المدن الاربع البابلية . وحدد موقعها بين نينوى وكالح وقال عنها انها المدينة الكبيرة .
وقد ذهب بعض العلماء الى ان بقاياها اطلال السلامية . وقال بوشارت ونايركه اخيراً انها
لارسا التي ذكرها زينفون . ولم يعرف موقعها وان جملها فردريك ديج واطلال نمرود
واحدة ولم يعثر الباحثون في الرقم التي نشرت الى اليوم على مدينة بهذا الاسم
ولها خطورة تضاهي الخطورة التي يستلها الكتاب اليها . وغاية ما جاء في وصف
بافيان لسنحاريب اسم رارا اشعيني (رئس عيني) اي رأس العين وهي مدينة يظهر انها
كانت قريبة من نينوى وليس ما يدل على قدم عمارتها . وربما يقف العلماء على هذه المدينة
ان حفرت هذه الديار باجمعها .

وبما يحير الاذهان ان من المدن الاربع الاشورية مدينتين وهما : رحوبوت عبر
وراسن لم يتمكن العلماء من تعيين موقعها . فهل هناك يا ترى تصحيف في الاسمين
او ان موقعها ليس في اشور . هذا مانبع الحكم فيه الى العلماء الكتائين المتوغلين
في هذه المباحث المتضلعين من لغة التوراة (٢)

(١) راجع Encyclopaedia Biblica By Cheyne and Black

Layard : Niniveh and its Remains و

Dictionnaire de la Bible F. Vigoureux و

Dictionnaire de la Bible : F. Vigoureux. (٢)

— برج بابل — ان القمم الاول (من العدد الواحد الى العدد التاسع) من الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين مرصود لرواية بناء بابل وبرجها وتبليبل اللسنة . اما بنة بابل فقد مر الكلام عنها في مطاوي بحثنا عن المدن الاربع التي بناها نمرود في ارض شنعار . واول امر يستوقف انظارنا وصف مواد البناء عند البابليين : وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لنا لبناً ونشوه شيئاً . فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان الطين (تكوين ١١ : ٤) . ارض بابل متكونة من غربي النهرين حيث لا صخور ولا احجار طبيعية فالحاجة اضطرت السكان الاولين الى عجن التراب وصنع اللبن منه وشبهه . واتخاذهم آجرأ للبناء ، الامر الذي نشاهد اليوم في العراق بعد مرور آلاف من السنوات على رواية التوراة . كما ان الابنية البابلية مشيدة اما باللبن واما بالآجر الا ما شذ منها وقليل ذاك الشذوذ .

اما اتخاذ الحمر في الابنية فقد شاهد النقبانيون ان كثيراً من ابنية بابل الفخمة وارجحها الشائعة وحصونها المنيعه واسوارها الضخمة قد بنيت بالحمر عوض النورة او الجص . ولا حمر يتابع في هيت وضواحيها وقد ذكر نقله الى بابل هيرودوتس . وكان ينقل على ظهر الحيوانات او في النهر ويتخذ لل غاية التي ذكرها الكتاب المقدس .

وقد آن لنا ان تسكلم عن برج بابل ذلك البرج الذي سارت في ذكره الركبان ، ونحدث به الاجيال ، وتناقلت اخباره الرواة . وقد اثبت العلماء مؤخراً انه لم يكن الا برجاً من الابراج التي ارسدها البابليون لعبادة النجوم بواقاموا لهم في كل بلد من

بلادهم واحداً منها واطلقوا عليها اسم الزقمرنا .

وقد اختلف السياح والعلماء في تعيين موضع برج بابل كل مختلف وذهبوا مذاهب شتى في امره . فهذا بنيامين التطيلي الذي زار العراق في النصف الاخير من القرن الثاني عشر قال انه برز نمرود وقوله هذا جاء وفقاً لما جاء في المدراس . والسياح الذين هبطوا بابل في القرن السادس عشر والقرن السابع ذهبوا الى ان اطلال عقر قوف (١) هي بقايا البرج المنهوه به . وقال بيزو دلا فاله الذي سكن بغداد في القرن الثامن عشر ان برج بابل هو الاطلال التي تشاهد في بابل وقد اثبت بعده رسام على انها بقايا الجنان المعلقة ولم يأت القرن التاسع عشر حتى بعثت نظرية برز نمرود من رسمها وايدها ريج Rich وكر بورتر وتبعهما معظم العلماء مستندين على رقم نبوكدراصر الذي وجد في بورسيبا . ان اطلال البرز في الحقيقة ماهي الا بقايا هيكل الاله نبو في بورسيبا وكان تسمى في عهد اشور بانيبيل (٦٢٦ — ٦٠٨ ق.م) بابل الثانية . وان برج بورسيبا ليس هو برج بابل . فان ذلك المقام كان على عدوة الفرات الغربية وقد اختلف العلماء في تقدير بعد بورسيبا عن بابل ولكن لا يقل على كل حال عن ثمانية اميال وربما تجاوز عشرة اميال . واما بابل فكانت على عدوة الفرات الشرقية

(١) عقر قوف . تل واقع على بعد ستة او سبعة اميال من غربي بغداد ويرتقي هذا الاثر الى عهد الدولة الكشية في القرن الثالث عشر ق.م وهو من بقايا مدينة دور كوركازو ويبلغ ارتفاعه نحو ١٢٠ قدماً ونحوه ١٠٠ قدماً ومحيط قلعة بين ٢٧٠ و ٢٨٠ قدماً .

وهيكلها المرصود للاله بيل فيه زقزقة عظيمة يصح ان يطلق عليها اسم « برج بابل » .
 وتألف على اختلاط البرجين على العلماء أي برج نبو في بورسيدا وبرج بيل
 في بابل . وكان ملوك بابل في كتاباتهم يجمعون بين اسما كيلا هيكل بيل وازيدا هيكل
 نبو كما جمع اشعيا النبي بين الالهين المذكورين اذ قال « قد جئنا بيل انحنى نبو »
 (١ : ٤٦) .

رأينا ان هيكل بيل في بابل كان يسمى اساكيلاما برجه (زقزقته) فكان
 يسمى انيمن آنكي E—Temen An-Ki . فاصح الاراء ان هذا هو البرج الذي
 اطلق عليه الكتاب المقدس اسم « برج بابل » . وعلى ذكر الابراج عند البابليين
 قرب هياكلهم او زقزقهم كما كان يسميها اصحابها نقول انهم كانوا يبنونها ذات
 سبع طبقات مختلفة الالوان ويرصدون كل طبقة لسيار من السيارات . وقد ذكر
 هيرودوتس في كتابه (١ : ١٨١) برج بيل ووصف هندسته وانه مؤلف من ثمانية
 ابراج الواحد فوق الآخر وفوقها هيكل عظيم الا ان كلدواي يشك في وصف
 هيرودوتس ويعتقد ان الابراج لم تكن على شكل مدرج : (١) وخالفه في رايه هذا
 برج وانيت رواية هيرودوتس مستنداً الى نقش في احدى الصخور من عهد مردوخ
 بلادان الاول (١١٥٠ ق م) يمثل قسماً من طبقات برج ازيدا في بورسيدا وصورة
 رمزية للاله نبو . وما يقال عن برج ازيدا يصح على برج انيمن آنكي .

Koldewey : Excavations at Babylon Trans Agnes. (١)
 S. Johns Page 194.

لا يعلم تاريخ بناء انيمن آنكي او برج بابل ولا تاريخ خرابه اذ جاء مكتوباً في
 اسطوانة عن لسان نبو بو لاصر « في هذا الوقت امرني الاله مردوخ ان ... برج
 بابل لانه تضعضع قبل عهدي وبلغ الخراب وان امكن اساسه في قلب الارض
 ونحها حتى تبلغ قته السماء » .

وجاء عن لسان نبو كدنصر « ان ارفع قبة انيمن آنكي حتى يناطح السماء »
 وقد ورد في كلتا الكتابتين ان مواد البناء قد اخذت من اللبن والآجر والحجر
 والطين وخشب ارض لبنان (١)

ولما غزا اسكندر الكبير بابل (٣٢٣ — ٣٢١ ق م) رآه في حالة الخراب
 واراد ان يجد بناءه قاعداً لآجر لذلك وأنفق نفقات باهضة بلغت اجور العمال
 ٦٠٠,٤٠٠٠ يومية الا ان المنية وافته قبل ان يشرع بالبناء (٢) وعليه لم يشاهد
 هذا البرج احد من الذين جاؤوا بعد اسكندر الكبير فحملهم الظنون على ان يرز
 نمرود المائلة أنقاضه هو برج بابل .

لا يلفظ اسم برج بابل الا ويتوارد الى ذهن السامع امر ان الاول اصل الالفات
 وتوحيدها وتبليها والثاني وحدة اصل البشر وتبليها فانهما مرتبطان كل الارتباط
 برواية برج بابل وبنائه على ما في رواية التوراة وكأما موضعين جليلين لاجتات عديدة

E. W. Budge : by Nile and Tigris Page 269. (١)
 Koldewey Excavation etc 195. (٢)
 Strabo XVI. 1,5. (٣)

ومناقشات مسببة بين العلماء . لا بأس من الاعتناء اليها كما أنه لا سبيل لنا الى التبسط فيها في هذه المجالة .

جاء في التبريل العزيز : « وكانت الارض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة » .
 « تك ١١ : ١ » انقسم العلماء في هذه المسئلة الى قسمين منهم من يثبت رواية الكتاب الكريم في اصل وحدة اللغات ومنهم من يؤيد تعدد اصولها وتفرقت آراؤهم في اصل البشر فمنهم وافقوا موسى الكليم في وحدة اصل البشر . « وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد » (تك ١١ : ١) فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض (تك ١١ : ٨) . ومنهم من قالوا بتعدد اصول الجنس البشري . وقد نشأ من اختلاف العلماء في اصول اللغات والجنس البشري اربعة مذاهب علمية : المذهب الاول اتباع رأي النوراة القائل بوحدة اصل اللغات والاجناس . المذهب الثاني نقيض المذهب الاول شيئاً بشي وهو يقول بتعدد اصول اللغات والاجناس معاً والمذهب الثالث يرتئي وحدة اصل اللغات فقط دون الاجناس والمذهب الرابع يعاكس المذهب الثالث فيقول بتعدد اصول اللغات ووحدة اصل الاجناس . ومن اراد التوسع في هذه المباحث الخطيرة فعليه بمراجعة المؤلفات العديدة الموضوعة فيها .

اذا تدرجنا في قراءة الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين وبلغنا الآية الثامنة والعشرين نقف على وطن نوح بن ابراهيم الخليل (ومات هاران قبل نوح ابيه في ارض ميلاده في اور الكلدانيين) ثم جاء في الآية الواحدة والثلاثين من الاصحاح عينه خبر نوح من وطنه الى ارض كنعان . (واخذ نوح ابراهيم ابنه ولوطاً



الطاهر اور الشکارانیین وطن ابراهیم الخلیل

ابن هاران ابن ابنة وساراي كنيته امرأة ابرام ابنة فخرجوا معاً من اور الكلدانيين
ليذهبوا الى ارض كنعان (٠) . وورد اسم اور الكلدانيين مرة ثالثة في الاصحاح
الخامس عشر في العدد السابع من سفر التكوين (٠) وجاء في سفر تيموثا ١: ٨ : انت
هو الرب الاله الذي اغتريت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين وجعلت اسمه ابراهيم .
وبقايا اور هي اطلال المقبر او المكبر كما يلفظها العراقيون اليوم وما هو حرمي بالذكر
ان بعض الكتبة الذين كتبوا عن هذه الاطلال واعتمدوا على مؤلفات الاوربيين
عربوا اسم هذه الانقاض وفقاً للحروف الافرنجية Al. Mogyar' Mugayyar
تارة بالمغاور وطوراً بام قير وصحيحه كما مر بك فوبق هذا اي المقبر او المكبر من القار
وقد عرفها العرب في توارخهم بذي قار ووقعها مشهورة عندهم .

ان اطلال المكبر واقعة في جنوب غربي ناصرية المستنق (المنشف، المنشفك) وتبعد
عنها نحو عشرة اميال وتشمل بقعة من الارض تقدر مساحتها بـ ١٠٠٠ في ١٢٠٠
يرد وتكاد تكون اهليجية الشكل ومحيط بها سور ترابي (١)

قد نقب في هذه الاطلال تيلر في سنتي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ واكتشف الهيكل
العظيم للاله القمر (٠) وانت بعض اقسام هذا البناء يرتقى الى عهد الملكين دنكي
واورانكور (٠) وفي جوار هذا الهيكل وجد بناء وفي اسفله رصيف من آجر يرتقى
الى زمن السومريين الاول (٢) وقد حفر فيها في سنة ١٩٢٣ بنة اميركية

R.C. Thomson: History and Antiquities of Mesopotamia (١)
Page 61.

L. W. King: A History of Sumer & Akkad Page. 36. (٢)

بريطانية وسميت معبد آله القمر وظهر ان بناءه تجدد على توالي القرون . وظفرت
بتمثال آله القمر وعلى كبيرة مختلفة .

ومن العجب ان اطلال اور التي تشاهد اليوم على بعد ١٥٠ ميلا عن خليج
فارس كانت في أيام عزها مدينة قرب مصب الفرات في خليج فارس وكان لأور خطورة
سياسية وتجارية ودينية وأدبية . اذ كانت عاصمة سلالة نشأت حوالي الالف الثالث
قبل المسيح وكان مؤسسها اورانكور ولم يعلم لأي داع استقلت وما عثمت ان سادت
على جنوبي بابل باجمعه . وكان مما ساعدتها على استقلالها انها كقوى الدول السابقة
وانصابت القبائل السامية الى تلك الاقطار وقد نال الساميون منزلة سامية في خدمة
الملوك الشمرين . ويظن ان العيلاميين اجتاحوا البلاد واسقطوا سلالة اور في
سنة ٢٢٨٥ ق م . (١) وان افظوى بباط دولة اور في هذا التاريخ الا ان
منزلة المدينة بقيت رفيعة ماوراء ذلك بقرون عديدة .

بقي علينا ان نتعرض هنا للبحث عن الكلدان . واراد الكتاب المقدس بهم
على اختلاف القرون . قد ورد اسم الكلدان في مواضع عديدة من الكتاب المقدس
وبصور مختلفة ككشديم وككشديم وحشديم . ونسبت اليهم بلاد تلك البلاد الواقعة في
جنوب شرقي بابل على ساحل البحر حيث كان يبتدىء خليج فارس في ذلك العهد
وكانت حاضرتها بيت ياكين وورد اسمها في الرقم الآتورية « مات تامتميم » اي
ارض البحر . ويذهب العلماء الى ان اسم ارفخشاد (تكوين ١٠ : ٢٢ ، ٢٤)

و ١١ : ١٠ و ١١ : ١٢) تصحيف « اريف كاشديم » ومعناه متاخم الكلدان او نحوهم
فتكون بمعنى ارض الكلدان . وان القبيلة التي زلت من ارفخشاد اندفعت نحو الغرب
وبقيت في ظمها جيلا بعد جيل حتى بلغت ارض شنعار وعبرت الفرات فوصلت مدينة اور .
وسكنت فيها اوحواليها . وكانت هذه المدينة يومئذ حاضرة ملوك شمرين . ويقال
ان اسم الكلدان جاء من رجل اسمه كاسد (تكوين ٢٢ : ٢٢) وقال بعض المحققين ان
اسمهم كشديم ومعناه الفاتكون لانهم كانوا غزاة كما جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤ : ٢
(فارسل الرب عليه غزاة الكلدانيين) وكما جاء عنهم في سفر ايوب ١ : ١٧ (الكلدانيون
عينوا ثلاث فرق فهجموا على اجمال واخذوها) .

وقال فريق من الباحثين ان هذا الحرف مشتق من الكشد ومعناه الكثير الرمح
والكسب . وكان الكلدانيون يحبون الكسب والرمح .

ومن اعمالهم في اواخر عهدهم العرافة والتنجيم والسحر . « قامر الملك بات
يستدعي الجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون (دانيال ٢ : ٢) .

وقد ورد ذكرهم في الكتاب المقدس ذكر امة ذات سلطان وشوكة تعيش
بينخ وترف قد استولت على الحكم في بابل . جاء في سفر اشعيا (١٣ : ٢٣) ها هي
ذي ارض الكلدانيين الشعب لم يكن الخ (و ٤٧ : ١) ازلي واجلسي على التراب
ايها العذراء ابنة بابل اجلسي على الارض بلا كرمي يا ابنة الكلدانيين لانك
ولا تدعين ناعمة ومترفة . وهذا سفر ارميا مشحون بذكر الكلدان وجيش الكلدانيين
و ٢١ : ٤ . التي اثم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين . و ٢٥ : ١٢ وارض

الكلدانيين و ٣٢ : ٢ وصدقيا ملك يهوذا لا يفلت من يد الكلدانيين . و ٣٢ : ٢٨
ها أنا ذا ادفع هذه المدينة الى ايدي الكلدانيين . الى آخر ما في الكتاب المقدس من الآيات
التي ذكرت الكلدانيين وارضهم .

وقد دلت آيات الكتاب ان لغة الكلدانيين كانت اللغة الارمية . فقد جاء في سفر
دانيال ٢ : ٤ « فكلّم الكلدانيون الملك بالارمية » .

وقصارى القول في الكلدان أنهم جيل من الناس ظعنوا بادي بدء الى بلاد بابل
الجنوبية ولم يطلق اسم كادة على بابل باسمها الا حينما أسس نبونولاسر مملكة بابل
الجديدة نحو سنة ٦٢٦ ق . م وهذا كان منهم فعم اسم قبيلته المملكة باسمها (١) .
ومن مدن بابل التي جاء اسمها في سفر التكوين ١٤ : ١ الاسار . فان كان موقع
الاسار يارى ؟ فقد قال الآريون أنها كانت حيث تشاهد اليوم اطلال سنكرة .
وقد عرفها البابليون باسم لارسا وهي الى جنوب شرقي اطلال وركاء المار ذكرها .
وقد نقب فيها لوفنس في منتصف القرن الماضي وعثر على رقم ترتقي الى الالف الثالث
قبل المسيح . وقد عظم شأن لارسا بعد سقوط سلالة اور الثانية . واشهر
مالكان من ملوك لارسا وهما نور رمان وابنه سن ادينا وذلك حوالي سنة ٢٣٠٠
ق . م . (٢)

(١) راجع Z. A. Ragozin - Chaldea 199-201

Encyclopaedia Biblica Cheyne and Black P. 720-1

Ibid Page 444

(٢)

وجاء في سفر الملوك الثاني (١٧ : ٢٤) واتي ملك اشور بقوم من بابل وكوي
وعواء وحاة وسفروايم واسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل .

فقد بحث العلماء عن موقع كوي وسفروايم . وقالوا ان كوي هي تل ابراهيم في
شمال شرقي بابل وقد ورد اسمها في الرقم كوي وكونو قبل نهوض بابل وكان فيها
هيكل الاله نرجل واسمه املام ولا تزال آثاره موجودة حتى اليوم ويظهر أنها كانت
من امهات مدن بابل الشمالية وكان من واجب ملوك آشور حتى عهد اسور نبيل
ان يضحوا فيها قرابين للاله نرجل (١) اله الموت .

اما « سفروايم » فجاء اسمها في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤ و ١٨ : ٣٤ واشعيا
١٩ : ١٣ و ٣٦ : ١٩ و ٣٧ : ١٣ . ارتأى العلماء ان هذه المدينة هي سبار
البابلية وبقاياها اطلال « ابوحبة » وهي شاخصة الى اليوم في جنوب غربي بغداد
على بعد ٢٠ ميلاً منها وقد نقب فيها المستر رسام سنة ١٨٨١-١٨٨٢ والاب شيل
سنة ١٨٩٤ ووجدوا فيها رقماً كثيرة تمنية يرجع تاريخها الى ملوك بابل الاولين .
وكانت هذه المدينة بحماية الاله شمش (اله الشمس) . ووجد هيكلاً لرام سن ملك اك
نحو ٢٦٠٠ سنة قبل المسيح . وقيل ان موقعها كانت قبالة سبار على نهر قرب
الفرات وان سبار هي مدينة اكد على ما مر بك ص ١٦ واطلق الآريون على كتابها اسم سبار
وقالوا السبارين « سفروايم » (٢)

R. C. Thompson : Hist and Anti : of Mesopotamia 64-65 (١)

Z. A. Ragozin; Chaldea 205

(٢)

وجاء في سفر الملوك الثاني (١٨ : ١١) وسي ملك آشور اسرائيل الى آشور ووضعهم في « حلح » و« خابور » نهر جوزان وفي مدن ماذي .

يرتشي بعضهم ان « حاح » كانت من مدن ماذي ويذهب فريق الى انها مدينة كالح عينها المار ذكرها (نك ١٠ : ١١) وقال غيرهم بانها مدينة حلوان او حلماو او خلماو في اقليم اردلان وهي اليوم قرية سريول التي تبعد عن بغداد نحو ١٤٧ ميلاً في طريق الجبال لمن يقصد قريدين (كرمانشاه) وقد ذكر المقدسي انه كان في ظاهر حلوان كنيس لليهود يحترمون كل الاحترام . وحلوان وان لم تكن مدينة حلح فقد سكنها طائفة من يهود الجلاء ولا يزال منهم بقية باقية في تلك الاصقاع في قصر شيرين وكرند وتتكلم الارمية العامية .

— الخابور — نهر لا يزال يعرف باسمه هذا حتى اليوم وقد ذكر في مؤلفات اليونان باسم « خابوراس » Chaboras وهو من سواحل الفرات وهو نهر كورة جوزان على ما وصفه صاحب سفر الملوك . وعرفت هذه الكورة عند الآثوريين باسم كوزانو وهي واقعة بين طوسان ونصيبين .

يستهل حزقيال النبي سفره بقوله : كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وانا بين المسبيين عند نهر كبار . ونكرر ذكر هذا النهر بعد آيتين . اذ جاء فيه « في ارض الكلدانيين عند نهر كبار » . فالترجمة العربية الاميركية التي في ايدينا لم تدع فرقاً في ترجمة اسم خابور الوارد في فصل الملوك المتوهم به قبيل هذا والنهر الذي رأى عنده حزقيال رؤياه والحال ان فرقاً بيننا بين الاسمين في النص

العبري . فنه حزقيال هو كبار من انهار بابل وقد جاء في كتاب الزبور ١٣٧ : ١ على انهار بابل هناك جلسنا . واول من اشار الى ذلك العلامة تذكروا وايد رآه البعثة هلمرخت اذ عثر مرتين على ذكر « نارو كيارو » في الرقم وكان موقعه في شرقي نبور (١) في ارض الكلدانيين وعلى ضفته دفن حزقيال .

واذا تدرجنا في قراءة سفر حزقيال الى الاصحاح الثالث العدد الخامس عشر نقف على الآية القائلة : فجيئت الى المسبيين عند تل اييب الساكنين عند نهر كبار . فان موقع تل اييب لا يزال مجهولاً . اما معنى هذا الاسم فهو في العربية « تل السنبلة » وقد قال فردريك ديلج ان كان هذا الاسم بابلياً فلفظه الصحيح يجب ان يكون « تل ابوب او تل ابوبي » وان لفظ « ابوب » يعني في الآثورية الطوفان فاذا صح تأويله فيكون مفاد « تل ابوب » تل الطوفان وهو تل خراب قديم . ومن التعبيرات الآثورية القديمة التي وردت في الرقم « قد خربت المدينة كتل ابوبي او جعلت المدينة كتل ابوبي » (٢)

(١) نبور وقد عرفها العرب بـ (نقر) واقعة في شمال شرقي الديوانية وبينهما نحو عشرين ميلاً او في شمالي العفج على بعد اربعة اميال منه يشقها نهر النيل شقين وقد اشتهرت بهيكلها المرصود لاله بيل (انليل) ووبرجها (زقرنا) الذي شيده اورانكور في سنة ٢٦٠٠ ق . م . ولم يبق منها اليوم الا اطلال نبشت فيها جامعة فيلادلفية في ١٨٩٩ — ١٩٠٠ .

ومن الأنهر التي جاء اسمها في التوراة في اخبار المسييين نهر اهو (عزرا ٨ : ١٥)
فجمعهم الى النهر الجاري الى اهو . (وفي ٨ : ٢١) وناديت هناك بصوم على نهر
اهو . وفي (٨ : ٣١) « ثم ارتحلنا من نهر اهو في الثاني عشر من الشهر الاول
لنذهب الى اورشليم » . فيظهر من الآيتين الاوليين ان اهو نهر ومن الآية
الثالثة اسم ارض يسقيا هذا النهر .

قد تسببت آراء العلماء في تعيين هذا النهر والارض التي يسقيا وذهبوا مذاهب
شتى في موقعهما . فقد ذهب لكثير ومانيير الى انه اديابا او حدياب وجنح هافر نك
الى انه ايه أو آويه وقال بعضهم انه الزاب . وجاء في معلة الكتاب المقدس انه
مجهول ولكن موقعه في سقي الفرات . وقالت طائفة من الباحثين ان اهو هو
هيت . وقال الرحالة يهوذا الحريزي الذي زل العراق في القرن الثالث عشر للميلاد
انه نهر سمدة (وربما صحيحه نهر سمرا) وقال ياقوت عن هذا النهر انه في
ارض ميسان وقد رجح الرأي الاخير الاب انستاس الكرملي في مقال ممتع له
في هذا الموضوع (١) . وجاء في سفر عزرا (٨ : ١٥) اسم كسفا وهو موضع
اسكنى المسييين . وقد بات هذا المكان من المبهمات التي اشغلت العلماء في حلها .
فارتأى فريق من الباحثين ان كسفا لم تكن مدينة بل مدرسة جامعة يتلقى
فيها اللاويون دروسهم وكانت قريبة من نهر اهو . وفرض بعضهم اسم طيسفون
(Ctesiphon) تحريف كسفا (Casiphia) وانهما في الاصل مدينة

(١) راجع وضعية دار السلام السنة الثالثة العدد الاول ص ١ - ٣

واحدة (١) . وخالفهم غيرهم في الآراء الكثيرة التي أبدوها في هذه المدينة . وكلها لم
تتوصل الى حل بات .

ننتقل هنا الى سفر دانيال الى الاصحاح الثالث منه الى العدد الاول فنقرأ : « ليوكد نصر
الملك صنع تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ست اذرع وانصبه في بقعة
دورا في ولاية بابل » . فان كان لفظ دورا ارمي الاصل فيعني بقعة او ارضاً سهلة .
ولكن احد العلماء فرض ان هذا اللفظ بابلي قديم معناه « حائط » وقد عرفت
ثلاثة امكنة في بابل بهذا الاسم الذي ضبط في الرقم دورو . وعدة مدن بابلية مركبة
من دور ومن حرف آخر . ويفهم من نص دانيال ان هذه البقعة كانت ملتصقة بمدينة
بابل او قريبة من اسوارها .

بعد ان تكلمنا عن مدن بابل وآثور وانهارها وامكنتها التي اتت في الكتاب
المقدس ان لنا ان نتعرض لذكر ديار بين النهرين Mesopotamia كما اطلق عليها
اليونان او بيت نهر ايا كما سماها الارمزيون او ارام نهر ائيم كما جاءت في الكتاب المقدس
وعند العبريين او الجزيرة حسيما عرفت عند العرب .

ان الجزيرة (مزوبوتاميا) هي البقعة المنحصرة بين دجلة والفرات يحددها في الشمال
ارمنية وفي الجنوب اراضي بابل الغربية وكان طول هذا القطر من الشمال الشرقي
الى الجنوب الشرقي لا يقل عن ٣٥٠ ميلاً وعرضه لا يتجاوز مائتي وستين ميلاً في اوسع
نقطة منه . ولا يتجاوز عرضه في بعض الامكنة خمسين ميلاً وعليه فان مساحته لم تتجاوز

١٥٠٠٠ ميل مربع (١)

وكان يحد الجزيرة الاقدمون من الشمال جبل ماسيوس (طور عبدن) ومن الجنوب سور بلاد ماذى والأهر التي تجمع بين دجلة والفرات ومن الشرق والغرب الرافدان (دجلة والفرات) .

وقالت العرب ان الجزيرة او جزيرة اقور هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام وتشمل ديار مضر (Osroéne عند الافرنج) (اي ارض الرها) وديار بكر . ومن امهات مدنها حران والرها والرقه ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك مما هو مذکور في موضعه (٢) وكانت حران عاصمة بين النهرين يوم نزلها ابراهيم الخليل بعد طعنه من اور (تك ١١: ٣١) والى هذا الصقع توجه اليعازر ليخطب زوجاً لاسحق (تك ٢٤: ١٠) وجاء ذكر هذا القطر في التثنية (٤: ٢٣) وفي سفر القضاة (١٠: ٣) وفي اخبار الايام الاول (٦: ١٩) وفي الزبور (١: ٦٠) .



G. Rawlinson : Parthia 23

(١)

(٢) معجم البلدان مادة جزيرة .

اليهود

في عهد البابليين والآشوريين

اذا كانت بلاد كنعان لليهود ارض ميقاتهم وقلة آملهم وتعلق سعادتهم ومحيط رحالهم بعدتهم ، فالعراق ووطن اجدادهم ومنشأ آباءهم ومهد لغتهم وارض سببهم وما بهم بعد خراب هكلهم ودمار مقدسهم . واذا كان الاردن نهرهم المبارك ومياهه مطهرة عائلاتهم فالرافدان نهران ذكرهما كتاب دينهم بين انهر الفردوس كما ان ذكر شعاع وبين النهرين وبابل وآشور وبلاد ماذى وشوشن حي في ذاكرة هذا الشعب طالما يرى الكتاب الكريم بين ايديهم يتلون فضوله المقدسة صباح مساء ويكررون آياته المنزلة ليلاً ونهاراً ويترنمون باناشيده ويتغنون بمزامير على نوالي الايام ونعاقب المواسم . اجل لقد ورد ذكر تلك الاقطار في سفر التكوين والملوك واسعيا ودانيال واسستير ويونان والمزامير وغيرها من الاسفار . ويتجدد ذكرها عند تلاوة تلمودهم مخزن تفاسيرهم الدينية وكنز آدابهم القومية .

وبحق لنا في هذا المقام ان نبحث عن الاقوام التي نزلت ارضهم واكلت (١) في

(١) يطلق هذا الاسم على صقع بابل كله . فكان شماله يسمى في العصر المنوغلة في القدم اوري او كيوري ويظن ان سكانه كانوا من الشعوبيين . وجنوبه يدعى كنيكي . وبعد ذلك العصر العربي في التاريخ سمي الشمال اكدي وكانت مدته : اكدي وسار وكيش (تل الاحيمر) واوي (باحشا) وكيني وبابل . وسمي الجنوب شرومدي لجش (نلو) وشروباك (فارة) واوري واريدو واردي (حوخا) واداب (بسايا) .

الازمنة المتوعدة في القدم حتى فجر التاريخ لتتوصل الى القبائل السامية التي الفت عصا
رحلها في ارض شعناز ومنها قبيلة تارح ابي ابراهيم الخليل .
قال المؤرخ الكلداني يروس : (١) « كان بادى بدء في بابل حشد من الناس
مؤلفاً من عناصر مختلفة سكنوا بلاد الكلدان » .

لا غبار على كلام المؤرخ الكلداني فان ارض بابل اشتهرت بخصبها منذ قديم الزمان
فراعتها الامم والشعوب من كل صقع . وزلتها القبائل الرحل منذ فجر التاريخ من
كل الديار . ونطق زلاؤها بمختلف اللغات حتى شبهها بعضهم بخليقة النحل وحاول
غيرهم تأويل حكاية تبايل الالمنة الواردة في كتاب التكوين باللغات المتباينة التي
كان يتكلمها الشعوب فيها . ولم يقف الباحثون عن تاريخ هذه الديار على الشعب الذي
وجد فيها قبل عصر التاريخ وهو على حالة البداوة والقطرة . وغاية ما توصلوا اليه
انه كان فيها منذ الازمنة البعيدة عنصران مختلفان النجار احدهما شمري ووطنه جنوبي
بابل والاخر اكدي (سامي) ووطنه شمالي بابل . وكان هذان الشعبان يمتازان
بعضهما عن بعض باللامح والعادات والحضارة واللغة . ولا يبت العلماء في ايهما اغرق
من اخيه في هذه الديار وان غلب الظن عند بعضهم ان الشمرين اقدم من الاكديين

(١) مؤرخ كلداني عاش بعد المئة الثالثة ق . م . في عهد حكم اليونان على بابل .
كتب تاريخه في اللغة اليونانية وادعاه اخباراً خلية عن تاريخ بابل القديم وماثورات
الكبار . فقد الكتاب ولا يعرف منه الا تنقلاً وردت في كتب اورخين . ونظان
اصل اسمه الارمي « براسيا » اي ابن الطبيب .

(الساميين) . وقد قال فريق ان الشمرين ثوران يون جاؤوا بابل من الشرق ومن وافق طريقهم
بتخوم بلاد فارس واستندوا في قولهم هذا الحاشية الوجودية بين لغتهم واللغة التركية
وسائر اللغات المغولية في آسية الوسطى والى بقايا حضارتهم المكتشفة في اطلال العراق كما
الانار المكتشفة في حفريات بلي في ركستان ١٩٠٣-١٩٠٤ . ان الساميين الذين كانوا
يسكنون شمالي بابل وينسبون الى سام بن نوح هم الاثوريون والعبريون (١) والفنيقيون والار
ميون والعرب والاحباش اذ كلهم من نهار واحد والراجح انهم رحلوا من بلاد العرب
وقد سكن هذان العنصران بابل جنباً لجنب منذ الالف الرابع ق . م فكان
الشمريون يحلقون شعور رؤوسهم وذقونهم اما الاكديون فكانوا ذوي لحى سوداء
وطويلة واخذ كل فريق من صاحبه شيئاً من حضارته .

وقد تنازع البقاء هذان العنصران عهداً من الزمان حتى استظهر العنصر السامي
على العنصر الشمري وبزه براً فاصبح صاحب البلاد الوحيد وحلت لغته محل اللغة
الشمرية وامست هذه لغة عامة كاللاتينية في العصور الوسطى .

وكان في بلاد شمر واكد في العصور الخالية بجانب سكان المدن اقوام رحل ومن تلك
الاقوام قبيلة تارح التي كانت في اور الكلدان . ولم يدكر الكتاب المقدس العهد الذي غادر
فيه تارح وابنته ابراهيم الخليل تلك الحضارة العظيمة كما انه ضرب صفحاً عن

(١) ان موريس جستر في كتابه التورات العبرية والبابلية ص ١٥ يقول ان العبريين
دخلوا ارض كنعان وقد امتزج بهم عناصر اخرى ومن المحتمل انه كان بين تلك العناصر
العرب والحثيون .

الاسباب التي الجأهم الى هذا الامر . وقد توصل الباحثون الى ايجاد تارح مطنع هذه القبيلة من ارض شنعار الى حران وقالوا كان ذلك في سنة ١٩٢١ ق . م وجاء في مآثورات اليهود ان تارح كان صانع اصنام وترك بأمر الله اور الكلدان معبد الكفر ومنبت التوت .

ان بعض العلماء المحدثين ذهبوا مذاهب شتى في تحليل هذه الرواية وتأويلها . واختلفوا تفسيراً لاسم تارح ما شاؤوا وشاء علمهم وقالوا ما قالوا في ابراهيم وكنيائه مما لا يسعنا ذكره في هذا الكتاب الموضوع للخاصة والعامة من الناس . ولأنه لا يزال في نطاق التخربات ولا يخرج عن حد الظنونيات .

سارت تلك القافلة من بلاد الكلدان على حد ما ترى اليوم عشائر البدو ينتقلون من ديار الى ديار اخرى وذهبت الى ارض كنعان وفي راسها تارح وابراهيم . وما عم ان مات تارح واصبح ابراهيم ابا القوم ورئيس العشيرة ومن ذلك الحين دعيت تلك العشيرة في التوراة بـ « العبريين » نسبة الى جدهم الاعلى عبر (ويقال سمي كذلك لانه عبر الفرات) ابي فلغ ابي دعو ابي سروغ ابي نحور ابي تارح ابي ابراهيم . وبروي ان ابراهيم سمي عبرياً اشتقاقاً من العبر اي ان عشيرته عبرت بلاد الكلدان .

من الآراء الشائعة بين العلماء ان ابراهيم التحليل كان معاصراً لأمرافل ملك شنعار (تلك ١٤ : ١) وان أمرافل هو حوربي الشهير صاحب السرائع وهي اول

السرائع المكتوبة التي عرفها العالم حتى اليوم (١) . وسبق حوربي موسى الكليم ٤٣٠ سنة على حساب التوراة و ٧٠٠ سنة على حساب بعض العلماء . وتتفق السرائع الكلدان مع سرائع العبريين في اهم موادها .

لم نكن نتعرض لذكر هذه السرائع البابلية في هذا الفصل لولا علاقتها بسرائع موسى الكليم علاقة اشغلت اذان الباحثين وشجعت قرائح النقدة لتفكرين فكشروا المؤلفات الكثيرة ووضعوا الكتب الجديدة في درس هذا الموضوع الخطير . ليوفقوا بين سرائع موسى وسرائع حوربي من حيث اصلها السامي .

نكتفي بالامعان الى هذا الموضوع لتعرف ما بين الشعبين الساميين الشعب البابلي والشعب العبري من الصلات القوية التي تربط القومين بعضهما ببعض

(١) عبر على هذه السرائع ج دي مورغان في اواخر سنة ١٩٠١ واوائل ١٩٠٢ في شوش المسماة قديماً برسبوليس وفي سفر دانيال « شوشن القصر » وكانت يوماً عاصمة بلاد عيلام . ووجدت هذه السرائع مكتوبة باللسان الاكدي او السامي البابلي على ثلاث قطع من الحجر . اذا وضع بعضها على بعض تألف منها مسلة وفي صدرها صورة حوربي يتلقى السرائع من اله جالس على كرسي وربما كان اله شمس . وقد جاء بهذا الامر النفيس من بابل الملك العيلامي شتروك ناخوند . تذكراً لاتنصاره في احدى غزواته في بابل .

والتي تسمى طلاق الطواغر (١)

لم تكن الصلات بين البابليين والعبريين تقف عند هذا الحد من حيث التفرع بل تمتد الى ما وراء ذلك. وتشمل المأثورات عند الساميين المذكورين. فهذه قصة الخليفة وقصة الطوفان وتقديس يوم السبت وحياة ما وراء القبر تتفق في كثير من مواضع عند القومين. وكذا قل في ادبيات العبريين والبابليين.

نورد هنا على سبيل المثال كيف كان يقدر البابلي والآشوري يوم السبت لتقف ايها القارئ على حلقة الوصل بين دين الساميين. فكان محظوراً على الناس ان يطيحوا يوم السبت وان يغيروا نياهم وان يقدموا ضحايا. وكان محظوراً على الملك ان يكلم فيه الشعب ويركب مركبة وان يقوم بواجب عسكري او مدني وان يأخذ دواء.

الا ان نقطة الخلاف القائمة بين العبريين والبابليين هي ان سبت البابليين يأتي خمس مرات في الشهر وذلك في الايام الآتية من الشهر: في اليوم السابع والرابع عشر والتاسع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين (٢)

ولتقف على وجه الشابهة بين الآشوريين والعبريين انسمع ما يقوله رولنسن:

(١) راجع Rev. C. H. W. Johns: The Relations between the Laws of Babylonia and the Laws of the Hebrew peoples.

(٢) راجع Morris Jastrow: Hebrew and Babylonian Traditions

كان الآشوريون من القبائل السامية الشمالية وكانوا يشبهون كل الشبه العبريين. ان المشابهة الموجودة بين القومين في ملامحهم وتقاطيع وجوههم كافية لتظهر شدة النسب الواشحة بينهما هذا فضلاً عن تقارب لغتهما بعضهما من بعض تقارباً لا يدع ريباً في وحدة اصلهما.

ولم تقف تلك الروابط عند هذا الحد. بل تمتد الى ما وراء هذه الامارات الخارجية. وتتجلى باسم مظاهرها في بعض الاميال النفسية والافكار الداخلية المتمثلة في دينهم القومي. واريد به مبدأ التوحيد الذي ادخله الآشوريون في دين البابليين فقبضوا بكل ارتياح كاثنتهم جاؤوا به من موطنهم الجنوبي. حافظ الآشوريون على هذه العقيدة كاخوانهم العبريين. الا ان فرقاً بيناً كان بينهما من حيث تفاصيل هذه العقيدة. ان حكماء العبريين اتخذوا قاعدة ثابتة لاعتقادهم التوحيد وهي لا اله الا الله واولئك هم الانبياء المخالفين لهم وذلك، بحرارة ونشاط لا يخفف منهما مقاومة او كفر. اما كهنة آشور فانهم وان كانوا يريدون نشر هذه الحقيقة الا انهم لم يفاوموا التقاليد القديمة ونظام الدين الموضوع بل حافظوا على مجموع الآلهة البابلية، ونظريات انبثاقها المتعاقب، وثالوثها العظيمين وآلهتها الخمسة السكوكية. وجماعة من الآلهة التي هي دون الاولى مرتبة ولكنهم كانوا يضعون في مقدمة تلك الآلهة وفي اعلاها الاله الواحد والارب الذي يعترفون بانه السامي ولم يدعوا اشبهات الالتباس تخف به، وان يضيع بين ثنايا الالهة المهمة بل كانوا يصفون له ذاتية متميزة، ويسمون به باسم شخص ويدعونه « آشور ».

واصاب المرمى رولنسن اذ قال: ان الارواح الآشورية تكاد تكون

متشابهة لأرواح العبريين وينسبون إليها جميع أعمالهم العمومية .

وكان العبريون يقدمون ضحايا الحروب في هجوماتهم على القبائل المجاورة إلى خدمة «يهوه» ولم يغفل ملوك آثور أن ينسوا انتصاراتهم وفتحاتهم إلى آثور وكان شعاره يتقدمهم في الحروب .
الحجنا نقف في البحث عن صلات العبريين والبابليين فلنرجع إلى أبراهيم والمهاجرين .
كان المهاجرون العبريون من بين الهرين يذكرون وطنهم ويصبون إلى ديار مولدهم
ويخطبون أزواجاً لأولادهم من بنات بين الهرين وكانوا يمدونهم اشرف نسباً واعرق
حسباً من بنات يهود كنعان .

وصل أبراهيم أرض كنعان ومن هناك سافر إلى مصر وبقي العبريون فيها نحو
اربعمائة سنة يوماً في نعيم ويوماً في بؤس . فلاقوا من الفراعنة كل حفاوة وكرام
كما أنهم يحملوا منهم مضض الحيف والجور . حتى قبض الله لهم موسى الكليم فأنقذهم
من رق المصريين . وبعد ثمانية دأمر أربعين سنة في برية سيناء حلوا أرض الميعاد
وكان يتولى شؤونهم القضاة . وهناك أسسوا مملكة اسرائيل الاولى وقام منهم ملوك
واشهرهم داود وابنه سليمان الحكيم .

جرت كل هذه الخطوب ومرت القرون وتعاقبت الاجيال ومضى نحو ١٢٠٠
سنة ولم يرد ذكر بلاد بين الهرين في تورات موسى ولم يقل شيئاً الكتاب عن بلاد
بابل وآثور حتى حل شلمنصر ملك آثور حلة شعواء على هوشع ملك اسرائيل ففقد
هذا الملك مخالفة مع ملك مصر سوا (١) دفاعاً عن حياض مملكته . الا ان

(١) هكذا جاء اسمه في الكتاب المقدس وهو عند المؤرخين شاباك .

ذلك التحالف لم يجده نفعاً بل حاصر شلمنصر السامرة وقبل ان يظفر بالنصر الهاتئ
واقعه المنية . وكأني بالاقدار قد رصدت ذلك النصر للقائد الآثوري فدخل
عاصمة اسرائيل بعد موت شلمنصر وتوغل جيشه في المدن واجتاح القرى
وذلك سنة ٧٢١ ق.م. فاجلى الجيش الآثوري إلى بلاد ٢٧٢٨٠ اسرائيليا اسكنهم
مدن حايح وجوزان في وادي الخابور ومدن ماندي وبقي الاسرائيليون في وادي الخابور
زمناً طويلاً حتى بعد الفتح الاسلامي ولا يعد ان يكون منهم اليهود الذين ذكرهم
بنيامين التطيلي الذين كانوا يسكنون رأس عين وعند مصدر الهر وفي كركيش
وعند ملتقاءه مع الفرات ولكن لم يبق منهم باق اليوم .

ولما كانت سنة ٧٠٢ ق.م. حل الملك سنحاريب على مملكة يهوذا واستولى على
ست واربعين مدينة من مدن اليهود واسر من سكانها ٢٠٠١٥٠ نفساً وقدم إلى اورشليم
فملع اليهود منه ودفموا اليه جزية عظيمة من ذهب و غيره وعقد معه حزقيا ملك
يهوذا معاهدة . وبعد بركة نكث العهد ملك اليهود وعمد إلى عقد مخالفة مع ملك مصر
فجهز عليه سنحاريب جيشاً جراراً كاد يجرعه الامرين لولم تفتق الفتوق على ملك
آثور فاضطر ان يسحب جيشه .

وقد اكتشف النقبانيون في اطلال قونوتحق ثوراً من الصخر مكتوباً عليه وقائع
تاريخية بينها خبر حلة سنحاريب الاولى على حزقيا ملك اليهود وذلك في الاطواح
المحفوفة في دار التحنن البريطانية في الرواق الآثوري المرقمة بأرقام ٨١٠ و ٨١١
و ٨٣٩ و ٨٤٠ المبثورة من ذلك الدور التاريخي . وفي ردهة الماديات الآثورية من المتحف

البريطانية بعض النقوش الأثرية تمثل الجندي اليهودي ولباسه والأسرى والنساء ولباسهم . كان يلبس اليهود الذين يحرسون المعقل خوذاً دقيقة الرؤوس . تختلف عن خوذا الآثوريين المحاربين بأنها ذات أهداب مزركشة تنزل إلى آذانهم وفي رؤوس بعض الأسرى ما يشبه العمام يتدلى طرفها الواحد إلى الكتف وليس في رؤوس بعضهم عمرات وشعرهم قصير ولهم لحى . أما لباسهم فهو ثوب يبلغ الركبتين أو جلباب يكاد يبلغ الوركين على وسطهم زنار ، والظاهر أن هذا اللباس لباس الجنود ، أما النساء فكان يلبسن اقصة طويلاً فوقها حلة ياقعها على رؤوسهن وتنحدر إلى اقدامهن المحار أذر النساء الشرقيات .

وفي عهد أسر حدود أسرى البابليين منسى ملك اليهود وأرسلوه إلى بابل مكبلاً بالقيود راسقاً بالسلاسل سنة ٦٧٢ ق.م . وبعد مدة رفق به أسر حدود وأرجعه إلى اورشليم فبقي خاضعاً له .

وفي سنة ٦٠٤ ق.م انتصب على أريكه بابل نبوكد نصر . الملك القادم وناطقة الزمان . فخر البابليين ومقيل عثرة الكلدان . ومنذ نيوته متعصبة الملك جامع في مديطرة على الدول ومدونح المدن والامصار وخالف يواقيم بن يوشا ملك اليهود إلا أن يواقيم لم يثبت على عهده بل قلب في سياسته مع نبوكد نصر فجهز هذا عليه جيشاً لهماً وشدد البابليون الحصار على اورشليم وتولى الملك الكلداني شؤون الحصار بنفسه فدخل المدينة المقدسة ظافراً . وكانت المنية قد عاجلت يواقيم ومالك في مكانه ابنه يهوياكين فلمسه الكلدانيون هو وامه ونساءه وخاشيته وأشرف مملكته ورجال

حرية والصناع والافيان ويعثوهم إلى بابل . ولم يبق في اورشليم إلا مساكين شعب الارض . وكثروا قد سبوا قبلهم جماعة بينهم دانيال النبي والفتية الثلاثة واولاد يواقيم انعام دانيال . واجلس نبوكد نصر على تخت الملك فثبنا عم الملك ودعا اسمه صدقيا وذلك سنة ٥٩٧ ق.م .

وصلت قوافل الأسرى إلى بابل فساعد اليهود من أبناء جلدتهم جالية ضخمة من أعقاب أسرى شامناصر وسنجاريب وأسر حدود (١) فتمانقوا معانقة أعز الأخوان وتماوتوا في منقاهم على حفظ كياناتهم وصيانة تقاليدهم من كل مس تلك التقاليد التي ينزلها الشرقيون في حياتهم القومية منزلة غراء وبجانب الساميون في خلافهم محل القاب من الجسد .

كل أمة ينضب معين قوتها ويذب اليها ديبب الضعف بلباث رغايا أمرها ويستعجم تدير شؤونها ولا تعرف من يخالف من الأمم القوية لتمصم بها وتبتد اليها في عجزها . هذا كان شأن المملكة اليهودية في اخريات أيامها اذ وفقت وقفت حائر بين الدولة المصرية والمملكة البابلية .

قرر أخيراً صدقيا ملك اليهود ان يرفع لواء العصيان ويحارب البابليين ولكن سرعان ما انقض عليه الكلدان وحاصروا اورشليم أشد الحصار فلم تحده نعماً تحديات المصريين ولم تنفله جنود ملكهم حفرع من تلك الورطة . وفي أثناء الحرب كان أرميا النبي يخاطب الشعب اليهود ليخاطبوا البابليين ولكنهم لم يصغوا اليه بل ناموا في شعاب الغرور .

(١) لم يذكر ذلك أحد من المؤرخين بل أنه ظن بحت .

انتهت تلك الحرب بنصر الكلدان نصراً مبيناً ، فدخلوا اورشليم بقيادة
قوادعهم تركل شراصر وسكرتو وسرسخم وغيرهم وفر صدقيا ملك اليهود من
وجه الفاتحين الا انهم ادركوه في سهل اريحا واتوا به الى نبوكد نصر فاقامه
معاملته وأمر بقتل اولاده واشراف مملكته على مرأى منه ثم سمل البابليون عينييه
وشدوه بسلسلتين من النحاس واتوا به الى بابل وخرب نبوخذ نصر رئيس الشرطة
اورشليم وهدم اسوارها وسي جميع السكان الى بابل واستباح ذمارهم واتلف
خضرأهم وغضراءهم وذلك سنة ٥٨٦ ق م .

تفرق القوم بعد هذه النكبة تحت كل كوكب حتى ضربت الامثال بتفرقهم
فقيل لكل قوم انبت جبلهم وانتثر عقدهم كما هم شتات اليهود بعد السبي . غادرت
مواكب الأسرى - وكانت من صفوة القوم - بلاد ابائهم وديار اجدادهم وهم ينون
الى معادهم ويودعون عاصمتهم ويتعفرون لآخر مرة في رى مقدسهم ويكتحلون برؤية
هيكلهم وخامة معبدهم فقطعوا المسافة الشاسعة التي تفصل بين فلسطين وبابل وحطوا
رحالهم في بلاد بين النهرين وتفرقوا في بلاد بابل وآشور وبلاد ماذي وانضموا الى
انبياء جلدتهم الذين حلوا قبلهم تلك الديار . لم يذكر الكتاب المقدس ولم يرد في
التاريخ عدد اليهود الذين تقاهم نبوكد نصر الى بلاد الكلدان ولكن يظهر من
وقائع التاريخ ان عددهم كان كثيراً اذ رجع منهم الى اورشليم في عهد كورش في
الفاقة الاولى برئاسة زربابل ٥٢٣٦٠ شخصاً و٧٣٣٧٠ عبداً وبنينهم بعد ذلك جم صغير .
ثم بعد البابليون اليهود عبيداً في مملكتهم ولم يثقلوا وطأهم عليهم بل كانوا يحسبونهم



جماعۃ من تجار البصرة

طسبهم الخاص بهم

غرباء وبجملتهم . وكانت شرائع البلاد تحيز لهم ان يتسلموا المراتب الرفيعة في المملكة وقد كتب دانيال النبي شهرة بعيدة بين رجال الحكومة وقال منزلة سامية في القصر الملكي فأثارت عليه حسد اشرف القوم فديروا له التدابير المهلكة لئلا يكثر نجا منها وزادت منزلته رفعة . وغاية ما ثقل على اليهود وظلموا منه طالب البابليين لهم ان يغفروا لهم الاناشيد المرسودة لأعيادهم . وما لاريد فيه لهم اشتغلوا بالزراعة التي اقامها نبوكد نصر في بابل وجعلوا العاصمة بطرف ضائعهم .

ان الخالية اليهودية في بابل اشتهت اراضي وزرعها وغرست فيها اشجاراً وانشأت حدائق وجناناً واشترت حقولاً وحرثتها وأستقرى على ضفاف الأنهر فسكنها وبنيت بيوتاً قوراء لجأت اليها . وكان ليشيوخ اليهود في بابل نفوذ على قومهم كما كانت منزلتهم بين شعوبهم في فلسطين . ومن هذه الحال يستنتج ان الخالية اليهودية كانت تسوس نفسها في الحلاء سياسية خاصة بها وتعاطى فريق منهم التجارة واكد دليل على ذلك اخبار البنك اليهودي البابلي الذي تسرد حكايته كما يأتي : في سنة ١٨٧٤ عثر احد الاعراب في اطلال « الجمجمة » (١) على جزار

(١) الجمجمة نسبة الى اسم قرية في بابل يدعى العرب اطلالها تارة باسم تل عمران بن علي نسبة الى قبر هناك لا أحد اولياء المسلمين وطوراً باسم الجمجمة . وقد قدر المستخرج مساحتها بـ ٨٠٠ في ١١٠٠ يرد وقد قال لا يرد لا يشاهد هنا بناء كافي للجبلية (المقلية قرب بابل) . وان كان هناك بقية باقية من البناء فلها قد تلفت بملح البارود (الشورة) وتبعد هذه الآرام نحو نصف ميل عن غرب القصر وهو المكان الذي حفر فيه كدواي

بعدة من الطين المشوي قد خالطها ايدي الزمان وطوارق الحداث وكانت مسدودة
سداً محكمًا فاعتزاد الولد وغشيه الله عما فتحها وشاهد فيها عرداً كبيراً من
صقاع الآجر منقوشاً عليها بخطوط ابيه شي عند اطلال سحرية . ولكن لم
يجعل الاعتراف قيمة هذا الكثر اذ كان قد شاع يومئذ عند قبائل البدو المنتشرين
في وادي الرافدين ان الآجر المكتشف في اطلال العراق موقفاً راحة فآخذ
الركاز وتوجه به الى بغداد وباعه هناك الى احد تجار العاديات . وكان في ذلك العهد
الاثرى الشهير جورج سميت الانكليزي (١) ينقب في بابل فالتاعها من التاجر
العراقي لدار التحف البريطانية . وكان عددها نحو ٣٠٠٠ آجرة . يختلف كرها
اختلافاً بينا فيقارح بين عمدة واحدة مربعة واثنى عشرة عمدة مربعة
ولكن العلامة الانكليزي لم يعلم باي بدء قيمة الدرر التي ظفر بها عفواً حتى
فحصها فحصاً دقيقاً وكشف مخبأها قطار فرحاً . اذ علم انها سلسلة
تاريخية عينة لاحد البيوت التجارية العراقية في القدم .

وهي صور معاملات وعقود تجار قومية وسفاح وسندات تخص المعهد التجاري

الاماني ووجد قصور ملوك بابل فان الطريق من الزاوية الجنوبية الغربية من القصر
الى تل عمران يمر بهضبة صغيرة فيها بقايا ابنية لبن من عهد البرثيين . ووراء ذلك
صف من الروابي فيها خرائب بيوت بابلية من الآجر

(١) هو الاثرى الانكليزي الذي نقب في بابل سنة ١٨٧٣ على حساب اصحاب جريدة

« دبلي تلغراف » وعاد ثانية سنة ١٨٧٤ وثالثة سنة ١٨٧٦ .

البحبي واولاده او سن موباليت (١) . ويظهر ان مؤسس هذا المعهد كان من ذوي
اليسار والكلمة الراجحة في بابل وقد بقي معيذه قروناً عديدة بتعطيل الاشغال
المختلفة ويقوم بالمعاملات الكبيرة والصغيرة ويقرض مبالغ جزيلة وطفيفة وله حسابات
مع اقطاب المملكة وسواد الامة . وكان يتقاضى الضرائب لحساب الحكومة .

ويشهد على العقود التي تتم بين متعاقدين (بالشمية) او متعاقدين (بالجمع) . ويبيع
بالسيئة ويحول التحاويل من مدينة الى اخرى . ومن العجيب ان في صفائح العقود يذكر
تاريخ اليوم والشهر والسنة التي تم فيها العقد .

ويظهر ان مؤسس هذا المعهد عاش في عهد الملك سنحاريب سنة ٦٨٥ قبل المسيح
وبلغ معيذه قمة عزه في الفنى والنفوذ في عهد الملك نبوكد نصر (٢) اي نحو قرن
بعد تاسيسه .

وان البحبي لم يترك معه في اضمال معيذه اولاده وهو في قيد الحياة . ومن الذين
اشتهروا من اعضاء هذه الاسرة باعمالهم وحازوا منزلة رفيعة وقافوا على اعضاءها
ثلاثة اشخاص وهم : نبو اني ادبنا وابنه اني مروض والاو وحفيده مروض
نصر ابلو .

كان قد ارتأى المنور حون سنة ١٨٧٨ ان بيت البحبي دام الى عهد دارا

(١) يظهر ان للبابليين اسمين الواحد رسمي والاخر خاص .

(٢) نبوكد نصر او نبوكد نصر الثاني تولى عرش بابل من سنة ٦٠٤ الى سنة

٥٦١ قبل المسيح .

هستنب فقط (١) وإن آخر عميد له كان مرو دنج نصر ايلو . ظهر اسم هذا الرجل في أعمال البيت في السنين الأولى من ملك دارا وبقي عاملاً مجدداً في رقبته حتى السنة الخامسة والثلاثين . إلا أن العلامة دلج ايلان سنة ١٨٨٢ أن المصنف المذكور دام إلى بعد فتح أسكندر الكبير وقد وصل إلى هذه النتيجة المهمة والاكتشاف الكبير بتصفحه مئات من صفحات الآجر التي اقتناها المستر هورمزد رسام واضافها إلى المجموعة التي ظفر بها المستر سميت سابقاً وعليه يكون محل الجيبي قد اشتغل بخوارق قرون متوالية وقد رأى التقلبات السياسية والحملات الكبيرة في عهد ملوك مختلفين ولم يصبه شيء من الأذى في وسط تلك العواصف السياسية لأن البابليين كانوا يحترمون التجار والتجارة ويسهلون طرق الأعمال الاقتصادية .

ولم أذكر معبر الجيبي وأولاده في كتابي والبحث عن تاريخه إلا لما له من علاقة بتاريخ يهود العراق . فإن الأثرين يذهبون إلى أن اسم الجيبي تصحيف اسم يعقوب اليهودي ونخص بالذكر من الذين ذهبوا هذا المذهب المعلم فردريك داج . ومن ثم استنتجوا أن مؤسس هذا العهد كان يهودياً من الأسرى الذين ساقهم سرجون الملك من السامرة إلى بابل . وقد لاحظ المعلم دلج أن كثيراً من أسماء المتعاقدين التي وردت منقوشة على الآجر هي بلامرية أسماء يهودية . فإذا صح هذا الرأي وثبت هذا التعليل يجرى يهود العراق فخر تأسيس أول معهد تجاري عظيم في العالم وأنشأ أول مصرف « بنك » . ويظهر من أعماله ما كان عليه القوم

(١) ملك فارسي من السلالة الكيانية تولى الحكم من سنة ٥٢١ إلى ٤٨٥ ق م

من النفوذ والميزة عند البابليين حتى في أسرهم . (١)

ولم تقتصر مهمة اليهود في بابل على الزراعة والتجارة كما يبدو بل تفرغت طائفة منهم للمهن والصناعات المختلفة وقصارى الكلام أن اليهود أقاموا لهم وطناً ثانياً ووجدوا في بابل مضامراً لنشاطهم ولم يركنوا إلى البطالة الشائنة والكل المذل بل بذلوا وسعهم في رقي مجتمعتهم الجديد وذلك اخذاً بنصائح ارميا النبي الذي كان يأنظم الشعر ويصوغ القوافي ويكتب القصائد حاثاً قومه على الشغل في أرض غربتهم : هكذا قال رب الجنود الهاسرائيل لكل السبي الذي سبته من اورشليم إلى بابل ، ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلاوا ثمرها . خذوا نساء ولبنوا بنين وبنات وخذوا لبناتكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلبن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقولوا (ارميا ٢٩ : ٤ - ٦) .

تركنا في سجن بابل يهوياكين ملك يهوذا . وبعد أن مرت عليه ست وثلاثون سنة في تلك الحال الموحجة عطف عليه ملكها افيل مردك (وجاء اسمه في التوراة اوبل مرو دنج) في سنة ثمانية ورفع رأس يهوياكين ملك يهوذا من السجن وكلمه بخير وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل وغير ثياب سجنه وكان يأكل دائماً الخبز أمامه كل أيام حياته ووظيفته وظيفة دأمة تعطى له من عند الملك امر كل يوم بيومه كل أيام حياته (ملوك ٢٥ : ٢٧ - ٢٩)

وكان اليهود في أرض منقاهم يعملون تقوسهم بأقراج الأكمة ويوقعون الخلاص من

تلك السكة التي فنت في عظمهم . وكانت كتابات انبيائهم توطد رجاءهم واسفار اشعيا
وحزقيال تكرر بشار النجاة القائلة بسقوط بابل وزوال ملكها واحقاق عزمها
وانذار مجدها .

وكانت هذه الفكرة قد انتشرت بين امري شعوب اخر سبوا الى بابل وعمهات
سبل الضعف وراجت وسائل الانحلال في ملك الكلدان بسبب القلاقل والفتن التي
نارت في عهد خلفاء نبوكدراصر .

فان دولة بابل بين موت نبوكدراصر (٥٦١ ق . م) وبين انقراض الدولة
(٥٣٨ ق . م) كانت اشبه شي * بشمس المساء المنحدرة وراء افق الغروب . قتل
افيل مردك خليفة نبوكدراصر بعد ان ملك سنتين (٥٥٩ ق . م) وعقبه رجل
شراصر وعرف عند اليونان باسم ترجيلاصر وملك اربع سنوات . وملك بعده ابنه
الصغير لباشي مردك وقتل بعد تسعة اشهر بؤامرة . وانصب مكانه نبوناheid (٥٥٥ ق . م)
وهو ابن رب ملك رئيس الكهنة ، وامه نبوكريس فقام كورش على نبوناheid ملك
الكلدان وفتح بابل سنة ٥٣٨ ق . م . فاقترضت مملكة بابل ودخل كورش بلاد
الكلدان دخول منقذ واظهر لسكانها من وطنيين وغرباء احرار وعبيد من الولاء
اجله ومن الجنو ارفه فاستقبله القوم على اختلاف نزعاتهم وتباين جنسياتهم استقبالا
يشف عن وداد وحب .

وكافي بارميا النبي يكتب في نبوانه تاريخ سقوط بابل اذ قال : سيف على الكلدانيين
يقول الرب وعلى سكان بابل وعلى رؤساءها وعلى حكامها . سيف على الخادعين

فيصرون حقا . سيف على ابطالها فيرتعون . سيف على خيلها وعلى مركباتها وعلى
كل اللقيف الذي في وسطها فيصرون نساء . سيف على خزائنها فتسب . حر على
مياها فتتشف لاهها ارض منحوتات هي وبلاصنام تحن . لذلك تسكن وحوش
الفقر مع بنات آوى وتسكن فيها رجال النعام ولا تسكن بعد الى الابد ولا تعمم الى
دور قدور (٥ : ٣٣ — ٤٩)

وقد كان سقوط بابل مفتتح تاريخ جديد في العالم وابتداء دور سعد في حياة اليهود .
الى هنا تقف في هذا الفصل وسنتكلم عن تأثير الجلاء على آداب اللغة العبرية
وكتابات الانبياء وروحية الشعب العبري في فصل نعهده بعهدا بعنوان « اللغة العبرية
وآدابها في بابل » اتوسع فيه في البحث عن المدارس اليهودية في العراق . (١)



(١) قد اعتمدنا في كتابة هذا الفصل : على الكتاب المقدس وتاريخ هيرودوتس
ويوسيفوس و F. Lenormant : Histoire Ancienne de l' Orient .
G. Mespéro : Histoire Ancienne des peuples de l' Orient .
J. Vandervost : Israel et l' Ancien Orient .
H. Craetz : History of the Jews .

يهود العراق

في

عهد الماذهين والفرس

دخل تاريخ اليهود في دور جديد باستيلاء السلالة السكيانية (١) على بابل ولاحت لهم تبشير السلام من مضايق البلاء وبدأت فوائح الفرج من مغالقي الاسر فعطف عليهم كورش واذن لهم بان يرجعوا الى وطنهم اورشليم مطمح آمالهم وان يبنوا الهيكل . ولي مبتاعهم واعاد اليهم اواني الذهب والفضة التي سلبها نبوكدنصر من قدس اقداسهم ولم يقصر في شيء من مبالغ النجح بل افاض عليهم سجال عرقه وتابع لهم احسانه وعهد بولاية فلسطين الى زربابل احد احفاد يهوياكيم ولقبه بلقب «بها» ومعناه الحاكم بالفارسية وفيل انه اقام والياً رجلاً اسمه شيشبصر (٢) . واليك المرسوم الذي اصدره كورش في امر الاسرائيليين : قال كورش ملك فارس جميع ممالك الارض دفعها الي الرب اله السماء وهو اوصاني ان ابني له بيتاً في اورشليم التي في يهوذا من منكم من كل شعبه . . . ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم الي في يهوذا فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله الذي في اورشليم وكل من بقي في احد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده اهل مكانه بفضة وبذهب

(١) أسس هذه السلالة هاجنيس سنة ٦٥٠ ق . م وأصله شيخ قبيلة فيسر كاد

Pasargadea

(٢) راجع عزرا ٥ : ١٤

وبامتعة وببهاشم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم (عزرا ١ : ٢ - ٤) وراجع سفر الاخبار الثاني ٣٦ : ٢٢ و ٢٢٣ .

وجاء في سفر اشعيا في الاصحاح الخامس والاربعين : هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت يمينه لا دوس امامه انما واحفاه ملوك الخ (١) . حصل اليهود على امنيتهم وظفروا بغيرتهم لم يرجع منهم الى فلسطين الا برض من عدد (٢) وسافر اول مرة برعاية زربابل ٤٩٦٩٧ شخصاً وتبعهم غيرهم . وكان الطاعنون من رجال الكهنوت واللاويين وخدمة الهيكل (٣) ومن الذين لم يكن لهم زرع ولا حرع ولا ملك ولا تجارة في بابل ومن الذين اغلقت في وجوههم سبل العيش وسدت ابواب الرزق واما رجال التجارة والاعمال والزراعة فلم يختاروا البقاء في بابل يرتعون في بحبوحة الهنا ويداهون في زيادة ثروتهم وانما غنائم تشهد بذلك اسماء الموقعين عقود البيع والشراء في عهد دارا (٥٢١ - ٤٨٦ ق م) وارتخششتا الاول (٤٦٥ - ٤٢٤ ق م) اذ فيها عدد وافر من الاسماء اليهودية (٤)

(١) القسم الاخير من سفر اشعيا من الاصحاح الاربعين الى نهايته وهو وان نسب الى اشعيا النبي القديم فله تأليف احد الكتبة الذين وجدوا في زمن الجلاء واتفق علماء الكتاب على ان يطلقوا عليه اسم اشعيا الثاني

(٢) Isidore Loeb : Reflexions sur les Juifs (٢) سفر عزرا

J. Vandervost : Israel et l'Ancien Orient (٤)

وكان لا حجام جاءت اليهود عن الرجوع الى اورشليم اسباب جمة ماعدا الاشغال منها ان قسماً منهم كانوا قد افروا الحياة البابلية وافروا البيشة التي نزلوها ومنهم من لم يكثر بالمواد الدين ومنهم من كان يتوقع نزول نبوت ومعجزات تنبيء نبأ واضحاً بزوال عهد الحلاء (١)

ومن حدسيات المؤرخين ان كورش امطر غيث جوده على اليهود مكافأة لهم على مساعدتهم الفرس في فتوح بابل او انه اراد ينشئ دولة جديدة في فلسطين تحت سيطرته تكون حداً فاصلاً بين الفرس والاصريين (٢) . وما زاده رافعة بهذا الشعب المشابهة الوجودية بين عقائد اليهودية ودين زرادشت .

ان هذه الاراء تحتاج الى تحييص ورباب في صحتها ولا سيما ان كورش اظهر مثل هذه البرودة لجميع شعوب بابل لابل جامل جميع الاقوام الذين دوخهم وعطف عليهم حتى انهم دعوا بالاعم .

ولما مات كورش وتيوا عرش الملك احشوريش وشي الوشاة باليهود الى الملك وقالوا له ان هذا الشعب كان في كل وقت يشق عصا الطاعة ويشور فان فسحت لهم في بناء اسوار المدينة ناروا عليك . فوجدت هذه الوشاة آذاناً صاغية من الملك وامر عماله في السامرة ان يوقفوا اليهود عن العمل . فنقدوا هذا الامر ولم يكن بناء الهيكل الا في البداءة .

وبقيت مقاومة السامريين لليهود في شأن بناء هيكلهم واسوار مدينتهم الى نهاية ملك

(١) Encyclopaedia Biblica P. 1108 .

(٢) P. M. Sykes : A History of Persia.

احشوريش وارتخششتا . وقد حاول بعض العلماء ان يقولوا بان احشوريش المذكور في كتاب اليهود هو قنبوسيا (١) وان ارتخششتا هو سمرديس (٢) .

ولما جلس دارا على اريكة الملك استأنف اليهود مساعدتهم عنده وبيّنوا له في السنة الثانية من ملكه ان رجوعهم الى بلادهم كان بمرسوم اصدريه كورش العظيم . وكانت نبوت حجي وزكريا قد ايقظت هذه الفكرة في ابناء قومها . فامر دارا ان يبحث عن هذا المرسوم ففتشوا في بيت الاسفار حيث كانت الخزائن موضوعة في بابل فوجدوا في احشا (٣) في القصر الذي في بلاد ماذي (٤)

(١) قد اخفق هذا الرأي اليوم . اما قنبوسيا فهو ملك من السلالة الكيانية وهو ابن كورش الكبير واما كسندانا من بنات الكيانيين . حكم ثلثي سنوات ٥٢٩ — ٥٢١ ق م .

(٢) سمرديس او غومانا Gaumata خرج على الملك قنبوسيا وحكم سنة ٥٢١ ق م . ومات فيها وعقبه دارا .

(٣) احشا هي مدينة اكبتانا وحمدان الحالية وكانت عاصمة بلاد ماذي .

(٤) بلاد ماذي . جاء ذكر ماذي والماذيين مراراً كثيرة في العهد القديم . ورد في سفر التكوين (١٠ : ٢) اسم ماذاي من ابناء يافث . وفي الملوك الثاني

(١٧ : ٦) (١٨ : ١١) في البحث عن اسرى اسرائيل الذين اسكنهم شلمنصر

ملك آنور مدن ماذي . وفي اشعيا (١٣ : ١٧) اذ قال تعالى هذا اخصب عليهم الماذهين

الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسيرون بالذهب وكذلك في السفر عينه (٢ : ٢١) اذ قال :

ان اليهود الذين اختاروا السكنى في بابل وبلاد ماذي أصبحوا في رخاء من العيش
في عهد خلفاء كورش لابل حازوا المناصب الرفيعة في قصر الملك في شوشن .
ومن من الفراء لم يسمع بحكاية استير اليهودية امرأة احشوروش الذي تبوأ عرش
ماذي سنة ٤٨٥ وكيف توسطت في خلاص شعبها من القتل وردت كيدهمان
في نحره وسعت في اتلاء كعبة ابن عمها مردوخاي عند الملك . وحصلت على امر
ملكي يحيز لليهود ان يدافعوا عن نفوسهم ان قام عليهم الفرس . فقتلوا من الفرس
في بلدان الملك خمسة وسبعين الفا (١) فيظهر من القتل ان عدد اليهود كان
كثيراً في بلاد ماذي حتى تمكنوا من قتل خمسة وسبعين الفا . ويحتفل اليهود
ذكرى هذا اليوم في الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار ويزيلونه منزلة
عيد قومي كما يحتفل الفريسيون باليوم الرابع عشر من شهر عموز « وهو عيد البوريم » .
ومن الذين نالوا في شوشن منزلة رفيعة نحميا بن حكليا من سقاة الملك ارتخششتا

اصعدي يا عيلام حاصري ماذي . وقال ارميا (٢٥: ٢٥) وكل ملوك ماذي وكذلك
جاء ذكر فارس مراراً عديدة كلها متحدة اتحاداً موثق العرى بماذي ولاسيما في كتاب
دانيال واسير . فلما ذيون والفرس الذين ذكرهم الكتاب المقدس كانوا يسكنون
في الاعصر التاريخية قسماً من بلاد ايران فقط . وهو القسم الذي يمتد من الغرب
الى الشرق من جبال الزفر الى الهندوكوش والاندس . ويمتد من الشمال الى الجنوب
من بحر قزوين وقفار توران الى خليج فارس .

(١) سفر استير

الاول . ولما علم نحميا من اليهود القادمين من اورشليم حال المدينة وماهي عليه من الخراب
نوسل الى الملك ان يحسن اليه ويرسله الى يهوذا ليقيم بناء وطنه فاجاب الملك ملتفتاً
واعطاه من كتب الوصايا الى اعمال مارمج بعينه (١) وذلك سنة ٤٤٥ ق م وبعد زمن
اي في سنة ٣٩٧ نشأ عزرا بن سرايا كاتب شريعة اسرائيل يغادر بابل ومعه ١٤٩٦
رجلاً و ٢٨ لاوياً و ٢٢٠ عبداً . وبعد سفر طال خمسة اشهر خط رحاله في اورشليم
وكان معه رسائل وصايا من الملك ارتخششتا الى اعمال الفرس في عبر الاردن ليعايدوه
ويدفعوا اليه ذهباً وفضة لبناء الهيكل (٢) . وكان عزرا المذكور مزوداً بالسلطة
الملكية الخارجية العادة لاصلاح شؤون اليهود في فلسطين (٣) كل هذه الحوادث تدل
على منزلة اليهود في بابل (٤) في عهد الدولة الكيسانية منزلة ليس وراءها مطالع لناظر
ولا زيادة لتزيد .

وتخلل حكم السلالات الفارسية المختلفة في العراق حملات قام بها اليونان والرومان
واستولوا على هذه الديار وسادوا فيها عهداً وتركوا من آثار حضارتهم ولاسيما من
آثار الحضارة الانثية قسماً وافراً في وادي الفراتين .

(١) سفر نحميا (٢) راجع سفر عزرا (٣) تبعنا في التفسير سني نحميا
وعزرا العلامة المسيو فان هوناكر الذي اثبت صحة هذا التفسير في فصول عدة نشرها
بعناوين مختلفة اقنعت العلماء الكنائسيين (٤) بطلاق التلمود اسم بابل على البقاع التي يرونها
دجلة والفرات وعلى كل بلاد النهرين وقسم من ارمينية الكبرى وعلى بلاد متاخمة لها
واقعة في شرقي دجلة (نقلاً عن كتاب لابور : النصرانية في المملكة الساسانية)

استولى الاسكندر الكبير على بابل بعد وقعة اربل الشهيرة سنة ٣٣١ ق . م . فاستقبله الاهلون على الرحب والسعة وصافح مثال الاله بيل وأمر ببناء الهياكل التي حطمها اخشورش فاعبه البابليون . وجاء في التاريخ انه اكره يهود بابل على الاشتراك في بناء هيكل « بيل » (١) وعاملهم بقسوة وجلدهم واغنىهم غرامة مالية الا ان اليهود تداركوا الامر واسترضوا الفاح الكبير فصالحوه ودخل عدد منهم في جيشه وحاربوا مع انقدونيين جنباً لجنب (٢) .

وقد روى يوسفوس المؤرخ في كتابه العادات اليهودية اموراً عن اليهود واسكندر وما قاله ان يهود اورشليم طلبوا الى الفاح ان يسمح لليهود في بابل وبلاذ ما ذم ان يسيروا حسب سنهم . الا انه لم يذكر احد كناية سيرة الاسكندر هذه المسئلة ولهذا ارتأى الاستاذ هوبلر ان الفقرة موضوعة وضعها اليهود المتأثرون اي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الاول بعد المسيح لكي يثبتوا ان علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الاسكندر . ان تاريخ يهود العراق يأخذ بنا في هذا الموقف الى الامام الى الحركة العظيمة التي انتهت فتوحات اسكندر الكبير في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وهي تألن (٣)

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب وقد ورد هناك تاريخ السنين غلطاً وصححه ٣٣١ — ٣٢٣ ق . م .

(٢) Jean Juster : Les Juifs dans l'Empire Romain T. 1. 265

(٣) عرب بعض الكتبة لفظة Hellenisme بالهلانية الا اننا نفضل تعريبها بالالانية لأن العرب عرفوا هذا القوم باسم « اللن » كما ورد في تاريخ ابي الفداء ج ١ ص ٨٤

الشرق اي نفوذ الافكار والآداب والحضارة الالانية على شعوبه ولغاتهم ولم يستثن من هذا النفوذ الشعب اليهودي ولغته . وقد كانت حصنة يهود فلسطين كبيرة من هذه الحركة . واما حصنة يهود بابل وبين النهرين منها فكانت ضئيلة . وقل من اهم مدرستها والتوسع فيها (١) .

وقد شاهد يهود بابل سلوقس (٢) ينقل حاضرة بابل الى مدينته الجديدة التي تبعد ٦٣ ميلاً عنها وانتقلوا هم ايضاً الى سلوقية عاصمة الدولة اليونانية في بلاد فارس الراكبة على شق دجلة . وكان يذشق منها نور مدينة جديدة يتدفق متصبياً على انهار ارض شومار القديمة وجناتها . فاضحت لهم مقاماً جديداً يأسون بغضارته ونضارته . وقد كان لليهود بابل في عهد السلوقيين منزلة كبيرة فكانوا يسكنون المدن الكبيرة مع بقية العناصر جنباً لجنب . وكانت لهم مدن خاصة بهم .

ومن الحجج الناصعة على منزلة يهود بابل وبين النهرين عند اليونان تلك الرسالة التي بعث بها انطيوخوس الثالث الملقب بالكبير (٢٢٣ — ١٨٧ ق . م) الى ذوش (زوكسيس Zeuxis) مرزبان ليدية اذ يقول فيها : لقد عزمت على ان اخذ من بين النهرين

(٢) بنى سلوقس مدينة سلوقية بين سنة ٣١١ و ٣٠٢ ق . م . وقد ارتأى بعض الكتبة ان الباعث الذي دفع هذا الملك الى بنائها كان ميلاً الى انتشار الالانية في البلاد وابعاد البابليين عن عاصمتهم القديمة التي كانت مركزاً للمأثورات البابلية والتقاليد الكلدانية .

وبابل التي اُمرت يهودية مع اجهزتها الحربية وابعتها حامية واضعها في المواقع المهمة كل الاحمى. وقد تحقق عند سلفي امانة اليهود وطاعتهم المأجلة للاوامر التي يتلقونها (١) رأى يهود العراق تقلبات الممالك ، وشاهدوا توالي الدول على هذه الاقطار ، وشاطروا حظوظ اهل هذه الديار ، وحضروا الخطوب الجسام ، والحوادث العظام. وما هو حري بالذكر انهم ابصروا نشأة الدولة البرثية (٢) واستيلاءها على العراق وما وقع في بعدها من الوقائع والاخبار .

أسس الدولة البرثية ارشك او اشك الذي كان يتولى زعامة طائفة من الناس خرجوا من سهول ايران ومفاوزها واجتاحوا بلاد البرنيين (٣) في منتصف القرن

(١) راجع Jean Juster : Les Juifs dans l' Empire Romain Tome. 2, 268

(٢) لا نجد ذكر البرث في كتب العرب لانهم دعوهم الفرس « بفتح الفاء » تمييزاً لهم من الفرس « بضم الفاء » الحقيقيين وعرفوا بملكهم الارشغانية نسبة الى زعيمهم المذكور ارشك او اشك او ارشاغ .

(٣) ان بلاد البرنيين الاصلية كانت واقعة في ارض خراسان الحالية اي انها كانت تمتد في الجهة الغربية من دامنغان في الدرجة ٥٤ والدقيقة ٢٠ من خطوط الاول وفي الشرق من هري رود اوهر هراة وكانت تشمل المقاطعات الحالية دامنغان وشاه رود وشيروار ونيشابور والمشهدونديشين وشيري نو وكان طولها من الشرق الى الغرب نحو ثلاثمائة ميل وعرضها يتراوح بين ١٠٠ ميل و ١٢٠ ميلاً تقريباً وعليه تكون مساحتها المربعة نحو ٣٣٦٠٠٠ ميل مربع .

الثالث قبل المسيح . وما زالت دولتهم تتسع بما كانوا يستولون عليه من اقاليم الدولة السلوقية واقطار الدولة اليونانية الباخية حتى ضمت ايام عزها بين احداثها كل مدن مملكة ايران الحديثة ومعظم بلاد الافغان وقسماً وافياً من تركية آسية ، واقاليم متسعة من املاك روسية الحالية . وترى من هذا الوصف ان بلاد ماذي ، والعراق ، وبابل ، وآثور كانت ايضاً من املاك تلك الحكومة او من الامارات المتعاقبة بها .

لم يكن للدولة البرثية نظام واحد يحكم به كل الاقطار وتسوس كل الشعوب الذين دخلوا في حوزتها بل كان نظامها يختلف باختلاف الاصقاع والاقوام حتى ان بعض المدن كانت مستقلة استقلالاً ادارياً وسياسياً ولم يكن للبرنيين عليها الا خراج تقاضاه . وكانت المدن التي شيدتها اليونان في العراق على هذا النمط ، ولا سيما سلوقية على شق دجلة .

وكان لليهود في المملكة البرثية ما يضيء ذلك الاستقلال والحكم الذاتي . ففي المدن التي كان لهم فيها طائفة كبيرة كان لهم استقلال بلدي ، وحق انتخاب قضاة ، وحارة خصوصية يسكنهاهم هذا كان شأنهم في بابل ، وسلوقية ، وطيسفون . اما في المدن التي كان يسكنها اليهود فقط فكان لهم من الاستقلال ما كان المدن اليونانية بدون فرق . وكانوا يقومون بأمور دينهم وشعائر مذهبهم بكل حرية . لا بل كان امير حدياب وهي عند العرب حزة (١) دان باليهودية في القرن الاول للمسيح وكان اسمه ايراط .

(١) جاء في معجم البلدان حزة بايدة قرب اربل من ارض الموصل كانت قصبة كورة اربل قبل .

وقد أرسلت أمه هيلانة بقمح الى اورشليم مساعداً لليهود في مجاعة حدثت هناك .
وللامير المذكور اخبار حروب لها منزلة خطيرة في تاريخ الدولة البرثية لاجل
الاستفاضة فيها هنا .

وقد اشتهرت مدينة نهر دعة على الفرات في تاريخ اليهود . كانت تلك المدينة
آهلة بالقوم وكانوا قد اتخذوها مركزاً لشعبهم يجمعون فيها حسنات يهود العراق
وبلاد ماذي وفارس ويرسلون بها بني جلدتهم في اورشليم مع جماعة من القوم يبلغون
نحو ٣٠٠٠٠ او ٤٠٠٠٠ رجل من جملة السلاح . وقد اشتهرت مدرستها الدينية
كما اشتهرت مدرسة سدرا . وتعرف عند العرب بسورا . ومدرسة بباديتا . وهي
حية الحالية على الفرات وكانت تعرف قبل عهد العباسيين باسم جبرة . (١) .

ومن غريب وقائع اليهود التي حدثت في عهد الملك اردوان الثالث (حكم من سنة
١٠ الى سنة ٤٦ بعد المسيح) ان اخون من اليهود واسم احدهما آسينا والاخر
آنيلا كانا من سكان مدينة نهر دعة قد شقا عصا الطاعة على الحكومة واقفا عصابة
من المتشردين وقطاعي الطرق اتخذوا مقامهم في صقع كله مستنقعات منحصر بين
ساعدين من سواعد الفرات واخذوا يهاجون القوافل والزراعة والتجارة وغيرهم من
سكان الاقاليم المتاخمة فيسلبون وينهبون ويتقاضون الفدية منهم . ولما تفاقم امرهم
وتعطّلت شرد شرهم بعث اليهم الحكومة البرثية قوة من الجيش للقصاص
والنأديب . ولكن الجيش مني بالهزيمة ورد على اعقابهم مندحراً .

(١) نبحث عن جغرافية هذه المدن في الفصل الآتي .

ولما كانت الحروب قائمة على ساق وقدم في المملكة وقد فتقت الفتوق على اردوان
الملك ارتأى ان يسلم العصاية ويتفق مع زعيمها فدعاها الى قصره واقام اسيناعلى
مرزبة بابل (١) . وبقي نحو ١٥ سنة في هذا المنصب الرفيع يعاونه اخوه انيلا في
مهمته . وهو يدبر امور مرزبته بغيرة لانكلى ، وعزم لايفل ، وحكمة لانيارى .
اما انيلا فانه بعد مضي ذلك الوقت شغف بأمرأة احد اشرف البرثيين . ولعب
الهموى بعواطفه فلم يمالك بل كاشف العباء لزوجها وقتله وتزوج بمدة حبيته
البرثية . واباح لها ان تقوم بشعار دينها الوثني في بيته . فاعتاظ اليهود من هذا
التساعل الذي ادخل به الوثنية في بيت اسرائيل . ورفعوا شكواهم الى آسينا
ورغبوا اليه ان يعصب اخاه على تطبيق امرأته فكاد يلبي طلبهم ، فشعرت المرأة
بما خبأ لها المستقبل من دواعي الغار فقتلت ساقها سرّاً بما دسسته له من السم .

فانتأثر انيلا بالسلطة بعد وفاة اخيه وربما كان ذلك بدون تأييد الملك له في
المنصب المذكور . ولم يكن حاكم بابل الجديد على شيء من الحجى والبرية بل غاية
ما كان قد عرف به ذنبه الميال الى الهب والغزو . فلم يستقر به الحال حتى سمح
لاصحابه ان يحتاحوا اراضي مرزبان مجاوره اسمه مهرداد (مژداد) . ولم يكن هذا

(١) كانت بابل تبعد من خليج فارس او من مصب الفرات الى اقصى حدود
الغريل الشمالية او الى جوار هيت على الفرات وسامرا على دجلة بمسافة تناهز ٤٠٠
ميل وكان متسع عرضها نحو ١٨٠ ميلاً ولا يتجاوز معدل عرضها ستين او سبعين
ميلاً ومن المحتمل ان مساحة ذلك القطر لا تزيد عن ٢٥٦٠٠٠ ميل مربع .

من اشراف البرتيين فقط او من عليه حكمهم بل كانت لجنة الذيب تربطه بيوت الملك .
وكانت زوجته بنت اردوان الثالث فقام بدافع عن حياض مرزبته وجهز الجيش
واعاد العدد ونزل ميدان القتال . الا ان الحاكم اليهودي هجم ليلاً على معسكره
على حين غفلة منه وكسر جيوشه ثم كسره واسره .

فأمر انيلا ان يجرد مهر داد (مترداد) عرباناً ويشهر رايكياً جازاً بمرأى من الجنود
وبعد ان حسه زمناً واذاقه من المذاب اطلق سراحه وسمح له بالرجوع الى مرزبته
فقص هناك على امرأته ما تكبره من الاجحاف والاعتساف والاهانة من انيلا .
فاظلت مروياته امرأته ونقلت عليها احاديثه فافتنعته ان يحشد جيشاً ويدقم من
ذلك العاني .

جئت جيوش مهر داد حملها على ابل الا ان القائد اليهودي دفنتمته كبراًؤه الى ان يترك
المستنقعات التي كانت لجيشه مقلاً طبيعياً وتقدم نحو عشرة اميال في مفازة وانهاك
قوى جيشه في اشتباكه مع عدوه اميداً عن ملاجه الطبيعية فانكسر
وولى الادبار .

فلما رأى انيلا فشله اراد ان ينتقم من سكان بابل لعلمه انهم خرجوا من
حكمه . فجمع عصابة من الزعائن واخذ يهدد البابليين وزعج راحتهم . فطلبه البابليون
من سكان نهر دجلة وجرت المفاوضة بين الطرفين واسفرت عن ان البابليين وقفوا
على احوال انيلا وعصابته وخفايا احوالهم فباعوهم ليلاً وهم سكارى او نائمون
وضربوهم ضربة قاضية فاصولوهم عن آخرهم .

انتهت حياة انيلا وعصابته ولسكن الولايات التي جربها على الامة اليهودية في العراق
بقيت تسحب اذياتاً من الهوان طويلاً . كان بين البابليين واليهود المقيمين في بابل
شيء من العداء الطبيعي لما بين القومين المتوطنين من الاختلاف في الدين والشعور
والعادات . وكثيراً ما كان يفضي الى نائرة تشور بينهم ان حانت الفرص . وجاءت
حادثة العصابة محرقة كوامن الضعفاء واراد البابليون ان يستأصلوا اليهود الا ان القوم
لما رأوا ضعفهم اخذوا يهاجرون جماعات والوفاء الى سلوقية المدينة اليونانية على دجلة .
وبذلوا وسعهم في ان يعيشوا بمؤاخاة اليونان والسريان سكان سلوقية لابل جاملوا السريان
اكثر مما جاملوا في اليونان . واتفقوا مع السريان على ان يخضعوا اليونان لهم . فامتعض
اليونان من هذا الوتر الما ليم وثقت وطأته عليهم . وحاولوا ان يجذبوا السريان الى
جانبيهم فنجحوا في مسعاهم وقبل مرور بضعة اشهر اقنعوهم على ان يهجموا معاً على اليهود .
ويقال ان الشعب العبراني خسر في تلك الوقعة نحو ٥٠٠,٠٠٠ شخص واضطروهم الى ان
يعبروا دجلة ويلقوا رحلهم في طيففون عاصمة البرتيين . ولكن لم يشبع غيظهم
بل سعوا في تخريب حواضر اليهود وحلوقهم على الظمن منها والسكنى في مدن صغيرة .
ومن الدول التي طمحت الى العراق ورامت الاستيلاء عليه الدولة الرومانية .
فان الانباطور طريانوس زحف سنة ١١٥ ب . م على بلاد بين النهرين والعراق
واستولى على الدائن وفي عهده قامت قيامة اليهود في مصر على وطنيهم الوثنيين
كما انهم تشروا لواء العصيان في بابل حيث كان عددهم وافراً (١) واصدر في ذلك

الزمن الانبراطور امراً بالتشكيل بهم فقتل لوقيوس منهم جاً غفيراً (١).

ولم تستقر احوال اليهود في عهد هدريانوس بل ثارت ثأرتهم واحتدمت ثأرتهم ولا سيما بظهور بر كوكبا النار الشهير في فلسطين الذي ادعى انه المسيح المنتظر وملاؤه في مدعيه عقيباً الربان سنة ١٣٤-١٣٥ ب. م قتل تلك الفتن في فلسطين اضطرت هدريانوس الى ان يسترجع جيشه من البلاد التي احتلها طريانوس وترك المدائن لاصحابها البرثيين (٢).

ان الرومانيين كانوا يهتمون بيهود العراق وبين النهرين وبحسبوت لهم حساباً لكنهم ولوجودهم في المملكة الفارسية وفي المملكة الرومانية (٣).

بحر بنا هنا ان نقول كلمة عن ظهور الدين النصراني وانتشاره في بابل وبلاد فارس وكردستان. فقد اجمع المؤلفون على ان اول الذين دانوا بالنصرانية في هذه البلاد كانوا من الجماعات اليهودية المبسوثة في الديار تشهد بذلك اسما الساقفة في صدر القرن الثاني قائماً اسماء يهودية وهم بقيدا وشمشون واسحق وابراهيم ونوح وهايل. وهؤلاء كانوا كلهم اساقفة اربل من سنة ١٠٠-٣٠٠ بعد المسيح (٤).

وعلى كل فان انباءنا التاريخية عن صدر النصرانية في هذه الاقطار ضئيلة جداً لا تروي

(١) يسينوس وتاريخ اوسابيوس

(٢) دائرة المعارف للبستاني مادة بر كوكب

(٣) Jean Juster : Les Juifs dans l' Empire Romain I, 212

(٤) السيد ادي شير : تاريخ كلدو وآثور المجلد الثاني ص ٨

غالباً. فقد ذكر في اخبار الرسل ان الذين كانوا حاضرين في عليقة صهيون كان بينهم القرثيون والمنازيون والعميلاميون وسكان بين النهرين. وعلى يدهم بشر بالدين النصراني هنا وبثت مبادئهم بين جماعة يهود الجلاء في بابل وبلاد الفرس الا ان نجاحهم لم يكن باهراً بادىء بدء. وقد جاء في التلمود الاورشليمي ان حناني بن اخي يشوع كان قد انضم الى الجماعة النصرانية في كفر ناحوم فاعتاظه من هذا العمل وحاول ان يمنعه من كل علاقة بالنصارى فارسله الى بابل لينقذه من كل تأثير نصراني (١).

في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٤ قاتل اردوان آخر الملوك الارشغانيين قتلاً نهائياً اردشير سليل ساسان فأخفق في ذلك القتال ووقع قتيلاً وانهمز رجاله شتاتاً يحمون باقطار ارمينية النسيعة. وكان منذ اثنتي عشرة سنة يرى اردوان تلك الثورة المشبعة من بلاد ايران تتقدم رويداً رويداً وقد حاول ان يقمعها بما لديه من الوسائل والاسباب فلم يفلح فانقرضت سلالة الارشغانيين وقام مكانها السلالة الساسانية. تلك السلالة التي بقيت ربة الحبل والعقد في هذه البلاد حتى ظهور الاسلام وكانت بحروب متواصلة مع الدولة البيزنطية.

لم يكن مؤسس الدولة الساسانية الملك اردشير من اصدقاء اليهود بل ممن ضيق عليهم الخناق وأمر باضطهادهم وسمح للمجوس بتعذيبهم والتشكيل بهم لأنهم كانوا قد ساعدوا الفرثيين في حروبهم مع اردشير (٢). وقال المستشرق فلده كه ان

(١) Graetz : Histoire des Juifs. T. 111, P. 51

(٢) J. Labourt : Le Christianisme dans l' Empire Perse

الفرس كانوا يسومون اليهود خسفاً لأنهم كانوا يحاولون أن يخلصوا من دفع الضرائب
إلا أن عهد الاضطهاد لم يدم بل تمكن اليهود من إرضاء ملوكهم وخطاب ودهم ونالوا
الوجاهة من حكم البلاد وتقربوا من السلالة المالكية . وكانت حالتهم متقلبة في
زمن الساسانيين بين راحة وقلق .

وجرت في هذا المظاوي حروب كثيرة بين الرومان والساسانيين وأمر شابور بن
أردشير (٢٤١ — ٢٧٢) الإمبراطور والرياحوس سنة ٢٦٠ م . فلما علم ذلك أذينة
صاحب تدمر بعث مديناً إلى شابور يتقرب بها إليه ويطلب منه الصلح والمعاهدة .
فلم يجبه بل أتى الهدايا في الفرات ومزق الرسالة . فاستاء أذينة من هذه المعاملة
الخطافية وغضب من شابور فحشد حلالاً جيشاً وتوجه توجاً إلى المدائن .
وحدث أن شابور رجع يومئذ من حرب الرومان فشلاً مذعوراً فرجع أذينة إلى
استقباله وأدركه قبل عبوره الفرات واجهز عليه وغنم أمواله وهزمه وعبر شابور
الفرات مدحوراً .

فاعتز أذينة ولم يلبث ثمانية أن حل على ما بين الهرين وفتح حران ونصيبين ثم
رجع إلى محاصرة المدائن . وشد أذينة الحصار على سلوقية .

وقد لحق اليهود من الأذى في هذه الحروب بما لا يسعنا وصفه ولا سيما في مدينتهم
نهر دعة . وقد أفاض مؤرخوهم في ذكر ذلك وتدوينه . ولا عجب في الأمر فإن
شعباً غريباً يسكن بلاداً أصبحت ميداناً للقتال وساحة للحروب كثيراً ما يكون
هدفاً لنظام حكم البلاد التي يسكنونها أو لفاتحين الغزاة الذين يحملون حلالهم الشعواء
عليها .

ولم يلبث اليهود أن أعادوا الأمور إلى مجاريها واسترجعوا ما كان قد حرّمهم إياه شابور
الأول . حتى أنهم تقربوا من السلالة المالكية ونالوا زلفى من أم الملك شابور الثاني
(٣٠٩ — ٤٢٠ م) وكان اسمها أفراهورمز فعاونتهم في أمورهم وسخرت
نفوذها على أبها إنك في أعلاء شأنهم هذا مارواه التلموذ . وقد روى كتابنا الارميون
الذين دونوا سير شهدائنا المسيحيين في بلاد فارس أن اليهود نذروا بهذا النفوذ ليشيروا
حقه الجوس (١) على انصار المذهب الجديد (٢) إلا أن روبنس دوقال يذهب إلى أن
هذه المهمة قد تكون غير صحيحة (٣) ولم يعزز قوله بمركان ما بل يلقى كلامه
على عواهنه . أما المحقق فلا يرى في أخبار الكتبة الاراميين من الغرابة ما يحمله على
تكذيبهم إذ أن كل مذهب جديد يلاقي شيئاً من الاضطهاد عند انتشاره ولا سيما
في تلك القرون المتسكمة في ظلمات الجهل والتعصب ويؤيد هذا الرأي الحوادث التي
وقعت بين اليهود ونصارى فارس (٤)

ومن الذين سمعوا السعي الحسن في توطيد أسس الوفاق وتمكين عرى الوئام بين
الفرس واليهود مار صموئيل رئيس مدرسة نهر دعة واقفني أثره بشو جادة فهدوا

(١) R. Duval : Littérature Syriacque P. 134

(٢) راجع قصص الشهداء بالسريانية تأليف مارمارونا أسقف ميفارقين وكتاب
الشهداء بالفرنسية تأليف دوم لكارك

(٣) R. Duval : Litt. Syriacque

(٤) ميامر افراخاط الحكيم الفارسي من مؤلفي القرن الرابع وغيره

الهدايا النفيسة الى حكم البلاد ولم يألوا جهداً في سبيل مجاملتهم وقد ابدوا من التساهل اعظمه مع النجوس فاكلوا ما كاهم وقدموا فحماً لهما كلهم (١) .

وقد قال كراتر عن اليهود في هذه الاقطار انهم كانوا عديدين ونظراً الى كثرتهم كانوا مستقلين استقلالاً يضاهي حالهم في وطنهم ولم يظهر خضوعهم لامراء البلاد الا يدفع بعض الضرائب مثل الجزية وضرائب الاملاك وكان لهم رئيس سياسي يدعونه راس الجالوت بعد من اقطاب الملكة الفارسية وله الرتبة الرابعة بعد الملك (٢) الا ان العلامة تليدة يرفض هذا التصريح . ومما ذكره التاريخ ان الملك بهرام جور (٣) نزع من براهام المئري اليهودي امواله ودفعتها الى ساقيه لبنك (٤) ان في عهد الملك بزدرج الثاني (٤٣٨ — ٤٥٧ م) وفي عهد خليفته هورمزد فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤ م) ثارت نار الساسانيين على اليهود واضطهدوهم . وكان هورمزد فيروز شديد الوطأة عليهم فعبثت الامة اليهودية في عهده ايام يؤس ولم تتنفس الصعداء الا بعد موته . فرجعت الامور الى مجاريها واستأنف القوم

(١) J. Labourt : Le Christianisme dans l' Empire
Perse

(٢) بهرام جور هو بهرام الخامس استولى على عرش الاكسرة من سنة ٤٢٠ الى سنة ٤٣٨ م وكان غليظ الاخلاق ينزع الى القلق وقد اضحى تاريخ ملكه اشبه شي بالروايات ومع اخلاقه القظة فقد كان رجل الشعب وكان موضوع اعجاب قومه وحبهم الا انه كان شديد الوطأة على النصارى فاضطهدوهم وعلى اليهود فسلبهم ما لهم

(٤) عن برهان قاطع نقلاً عن المعجم الفارسي اللاتيني مؤلفه Vullers

اعمالهم وتأسيس مجامعهم وانتخاب رؤسائهم .

وفي عهد قباد الاول (٤٨٨ — ٥٣١ م) القوا في السجن مار زوترا وبعض معلمي الناموس لانهم حاولوا ان يستقلوا استقلالاً سياسياً وبعد عذاب اليم ذاقوا مضضته حكم عليهم بالقتل حوالي سنة ٥٢٠ او ٥٣٠ قتلوا وهم اول شهداء اليهودية في بابل . ان اضطهاد اليهود كان يظهر حيناً بعد آخر في ايام بني ساسان الا ان الملوك الذين نبهوا عرش الاكسرة بعد فيروز هورمزد الثالث لم يتمكنوا من مراقبة اليهود مراقبة شديدة لانشغالهم بأمور ملكهم المتداعية الاسس . فكان اليهود يتحينون القرص وييمشون دعاة الى بني جلدتهم فيقتخبون راس الجالوت سرّاً . ويظهر انهم اعدوا نظام قومهم الى نصايه وازدهرت جامعتهم في عهد هورمزد وكسرى (١) ويعرف التاريخ اسماء غير واحد من رؤوس الجالوت (٢) من ذلك العهد ومنهم كفي وشينا .

(١) Mendelssohn : The Jews of Asia 219

(٢) راس الجالوت او امير المئقي - تعتبر بعض المأثورات يهوداً كيم آخر ملك من سلالة داود انه اول راس جالوت عرف . الا ان حقيقة الحال ان رؤساء الجالوت وصلوا هذه الدرجة من الغنى والسلطة تدريجاً ولم ينالوا الشهرة البعيدة الا بعد ان استولى البرثيون على بين النهرين .

وكان راس الجالوت في ايام عزه القاضي السامي لجماعات اليهود ولم تصيق الشريرة سلطته وتنظمها الا قليلاً راجع Graetz : History of the Jews 2, P 515

ماذا كان يعاطى اليهود من الاعمال والحرف في عهد الفرس ؟ هذا سؤال يدور في خلد كل من وقع بيده كتابنا هذا . فإماماً للفائدة نقول : ان اليهود منذ سبي بابل انقسموا فرقتين فرقة بقيت في بابل وفرقة رجعت الى اورشليم وكانت كل منهما ترسل الاخرى وتراجعها في شؤونها الدينية والادبية والسياسية والمادية . فهذا الافتراق يذر في قلوبهم حب الاسفار ومن ثم حب التجارة : ورسخ فيهم هذا الميل الى الاسفار والتجارة بعد تفرقهم في عهد اسكندر الكبير واذريانوس وطيطوس وغيرهم من الملوك الذين سعوا في تفريقهم وتشعبت الفتيمة ولهذا كان عدد غير يسير من يهود العراق نجاراً ومن المرجح انهم تعاطوا التجارة مع الهند واضحوا وسطاء بين تجار أوروبا وتجار الهند بمؤازرة بني جلدتهم في فلسطين وقد جاء خبر أسفار يهود بابل وفلسطين بالسفن الى الهند وبالقوافل الى قليقية وآسية

وقد جاء في المعلة البريطانية Encyclopaedia Britannica في مادة Exilarch ان في القرن السادس للميلاد بذلت المساعي لتأمين استقلال اليهود (Autonomy) بالقوة الا ان راس الجالوت الذي قام بهذه الحركة قتل وهو مار زوترا . وبقي هذا المنصب شاغراً الى عهد الوازعين العرب فرجع اليه حينئذ بهاؤه وان جميع رؤساء الجالوت الذين قاموا منذ القرن السابع للميلاد حتى القرن الحادي عشر كانوا من سلالة بستاني الذي بواسطته تجدد عز هذا المنصب وتأييد موقفه السياسي (سيأتي الكلام عن منزلة راس الجالوت في عهد العباسيين بعد هذا)

الصغرى (١) .

وكانوا يتعاطون الزراعة ويشتغلون بفلاحة الارض كما كانوا في عهد البابليين على ما مر بك في هذا الكتاب واحترفوا الحرف المختلفة كما تشهد بذلك اسماء ربانيتهم التي وردت في التلموذ منذ القرن الاول ق م حتى القرن الخامس بم . فمنهم الصائغ والحائك والصاغ والدباغ والاسكافي والبناء . وغيرها من الاسماء التي تشير الى حرفهم وتعرف صنائهم (٢) .

وعلى ذكر سفر اليهود الى الهند نقول ان فريقاً من المؤرخين يذهبون الى ان اصل يهود الهند الحاليين من بلاد فارس انحدروا اليها على طريق البر او انهم امعنوا في البحر فرست سفهم في سواحل ملبار . وقد درس هذا الموضوع المؤرخ جوست Jost واسفرت ابحاثه عن ان اصل يهود كرنكاتور وكوشين نتيجة تقيهم من بلاد فارس في عهد قباد ٤٨٨ — ٥٣١ ب م لابل انه قال ان مهاجري اليهود وصلوا ملبار نحو سنة ٤٢٦ ب م . وقد قالت المعلة اليهودية ان المرسوم الذي اعطاه احد امراء الهند الى اليهود يرتقي تاريخه الى بين سنة ٧٥٠ و ٧٧٤ ولا يزال نصه الاصل موجوداً على قطعة من النحاس . وقد قال المؤرخ جوست ان هذا المرسوم اعطي الى يوسف الرباني ورفقائه الذين اتوا من بلاد فارس (٣) ولا ننكر ان العلماء قد اختلفوا في اصل يهود الهند ومنشأ بلادهم قبل ان يحلوا في ذلك القطر الا اننا نرجح رأي

(١) Jean Juster. Les Juifs dans l'Empire Romain

(٢) Isidore Loeb. Réflexions Sur les Juifs

(٣) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 98.132

الدكتور جوست على أنهم رحلوا من بلاد فارس وبن يومئذ العراق من ضمنها .
 وكل يعلم أن نصارى العراق يسموا يديهم في بلاد الهند منذ القرون الاولى للنصرانية .
 ومن مآثورات الكنيسة الكلدانية أن مارثوما دور رسول الهند . وعلى رأي بعض
 المؤرخين الاوربيين الذين يرفضون هذا التقليد لا يقرون على انكار وجود جماعة نصرانية
 في الهند منذ اوائل القرن الرابع الميلاد . ورحل في سنة ٣٤٥ من بلاد النهرين
 وآثور وبابل نحو اربعمائة عائلة مع يوسف مطران الرها وكثير من القسوس والشمامسة
 وتوجهوا الى ملبار وزلوا في مدينة كرانكور وهناك بنوا بيوتاً وكنيسة برضى ملكها
 كما يستفاد من الأثر النحاسي الذي كان موجوداً لدى الملباريين في القرن الثاني عشر (١)
 فمن هذه الافاق التاريخية عن نصارى العراق وظمنهم الى الهند في القرون الاولى للنصرانية
 نستنتج ان اليهود هاجروا الى الهند من العراق وهذا مما يؤيد رأي الدكتور جوست .
 ولم يقتصر اليهود في الهند وحدها بل القوا عصا رحلهم في الصين وعهد نزولهم قديم
 وكان المآثور عند اسلاف يهود الصين الحاليين أنهم اتوا تلك الاقطار من ديار بلخ وبرثية
 استولى سلوقس الكبير عليها . وكانت التجارة مهنة الرحالين اليهود فسافروا اولاً
 الى سيلان ثم ذهبوا الى الصين فالفوها بيئة صالحة لأعمالهم فقاموا فيها .
 ويذهب كثرة أن المهاجرين اليهود الذين نزلوا الصين اولاً جاؤوا اليها من بلاد
 فارس على اثر الاضطهاد الذي ناله عامهم في سنة ٢٣١ م . (٢)

(١) راجع كتاب ذخيرة الازهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لمؤلفه

القس بطرس نصري المجلد الاول ص ٣٤٥

S. Mendelssohn : the Jews of Asia 133, 163

(٢)

اللغة العبرية وآدابها

في

بابل

انتقل معي إليها القاري إلى القرون الغابرة التي عقيت جلاء اليهود إلى بابل وتعال
زر وادي الرافدين ونظف المدن التي زلوها في عهد تفرقهم ذلك العهد الذي أطلق
عليه اليونان لفظة « دياسپورا » (Diaspora) . فالتفت على اتساع انتشارهم
في بين النهرين والعراق وبلاد ماذي وبلاد عيلام (١) وبعد هذا البحث المهم نعطف
نظراً على الشوط البعيد الذي قطعته اللغة العبرية وآدابها في بابل . وندخل المدارس
الدينية وننفق شؤونها ونرى علماءها الاعلام ورؤساءها العظام وما انتجته قرائهم
الوقادة من المؤلفات النفيسة التي طبقت شهرتها الخافقين ولا سيما كتاب التلمود ذلك

(١) ان بلاد عيلام كانت تشمل في العصر التاريخي الاقليم المعروف الان بـ « إيران »
ولورستان وبوش كوه وجبال البختيارية . وقال ديولا فوا Dieulafoy ان
حدودها تمتد في خليج فارس حتى جنوبي الهند . ويحدها في الشمال على وجه التقريب
الطريق الضيق للساغر من بابل إلى أكشانا (همدان الحالية) وفي الشرق كان ضمها
جبال البختيارية وقسم من اقليم فارس الحالي . وكانت تنحصر هذه الحدود بين امتداد
وضيق حسب قوة الدولة وضمها . وفي الغرب كان دجلة حدها أيامها واتساع
مطونها . وكانت عاصمتها شوشن .



الحاج الميرزا داود بن زيون اليهودي على يده تم إعداد هذا التمثال الرسمي
من الحكومة التركية

الكثرة الادبي والاجتماعي والديني .

تفرق اليهود بين النهرين في الرقة وكان اسمها عند اليونان Nicephorium
وسميت عندهم منذ القرن الرابع للميلاد Gallinieum . وجران وعرفت عند
اليونان بـ Charrae او Carrhe . وفي الرها وكرخ مغارة وهي قرب الرها .
وآمد . وتلا . وسنجار . والموصل . وبنوى . وحدياب . واربيل .

وفي العراق . في بابل وبرتا (١) ونقر (٢) وفيروز شابور ورنش Barnish
ومحوزة (٣) وسلوقية وطيسفون (٤) ونصيبين التي كانت في بابل وهي غير نصيبين

(١) ترك اليهود الكنى فيها لا حل بوليانس الجاحد على الفرس

(٢) قد مر الكلام على نقر في حاشية صفحة ٣٧ من هذا الكتاب فزيد على
ذلك ونقول ان اليهود والنصارى اعتبروا هذه المدينة مدفناً مقدساً لموتاهم . وقد عثر
القبابون في خرائبها على قبور فيها اقداح مكتوب عليها بالارمية والسريانية لوقاية الموتى
من شرور الروح الخبيثة وهي من القرن السادس للميلاد وبقيت المذبان تدفنان في الحلة
المقدسة حيث كان يقوم قديماً هيكلها العظيم حتى ما بعد القرن السابع للميلاد اي بعد
سقوط بابل بقرون عديدة وبعد اقواء نقر من سكانها راجع :

Morris Jastrow : the Civilisation of Babylon and Assyria
pp. 48,196

(٣) محوزة مدينة كانت قرب المدائن في الجانب الغربي من دجلة (٤) طيسفون احدى
المدائن السبع اصبحت في عهد الساسانيين عاصمة بلادهم وموقعها حيث يشاهد اليوم
ايوان كسرى وقبر سلمان الفارسي (سلمان باك)

المشهوره . ونهر دعة وبورسيديا وعباديتة وسورا : وسورا الفرات قرب سورا المذكورة
قبلا وماتا محساي بجوار سورا الفرات ، وشاف ياتيب .

وفي بلاد عيلام . شوشن ، وبيت لافط او جند بسابور وخاج في بلاد ماذي .

ان المدن التي اشتهرت بنوع خاص بالاداب العبرية وفازت بالفرج المعلي بعدارستها
وجامعاتها . وفاخرت الامم بعلمائها وادبائها هي نهر دعة Nardéa او Nardéa
وسورا Sora وعباديتة Pambaditha او Pumbaditha واذا ازهرت آداب
اللغة العبرية في بابل ووضحت هذه المنطقة منبعث انوار العلم ومطلع شمس المعارف التي
تألفت انوارها على العالم اليهودي فيجمل بنا ان نقف عندها قليلاً .

يظهر ان اسم نهر دعة كان يطلق على الصقع الذي فيه المدن المذكورة وغيرهما من
المدن التي اشار اليها التامود . ومن المرجح ان لفظ نهر دعة مؤلف من لفظين عبريين
مفادهما نهر الحكمة او نور الحكمة . اما مدينة نهر دعة فقد ذهب بعض العلماء
الى انها حديثة الحالية التي على الفرات . ويظن ان اول من قال بذلك دانفيل
« D,Anville » وقد استند في رأيه هذا الى تسمية جغرافي العرب هذا الموضع
« النور » وفي ذلك اشارة الى ازدهار العلوم فيه .

وصف يوسفوس في كتابه الامانيات اليهودية نهر دعة انها مدينة بابلية آهلة بالسكان
وفيها اراض واسعة مخصصة وجديرة بصد غارات العدو لانهما تحاذية بحدود مدينة
ونهر الفرات . وذهب بطليموس الى انها في صقع بين النهرين وعلق Cellarius
على كلام بطليموس وقال انها من المدن الواقعة بين حدود بين النهرين

وزادها الرأي بآخيا في القرن الثاني عشر وبالع في محيطها وقال انه مدير ثلاثة ايام وكل شيء فيها خراب يباب . وفي قسم منها يسكن جماعة من اليهود وقد ارونى كنيس « شاف ويانيب » لما اطلعتمهم على خاتم رأس الجامعة الذي يقيم في بغداد .

وقد تكلم عن اطلال هذا الكنيس القديم بنيامين النطيلي . وذكره التاموذ (روش هسانوا ٦٤٢٤ المجلة ٦٤٢٩) وارتأي الدكتور بنش Dr. Benisch ان معنى « شاف ويانيب » المدمر والمجود البناء .

وقد تنازعت اراء العلماء في رأي دقيق ومن لف لفه في ان الحديثة هي نهر دعة قنهم ابدوه . وقالوا ان جامعة تجمع بين هذا الصقع وصقع نهر سور الواقع في عبر الفرات من جانب بلاد العرب وكانت عليه سور احدى مدن الجلاء فهذا مما يلحق الى الامر ويؤيد توافق الاسماء .

اما الذين يجعلون نهر دعة في سهل بابل الغربي فيفضي بهم الامر الى ان يعتبروا بمباديثة هي الحديثة نفسها . وجاء في كتاب جغرافية التاموذ لنيبور « Nebauer » اسم بديثة Beditia وقيل ان معناه « نهر » او « العبر » وهناك علاقة مستحكمة العربى بين بديثة وحديثة وعلى رأي نيبور ان هذا الموضع كان حاضرة الجلاء (جولا) او « روش هسانا » ثم يصف نهر دعة على انها على بعد ٢٠ فرسخاً الى شمالي سورا . وعلى هذا القياس نرجع الى جبة . فتكون هذه المدينة قائمة على انقاض نهر دعة النابرة . غير ان بنيامين النطيلي يقول بان جبة هي بمباديثة عيها وان نهر دعة كانت

وزيادة على الايضاح نقول جاء في معجم البلدان في مادة بهقباد . اسم لثلاث كور ببغداد من اعمال سقي الفرات . . . بهقباد الاعلى سقيه من الفرات ودوسة طاسيج طسوج خطرنية وطسوج الهرين وطسوج عين التمر والفلوجتان العليا والسفلى وطسوج بابل والبهقباد الاوسط وهي اربعة طاسيج طسوج سورا وباروسا والحلة والبداة وطسوج نهر الملك . والبهقباد الاسفل خمسة طاسيج السكوفة وقرات باد قلبي والسيلحين وطسوج الخيرة وطسوج تستر وطسوج هرمز جرد . انتهى

والصقع الذي نشأت فيه المعاهد العلمية اليهودية هو الهقباد الاوسط وفيه سورا . وهي قرب الحلة الزبدية . وبمباديثة « ومعناها فم البدااة » وهي مدينة قد تكون جبة او البدااة او غيرهما بقربهما . وان نهر دعة هي الحديثة الحالية وهذا هو ارجح الاراء ولا بد هنا من كلمة عن اللغة العبرية وتأثير الارمية عليها . يذهب فريق من العلماء الى ان اليهود تركوا التكلم باللغة العبرية وجنحوا عن اتخاذها لغة التفاهم بينهم في احوالهم الاجتماعية منذ جلاء بابل فقط اي منذ القرن السادس قبل الميلاد . فهذا الرأي لا يقبل الا بحفظ شأن المذاهب التي تختص بظهور اللغات وموتها . وما لا ريب فيه ان اللغة العبرية الفصحى لم تبق لغة التأليف فقط بعد الجلاء . زمن طويل بل كان

(١) اعتمدنا في هذا المأخذ على : W. Francis Ainsworth : A Personal

Narrative of the the Euphrates Expedition. Chap XXI.

P 431 - 437

تتكلم بها على القوم وانما فهم . وبصعب مجازاة من ذهب ان جلاء فريق من اليهود الى بابل روحاً من الزمان لا يتجاوز خمسين اوستين سنة حرف لغة القوم لا بل املها وقلم عوضها لغة دخيلة اتخذوها لسان التفاهم بينهم كما القوا فيها عدة كتب مثل الترجوم والجومارا والمشنا والتلموذ . شاع هذا الرأي عهداً من الزمان وكان له انصار من العلماء استندوا الى شهادة التلموذ ولم يصبر هذا الرأي على نار التمحيص بل سرعان ما نقضت دعائمه وهوت اسسه ورجع عنه انصاره لاسباب علمية وهي :

(١) نخبنا التاريخ ان معظم المنفيين الى بابل كانوا من سادة القوم وعلمائهم ورجال الدين وارباب الفتاوى . وكانوا اودعوا اسرار اللغة المقدسة وزبدة آدابها والتقاليد الدينية وخلاصة ما ثورتها اما البقية الباقية في اورشليم فكانت تتكلم لغة دب فيها الدخيل والغريب من الالفاظ والمصطلحات .

(٢) ان احشكك الاسرائيليين بالارميين من شمالي مملكة اسرائيل عريق في القدم وان الاسرائيليين اخذوا منهم بعض الفاظ في ذلك الزمن .

(٣) يظهر ان اللغة الارمية كانت اللسان السياسي للدولتين الآثورية واليهودية منذ عهد الملك حزقيا راجع ٢ ملوك ١٨ : ٢٦ . ولما سقطت السامرة جلي اليهود من شمالي مملكة اسرائيل واسكن فيها طائفة من الناس يتكلمون الارمية .

(٤) في بعد بضعة اعيال من ارض مملكة اسرائيل القديمة كان اليهود يتكلمون لغة مؤلفة من العبرية والارمية . وقد حذا حذوهم سكان اليهودية وتبعوهم في هذا الميل الطبيعي فتبدلت اللغة العبرية باللغة الارمية . وقد جاء سبي بابل منشطا هذه

الحركة ليس الا . اما نحن فنذهب مع الفائزين بان اللغة العبرية الاورشليمية الفصحى حفظت في بابل اكثر مما حفظت في بلادها . وقد كتبت على ضفاف الفرات التآليف البديعة والمصنفات الجليلة في اللغة العبرية الفصحى . ومنها الفصول الممتعة المجموعة في سفر اشعيا من الفصل الاربعين الى الفصل السادس والستين وبعض الزامير وغيرها كما ترى (١)

ان الاداب التي انتجها العبريون في عهد ساداتهم في سهول الفرات ودجلة كانت في بعض اعتبارات من ابداع ما كتبه الشعب الصغير . فان حزقيال في بيئته الجديدة والغريبة اناه الوحي وكتب في القسم الثالث من كتابه منهجاً لشعب اسرائيل الجديد تنضات امامه مناهج سفر الاشتراع . وقد لاحظ دارسو التوراة في هذه السنين الأخيرة ان سفر الاشتراع يلزم كل لاوي بان يكون كاهناً اما حزقيال الكاهن فقد خالف نوا نص سفر الاشتراع واكتفى بالصدوقيين فقط من اللاويين ان يكونوا كهنة . وبهذا الاختلاف خرج على سفر الاشتراع وانكر سيطرته وسيطرة كتبه والملك عوشع الذي كان محاميه لابل وكان قد قاوم الشعب العبري جميعه ذلك الشعب الذي اعلن باتفاق مع الملك ان سفر الاشتراع يكون القانون الملكي والقومي الجديد للحكومة والعبادة .

واذ انتقلنا الى سفر اللاويين نرى الفصول العشرة من الاصحاح السابع عشر الى الاصحاح السادس والعشرين التي يطلق عليها « كتاب القداسة » انشئت في عهد

(١) E. Renan : Histoire Générale et Système Comparé des langues Sémitiques

الجللاء منذ القرن السادس قبل الميلاد وما بعده تتضمن خطة حياة تفوق الحياة التي سار فيها الشعب المنفي في بلاد يهوذا قبل سقوطه .

ان انظم تأليف جاء في آداب اللغة العبرية في عهد الجللاء لا بل من اعظم تأليف في آداب اي لغة كانت هو تلك القصيدة الغراء العالية التي بدأت في الفصل الاربعين من سفر اشعيا حتي نهاية الفصل الخامس والخمسين ومطلعها : (١)

« عزوا عزوا شعبي يقول الهكم »

ولقد يأخذ الباحث العقاد العجب من ان هذه القصيدة الفريدة كتبت في ارض المنفى لما كان الشعب اليهودي يذوق ماض الحياة وآلام الغربة في سهول بابل الشاسعة . وبيت القصيدة فيها ان المؤلف يحرض المنفيين على الادعاء بالحرية ويستنهضه الى المطالبة بالخلاص . يتناديهم بالرجاء والامر ، ويحم عليهم السير في القفار المهلكة حتي يغضي بهم السير الى ارض الوطن القديم ارض يهوذا ! فتقرع عيونهم هناك بالمشاهد الفاتنة بروية المزارع القديمة والكنوز الجلية ، بالديار العزيزة وعقدس صهيون التي حنت اليها قلوبهم . كتبت هذه القصيدة على ما يظهر حوالي سنة ٥٦٠ ق م لما حمل كورش الفاتح العظيم على اعالي دجلة واراد ان يستولي على الغرب فامعت بارقة الرجاء للمؤلف وتوقع ان ينزل الفاتح الى الجنوب ويستولي على ارض بابل ومدينها وكنوزها . فلخصيف تلك الوقائع ويتوقع زوال الأسر (٢)

(١) راجع الحاشية الاولى من ص ٦١ من هذا الكتاب عن مؤلف هذه الفصول .
(٢) A. Duff : History of Old Testament Criticism PP. 32, 34

ويمكننا القول هنا مع ارانت رينان : اوضحت بابل لابل المدن التي تحيط بهذه المدينة العظيمة حاضرة ثانية لما ثورات اليهود ولعنهم وعظم شأن قطر بابل وزادت خطورة في تاريخهم القومي بعد ان خرب الرومان اورشليم فاصبح آئذ مقرهم ومقام آدابهم اللغوية وقدارتاي المستشرق اوالدان في بابل وضعت اساس درس اللغة العبرية درساً علمياً منذ القرون المتوغللة في القدم ولا نخطئ الحزن ان قلنا ان في هذه الديار خفظت تقاليد اليهود بعد ان تكبت مرتين في غضون سبعة قرون وكاد يتفقد ظلها من اورشليم . (١)

وقد اشتهرت في العراق مدارس اليهود الدينية ولا سيما مدرسة نهر دعة وسورا وبباديتة مدرسة نهر دعة كانت مركزاً مهماً لليهود تجمع فيها هدايا يهود بلاد فارس وبين النهرين وبلاد العرب لهيكل اورشليم ومدارسها . (٢) كما مر بك في صفحة ٧٠ من هذا الكتاب ونالت مدرستها صيتاً بعيداً منذ القرن الثاني للمسيح ولم يطل امدها طويلاً بل خربت المدينة في سنة ٢٥٩ م . (٣)

اما مدرستا سورا وبباديتة فقد ذاعت شهرتهما في اربعة اقطار المكونة وحصلتا على منزلة سامية في آداب اللغة العبرية واضحي رؤساؤها انواراً يستضيء بهلومهم العالم اليهودي عدة قرون وانتجوا ذلك التأليف العظيم الذي اصبحت مرجعاً للتفسير

E. Renan : Histoire Générale et Système Comparé (١)
des langues Sémitiques.

(٢) راجع ص ٧٠ من هذا الكتاب

S. Mendelssohn : the Jews of Asia 214 (٣)

الدببية والمعاملات الدينية أريد به التلموذ البابلي .

كان مؤسس مدرسة سورا في بابل الراب الشهير المعروف برابن عريقا . وكان قد عينه راس الخالوت مفتشاً لاسواق بابل . ويظهر أنه استقال من وظيفته هذه عند تأسيس المدرسة سنة ٢١٩ م . ورأس ١٢٠٠ تلميذ قام باود عدد منهم لانه كان من رجال اليسار واصحاب الاملاك الكثيرة . وقام باصلاحات عديدة فاحترمه جميع سكان المملكة .

ومن معاصري راب الموما اليه مار شموئيل الفلكي المتوفى سنة ٢٥٤ م فاهما افادا بمساعيهم يهود بابل واصلحا حالتهم الادبية وبثا بينهم حب الدرس والوقوف على الشريعة حبا حلقهم على ان يحقنوا الجهال الذين لم يطلعوا على آداب اللغة العبرية وتاريخ اليهود . وكان تضلعهما عظيماً من الشريعة كما ان اختلاف نظريهما في المسائل كان كبيراً ولما دون التلموذ بعد ذلك رى ان جامعيه اذا ارادوا ان يؤيدوا بعض المسائل فيه قالوا : ان الراب ومار شموئيل اتفقا عليها .

وفي ختام القرن الثالث للميلاد قدرت جامعة سورا رجلها العظيم وعميدها الكبير من كان قد البسها ثياب العز والفخر اريد به ناحونا الثاني خليفة راب الذائع الصيت (١)

وقد عرف بضع مئات من العلماء الاعلام الذين خرجوا من مدارس سورا وعباديتة على مختلف المصور لان هاتين المدرستين بقيتا نحو ثمانية قرون منبعت العلم الديني لليهود

ونخص بالذكر في الحقبة التي سبقت عهد التلموذ البابلي ربا بن نحمان المتوفى حوالي سنة ٣٣٠ م وقد لقب بـ قلاع الجبال . نظرأ الى لياقته الاسانية . فان مجادلاته مع رابي يوسف بن حيا ومجادلات تلميذيهما ايذا ورخا هي من اهم قوام الباحثات الدقيقة في الجمارة البابلية .

واشتهر في القرن الرابع للميلاد رئيس مدرسة عباديتة يوسف برشيجا وقد نسبت اليه الاقتباسات الواردة في التلموذ من تراجم (جمع ترجم) الانبياء . وبقيت العلوم زاهرة في بابل بعد ان خبا نورها في فلسطين وفي عهد راب آشي الشهير رئيس مدرسة سورا (٣٥٢-٤٢٧) تمت خطط التلموذ البابلي وذلك نحو قرن بعد ان تم التلموذ الفاسطيني . والرأب آشي وان اعتبر مؤلف هذا السفر النفيس الا انه في الحقيقة ليس عمل رجل واحد ولا تأليف مدرسة واحدة . فان جمعه دام سنوات عديدة بحماية رؤساء المدرسة وليس بمشارفهم او بنظارتهم مباشرة . ولم يذكر آشي اسمه فيه الا لانه آخر من عمل فيه . وقد جاء بعده طلمان انجزا نهائياً التلموذ وهما الربا توسيافا Tosephania (المتوفى سنة ٤٧٠) ورايينا اي راب ايينا (المتوفى سنة ٤٩٩) ولهذا جاء في التاريخ ان تلموذ بابل انجز في اليوم الثالث عشر من شهر كسلو واليوم الثاني من كانون الاول سنة ٤٩٩ م .

ان نظام الجامعات كان مؤسساً على اسس تفيد الدارسين والعوام . وكان دستورهما ديمقراطياً . ومن اهم احوالها الاجتماع العام المدعو (كله) الذي كان يقيم مرتين في السنة اي في شهر ايلول عند انقضاء الصيف وفي آذار عند انقضاء الشتاء . وكان يحضر

هذين المؤتمرين العلماء والدارسون من كل صقع وحذب على اختلاف أعمارهم وتباين درجات علمهم . فتهاوت الاسئلة من كل جانب على ذلك المؤتمر . فيتناقش الأعضاء فيها ويقتنون ويوقع تلك الفتوى بعد البت فيها رئيس الاجتماع « ريش كله » وكانت منزلته بعد رئيس « الجلسات المدرسية » « ريش متبنا » . وعليه فقد كانت الجامعات البابلية بمنزلة مدارس خصوصية للشريعة وجامعات او دور ندوة للشعب (١)

واذا افضى بنا البحث الى المشنا والحجارة والتلموذ وجب علينا ان نقف عندها ونبحث عنها بحثاً مجملًا على قدر ما يتحمله كتابنا هذا فنقول : ان التلموذ اسم عام للمشنا والحجارة ويطلق بنوع خاص على الحجارة وحدها ولا سيما التلموذ البابلي . اما « المشنا » او الشريعة الشفهية فقد اختلف علماء اليهود في اصلها فمنهم من رقلها الى عزرا ومنهم الى سليمان وداود ومنهم الى موسى . والذين عزوها الى موسى اختلفوا في الرأي فذهب فريق منهم الى انها سلمت اليه كتابة كما هي او خلاصتها وفريق الى

(١) ان رؤساء اساقفة الكنيسة النسطورية كانوا يعقدون مثل هذه المؤتمرات او السندوسات مرتين في السنة في عهد البطريرك بابي ٤٩٧ - ٥٠٢ فكان كل رئيس اساقفة يجمع اساقفته مرتين للمفاوضة في شؤون اقليمه ثم اقتصروا على الاجتماع مرة في السنة في شهر ايلول وذلك في عهد البطريرك حزقيال (٥٧٠ - ٥٨١) راجع السندوسات الشرقية طبعة شابو (ص ٣١٣ وص ٣٨١) ورسالتنا في جريدة « صدى بابل » العدد ٥٧ من سنتها الثانية بعنوان « احوال السكندان على توالي الازمان » .

انه تلقاها مشافهة . ونحتوي على احكام دينية وقضائية تفسر احكام شريعة التوراة او شريعة موسى . ومعهما مكتوب باللغة العبرية التي كانت جارية بعد النبي ونقسم الى ستة اقسام (سداريم) الاول يبحث في الفلاحة (زراعيم) والثاني في الاعياد والمواسم (موعيد) والثالث في النساء وحقوقهن (ناشيم) والرابع في العقوبات (اذكين) والخامس في الذبائح والضحايا (قادشيم اي المقدسات) والسادس في الطهارة والنجاسة (طهوروت) .

ويقسم كل قسم من هذه الاقسام الى عدد معلوم من الرسائل (ماسكتوت اي انسجة) والرسالات الى فصول (براكيم) والفصول الى فقرات او قضايا . ولا محل هنا للافاضة في كل واحد من هذه التقاسيم .

فالتلموذ الفلسطيني يذكر كل فقرة او قضية من المشنا ويرددها بالحجارة . اما التلموذ البابلي فيكتفي بالاشارة الى صفحة المشنا ويقف بالحجارة ثوابا ويشير الى كل وجه من الصفحة بـ (ا) و (ب) . والحجارة البابلية او التلموذ البابلي يبحث عن ٣٦ رسالة ونصف من المشنا . ولغته الارمية الشرقية (التي تضاهي الارمية المندائية) والتلموذ الفلسطيني مكتوب بالارمية الغربية (التي تضاهي ارمية الكتاب المقدس او ارمية التراجيم (جمع ترجوم) الا قسم الباريثا فله بالعبرية . وان كان عدد الرسائل التي يبحث عنها التلموذ البابلي اقل من التلموذ الفلسطيني الا ان حجم الاول يفوق حجم الثاني نحو ثلاث مرات . وقد قال احد الرابانيين ان الشريعة المكتوبة هي ماء والمشنا خرة والحجارة شراب معطر تقيس كل النفاة (١)

وقد تضاءلت أنوار التلموذ الفلسطيني أمام التلموذ البابلي . فنسأل هذا
 منزلة سامية عند علماء اليهود ولا يزال كذلك الى يومنا هذا . وان استعمل حيناً
 القرايون التلموذ الفلسطيني في مجادلاتهم . (وسيأتي ذكر القرائيين في حينه)
 تضم حقبات العلوم الدينية عند اليهود بعد المسيح الى « عمورايم » اي متكلمين
 او مفسرين وهم العلماء الذين ظهر واحوالهم سنة (٢٢٠ - ٥٠٠ ميلادية) فانشأوا الجمارة
 واتمت حقبتهم بانتهاء التلموذ . ثم جاءت بعدهم حقبة « السابورائي » اي الشارحين
 او المرتئين ودامت هذه الحقبة نحو اربعين سنة (٥٠٠ - ٥٤٠ ميلادية) وقد
 اضافوا على التلموذ بعض اضافات من عندياتهم للشرح وللقصايا الجديدة .
 وجاء بعد حقبة السابورائي « حقبة الغاوونيم » وهم رؤساء مدرستي سورا وبنهادية
 في بابل . وغاوونيم جمع « غاوون » ومعنى هذا اللفظ العبري « المتفخم » وهذه الكلمة
 وان كانت قديمة العهد الا انها اطلقت بنوع خاص على رؤساء المدرستين منذ اوائل
 القرن السابع للميلاد الى القرن الحادي عشر اي نحو اربعمائة سنة ونحو . وقد
 اختلفت منزلة الغاوونيم باختلاف الدهور والاشخاص الذين تولوا هذا
 المنصب .

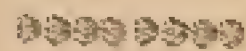
وقد خلف كثيرون من الغاوونيم مصنفات جليلة اشتغلوا بها فرادى وانفسها في
 عيون اليهود بالنظر الى اتساع الآداب عندهم هي مؤلفاتهم الموضوعة على طريقة السؤال
 والجواب ولا سيما تلك التي تعالج ابحاث الهلأقا . (١) وكانت ترد اليهم هذه الاسئلة من اقطار

(١) الهلأقا « Halacha » القانون العرفي المختص بالحياة والقضاء والقدر .

مختلفة . فلما يجيب عنها الغاوونيم بنفسه ويثبت فيها بثناً منفرداً واما يكون الجواب
 خلاصة المناقشة التي تدور حول الموضوع بين اعضاء المدرسة . واول ظهور هذه المصنفات
 كان في القرن السابع بقلم مار راب ششنا وآخرها في عهد حي غاوون المتوفى سنة ١٠٣٨
 وكل المؤلفات التي ظهرت في تلك الاثناء هي مشحونة فوائداً أدبية .

ومن جملة مؤلفات القرن الثامن كتاب الاسئلة (شاليتوت) من آثار راب احي صبحا
 وان لم يكن غاوونياً فالمرجح انه من مدرسة بنهادية . كان احي صبحا عالماً من اشهر
 العلماء التلموذيين ولم يظهر تأليفه المذكور وهو مجموعة أناشيد عن الشريعة اليهودية
 والاخلاق الا وشاع تدريسه وتناقلته افواه العامة . والمشهور ان هذا التأليف اول
 سفر كتبه عالم يهودي بعد انتهاء التلموذ .

نسكتفي بما ذكرناه عن الآداب العبرية في بابل في هذا الفصل الموجز لابل موجز
 الموجزات وعن مدارسها ولكننا سنذكر في مطاوي بحثنا في كل عصر بعض العلماء
 الذين نبغوا في غضونهم .



يهود العراق في عهد العرب

عرفت اليهودية في بلاد العرب في عهد الجاهلية . وقد كان لليهود في تلك الجزيرة جماعة ضخمة قبل ظهور النصرانية بنصف قرن . ويدعي يهود اليمن ان اجدادهم طعنوا الى ذلك القطر منذ عهد سليمان الحكيم . ومن ما ثوراتهم المرجح قبولها ان طارئة منهم جئت اليمن قبل خراب الهيكل الاول باثنتين واربعين سنة وزعم ان ارميا النبي نزل اليمن على راس ٧٥٠٠٠ يهودي بينهم الكهنة واللاويون . وان عزرا الكاتب قبل ان يرجع الى اورشليم في عهد كورش (٤٥٨ ق م) عطف على بلاد العرب واراد ان يقنع مهاجري اليهود بالرجوع الى وطنهم قابوا . وبعد ستة قرون من ذلك التاريخ رى القوم في اليمن رابعين في مجبوحه الهناء ويقال ان في القرن الثاني للميلاد هاجر اليه طارئة كبيرة منهم (١)

ويقال ان اليهودية كانت منتشرة في اليمن على عهد الملك « ياسر انعم او انعم الانعام » الذي امر بنصب صنم نحاس وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكافن احد ذلك فيعطب . وقيل ان وراء ذلك الرمل قوماً من أمة موسى . وهم الذين جاء عنهم في الآية : ومن قوم موسى امة يهدون بالحق

وبه يعدلون (سورة الاعراف) والله اعلم . (١)

وقيل ان انتشارها كان في عهد خليفة ياسر انعم وهو تبع وهو تبيان وهو اسعد ابو كرب . ولا يعلم بالضبط زمن ملكه فمنهم من قال انه في اوائل القرن الثالث للميلاد ومنهم من ذهب الى انه كان في القرن الرابع . وقيل انه يهودي على ايدي حبرين من بني قريظة اسمهما كعب واسد وهو الذي ادخل اليهودية الى بلاد اليمن (٢) وتولى في اوائل القرن السادس للميلاد عرش اليمن الملك الشهير ذو نواس وكان يهودياً وحمل على نصارى نجران واستظهر عليهم وخيرهم بين اليهود والاختود فاستجاروا بالحبشة فاجاروهم وحلوا على ذي نواس وتغلبوا عليه وعلى قومه وقيل انه لما رأى ذلك ركب فرسه وانغرق نفسه في البحر (٣)

وانتشر الدين اليهودي في قبائل من العرب في نجر وبنو كندة وبنو الحرث بن كعب وكندة (٤) . وقد قام منهم شعراء مجيدون لهم قصائد حسان صحبحة السبك مرصفة المعاني كالوس بن دني من قريظة والربيع بن الحقيق من روبا قريظة وكعب بن الاشرف بن النصير وابي الزناد اليهودي . وغيرهم من الذين وصل اليها ذكرهم او من الذين انقطع عنا خبرهم (٥) . ومن يهود الجاهلية ذلك الشهم المكرم الذي سارت الركبان بذكره وضربت الامثال في سماحته ووفائه السموأل بن عاديا صاحب القصر الابلق في تيماء وقد مدحه الاعشى في قصيدة منها :

(١) الكامل لابن الأثير ج ١ : ١٠٨ (٢) الطبري ج ٢ : ٩٥ و ٩٦ (٣) الطبري ج ٢ : ١٠٧ (٤) المستطرف للابشهي الجزء الثاني ص ١١٤ (٥) الاغاني ج ١٩ : ٩٤

كن كالسموال اذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
فبك غير طويل ثم قال له اقبل اسيرك اني مانع جاري (١)

وكان بينهم رجال حرب وطعان اظهروا في وقائعهم في صدر الاسلام قدرة على
القتال وزرعاً الى اتخاذ السلاح ورياسة جاش اسهب في وصفها كتاب العرب وودونوا
خواتمها في كتبهم (٢) وتعاظم يهود بلاد العرب التجارة حتى انهم احتكروا بيع
السلع في يرب لان رؤوس اموالهم كانت تساعدهم على الاحتكار (٣)

كانت حالة اليهود في الشرق في مفتح القرن السابع على مامر بك في الفصول
السابقة . وكانت دولتان عظيمتان تتنازعان النفوذ في العالم وكل منهما تحاول مد
سيطرتهما على الاخرى وتسعى الى توسيع نطاق ملكهما اريد بهما دولة الرومان ودولة
الفرس . وكانت دولة ثالثة دون الاثنين في الحول والطول ولكنها كانت تجمع
قواها من حين الى آخر وتزل ميدان الاعتراك الا وهي دولة الحبشة .

ولما كانت الامور سائرة هذا السير انبعثت من بلاد العرب قوة عظيمة قلبت
العالم ظهراً لبطن وبرز من مفاوز الحجاز رجل فتح صحيفة جديدة في تاريخ الدين
والمجتمع والسياسة وهو النبي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب رسول العرب . فبث
دعوته ونشر الاسلام في المسكونة .

(١) الاغانى ج ١٩ : ١٠٠ (٢) الطبري ج ٢ : ٢٩٧ وج ٣ : ٢ و ٥٢ و ٩١

(٣) تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٣٨

واذ كان لكل دعوة من مبادئ تعزذ كيانها وتسند قوامها وتضمن سلامتها
ولكل ملة شرائع تنص بواجبات المال الاخرى وحقوقها وقد اودعت للاسلام تلك
الشريعة سورة التوبة .

سارت الكتائب الاسلامية من بلاد العرب وتوجهت الى العراق بقيادة سعد
ابن ابي وقاص في عهد الامام عمر بن الخطاب وفتحت الخورنق والحيرة والقادسية
وبهمشير والابوان واسبائبر (١) وكل بلاد العراق ودكت معالم الفرس واستولى المسلمون
على العراق وسكانه . فكان نصيب اليهود كسائر اصحاب الاديان في هذه الاقطار
فمنهم من دانوا بالاسلام ومنهم من ادوا الجزية .

ويظهر ان اليهود والنصارى في العراق استبشروا بالفتوحات الاسلامية وساعدوا
الفاحين المسلمين اهل التوحيد لانهم كانوا يستغلون وطأة حكم الفرس الوثنيين
ولا سيما في اخريات ايامهم حيث كان الضعف قد فشا في دولتهم .

جاء في تاريخ اليهود ان البستاني (٢) راس الجالوت ارنى الامام

(١) اسبائبر معناها مدينة الخيل لان (اسبان) الخيل و (بر) المدينة باللغة
الفارسية القديمة . فقد اخطأ اذاً من قال اسبائبر كما جاء في كتب كثيرة . وقد هدانا
الى هذا التصحيح حضرة استاذنا العلامة الاب انتاس الكرملي .

(٢) البستاني هو راس جالوت على اليهود بعد الفتح الاسلامي تولى هذا المنصب
في منتصف القرن السابع للميلاد . وهو الذي اعاد مجد رئاسة الجالوت بعد ذواله .
وبقى هذا المنصب في اعدائه بتوارثه الخلف عن السلف عهداً طويلاً

عمر بن الخطاب وخدم المسلمين خدمات جليلة . فتقديراً لذلك الخدم انعم عليه
بعهدة (١) اودعها وصايا بحق اليهود . وقبل منصب رئاسة الخالوت واقرب بمنزلة
وسلطته على ابناء قومه (٢)

ان الامام عمر بن الخطاب حم على اهل الذمة في العراق جزية رتبها كما يلي .
قسم القوم ثلاثة صفوف : العلية والاوساط والسواد وكان يتقاضى من كل نفر من
علية القوم جزية قدرها ٤٨ درهماً ومن الاوساط ٢٨ درهماً ومن السواد ١٢ درهماً
في السنة (٣)

وفي عهد يزيد الاول الاموي ومن عقبه من الخلفاء تولى عاش اليهود في العراق
في هدوء وسلام (٤) وكان لرأس الخالوت نفوذ على ابناء قومه نفوذ السلطان .

وظف المسلمون اليهود في صدر الاسلام . لما كان موسى الاشعري والياً على البصرة
كان له كاتب يهودي يعتمد عليه في شؤون الولاية ويركن اليه ولا يشق بغيره . فبلغ

(١) كثيراً ما ورد ذكر اليهود التي اعطاها الخلفاء الراشدون للنصارى واليهود
ولكن رجال التحقيق والتدقيق ينكرون صحة هذه اليهود مستنديين الى درس
نصوصها . وقد ثبت عندهم ان انشاء اليهود لا يوافق انشاء زمان الراشدين وبين اسماء
الشهود الذين وقعوها من فور انقضت آجالهم قبل تاريخ التوقيع .

(٢) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 220

(٣) كتاب نزهة القلوب الفارسي لمؤلفه حمد الله المستوفي القزويني ص ٢٩ من

طبعة لندن

(٤) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 221

الامام عمر عنه مادعا الى طاب عزله فتوقف ابو موسى عن اجابة الامر معتذراً بأنه
لا يجد لديه من يقوم مقامه سواه فعادوه عمر بالامر وبقي ابو موسى على رأيه . حتى
كتب اليه مرة ثالثة .

ولما خط المسلمون الكوفة لم ينتقل اليها احد من اليهود بل بقوا في الحيرة وقد وقف
سنة ٧٧ هجرية الحجاج بن يوسف الثقفي على المنبر في الكوفة وقال يا اهل الكوفة
لا اعز الله من اراد بكم العز ولا نصر من اراد بكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا
معنا قتال عدونا ازلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى .

وجاء في رواية عن الواقدي ان في سنة ٢٠ اجلى يهود نجران الى الكوفة . وعلى
كل حال لم يطل الامل على انشاء الكوفة حتى نزلها اليهود وازهرت جماعتهم فيها .
جاء في اخبار ابي العباس السفاح رأس الدولة العباسية انه نزل عليه في الكوفة عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي مناظرة في الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان به خفياً
هل في نفسه شيء يشبهه فيبلغه اياه فقال له قد بانفت في اكرامي واجلت في حاتي ولكنني
مازلت اشتهي ان يجتمع لي مرة الف الف دينار . فقال ابو العباس لا يوجد يا اخي
هذا المقدار في بيت مال المسلمين ولكن انتظري ريثما اندارك لك ثم ارسل السفاح
من فوره الى رجل تاجر يهودي فاقترض منه هذا المال الجسيم (١)

ولما عمرت بغداد سنة ١٤٦ هجرية (٧٦٣ م) تجلب اليها الناس من كل صقع
وقطر للارتفاق والتجارة والادب وبينهم المسلم والنصراني واليهودي والصاني والسامري

والمجوسي واليوزني وغيرهم . ولم تنفرد بغداد وحدها بهذا الامر بل كانت البصرة والكوفة في العهد العباسي الاول على هذا المنوال من تجمع اهل الملل والنحل على تباين مذاهبهم (١) .

وفي النصف الاخير من القرن الثامن للميلاد نشأت في بغداد بدعة القرائين على يد عنان الشهير (٢) فانه بعد ان فشل من الارتفاع الى منصب رئاسة الجالوت لفساد سيرته وسوء اخلاقه وقلة تقواه واقام اليهود بكاهن اخاه الصغير حنانيا عادي فرقة الربانيين التي كانت صاحبة الكلمة الراجحة في قومهم وخرج عليهم بدعته الجديدة . ونادوا اتباعه رأساً للجالوت .

فقامت قيامة الربانيين وتذرعوا بما لديهم من الحول والطول وسخروا نفوذ رأس الجالوت في احباط الفتنة الجديدة وتوصلوا الى سجن عنان واصدار امر بقتله الا ان ابا حنيفة صاحب المذهب الحنفي انقذه من هذا الحكم وكان في سجن واحد .

وجاءت اجيال بعد عنان ذاقوا فيها القراؤون مضض اضطهاد الربانيين ومما كسبهم حتى اضطر قوم منهم الى مغادرة البلاد ورحلوا الى فلسطين حيث لم يكن نفوذ رأس الجالوت واسع النطاق كما هو في العراق .

وما عثمت فلسطين ان اصبحت مركزاً مهماً للقرائين واستظهروا فيها على

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية .

(٢) يقال ان عنان توفي سنة ٧٦٥ للميلاد وقد ألف كتاب التفسير لا سفار

موسى ومصنفات أخرى في اللغة العبرية التلمودية والعربية وقد فقد معظمها

الربانيين . ولما كان منتصف القرن التاسع للميلاد جاء ابن مثير من فلسطين الى العراق وجد لدى الربانيين ليسعوا بما لديهم من الوسائل في دار الخلافة انتصاراً لفرقهم في فلسطين .

ان فرقة القرائين رفضت التلموذ وتمسكت بالشريعة المكتوبة وحدها او شريعة موسى . وقد جعلها بعضهم فرقة من الصدوقيين او السامريين او رقي اصلها الى هاتين الفرقتين او الى غيرهما من الفرق اليهودية بيد انه لا علاقة تاريخية البتة بينها وبين تلك الفرق القديمة بل ولا علاقة روحية (١) .

عرف العرب فرقة القرائين باسم مبتدعها عنان فقالوا العنانية وانما منسوبة الى رجل يقال له عنان بن داود رأس الجالوت وهم يخالفون سائر اليهود في السبت والاعباد ويقتصرون على اكل الطير والظباء والسماك ويذبحون الحيوان على الفقاه الح . (٢) وقد ذكرها المقرئ في خططه وفرق بين العنانية والقرائين وجعلهما فرقتين مختلفتين .

واشتهر يهود العراق بعلم التنجيم والطلسمات وذهبت شهرتهم بعيداً في القرون الوسطى الى اوزية . وكان المنجمون اليهود يدخلون دار الخلافة ولما ذكرهم

(١) اعتمادنا على Encyclopaedia Britannica مادة Qaraites

ومادة Anan وعلى Mann : The Jews in Egypt etc

Vol I . 59 - 61

(٢) كتاب الملل والنحل للشهرستاني المجلد الثاني ص ٥٤

ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان . ان منجماً يهودياً زعم ان هرون الرشيد
يموت في غضون تلك السنة فانعم الخليفة لهذا الامر . وبما علم جعفر البرمكي بحال
الخليفة ركب اليه وكان المنجم اليهودي في يد الرشيد . فقال له جعفر انت تزعم ان
امير المؤمنين يموت الى كذا وكذا يوماً قال نعم . قال وانت كم عمرك . قال كذا
وكذا امدأ طويلاً فقال للرشيد اقله حتى نعلم انه كذب في امدك كما كذب في
امده فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم وشكره على ذلك وامر بصلب اليهودي
فقال اشجع السامي (١) في ذلك .

مل الراكب انتوفى على الجذع هل راى لراكبه نجماً بدا غير اعور
ولو كانت نجم مخبراً عن منية لاخبره عن رأسه المتحير
يعرفنا موت الامام كانه يعرفنا انباء كسرى وقيصر
أنخبر عن نحس لغيرك شؤمه ونجملك بادي الشر يا شر مخبر
ومن غريب ماورد عن الشاعر ابي دلامة (المتوفى سنة ١٦٠ هجرية ٧٧٦ م)
ان ابنه مرض فاستدعى اليه طبيباً وشرط له جعلاً معلوماً فلما برى قال له والله
ماشدنا شي تعطيك ولكن ادع على فلان اليهودي وكان ذامال كثير بمقدار الجعل
وانا وولدي نشهد لك بذلك فمضى الطبيب الى القاضي بالكوفة . وادعى على اليهودي
فانكر هذا . وخرج الطبيب لاحضار شاهده فاشهد ابو دلامه في الدهليز بحيث

(١) هو اشجع بن عمرو السامي من قيس ولد باليمامة ونزل بالبصرة ثم اتصل بالبرامكة
واختص بجعفر فاوصله الى الرشيد واعجب به فأرى (راجع الاغاني) .

بسمه القاضي :

ان الناس غطوني تغطيت عنهم وان يحشوا عني ففهم مباحث
وان ينشوا برى نبئت بنارهم ليعلم قوم كيف تلك التبعات
ولما ادى الشهادة قبل شهادتها ولكنه اطلق اليهودي ويحمل الغرم من ماله
وذلك خوفاً من لسان ابي دلامة (١)

في سنة ٧٩٧ م اوفد شارلمان امبراطور الغرب الى هرون الرشيد خليفة المسلمين
وفداً وكان بينهم اسحق اليهودي . وهو الذي قفل راجعاً الى اوربة ووصلها بعد ثلاث
سنوات سالماً ومات رفيقاه في الطريق . فواجه الامبراطور في شهر تموز من سنة ٨٠٢ م
في اكس لاشابل وقدم اليه هدايا نفيسة آتى بها من الخليفة . وكان بينهما فيل غريب
اضحى اعجاب ذلك العصر والمصر (٢) .

ومنذ نشوء الخلافة العباسية حتى وفاة هرون الرشيد كان هود المراق على اتم الراحة
والهناء . ولما مات الرشيد في سنة ١٩٣ هجرية (٨٠٩ ميلادية) بويع الامين
بالخلافة بعد موت ابيه باثني عشر يوماً . وفي سنة ١٩٤ هجرية خلع الامين بيعة
اخيه المأمون ونهى عن الدعاء له وامر بالدعاء لابنه موسى فوقع بسبب ذلك حروب
وفتن كثيرة بين الامين والمأمون واحبابها . وفي سنة ١٩٧ هـ حاصر طاهر وهرمة
وزهير بن المسيب الامين محمداً ببغداد فكثر الخراب ببغداد وهدمت المنازل واحترقت

(١) ابن خلكان المجلد الاول ص ٣٤٣

النور وكثر النهب واخذت اموال التجار ودام الاضطراب الى سنة ١٩٨ هجرية ولم تنحصر تلك الخن ببغداد بل بلغت اذيلها الى كل اطراف العراق (١) . وقد لحق اليهود من الاذى في هذه الفتن شي كثير وجرعوا الامرين (٢)

وكانت علاقة يهود مصر بابناء دينهم في العراق وثيقة العرى . يرجعون بامورهم الدينية الى الغاؤون في بابل والى جامعاتهم . لانعرف اليوم اتساع نطاق ذلك التعلق ، ولكن مما لا ريب فيه ان اليهود في مصر ساعدوا باموالهم اخوانهم العراقيين . ومعظم تلك الهدايا اتت من يهود عراقيين سكنوا مصر . وفي حوالي سنة ٧٥٠ ميلادية برأس جماعة يهود القسطاظ رجل عراقي . وقد عثر احد الباحثين في هذه الايام الاخيرة على رسالة من نحميا غاؤون بمادية (٩٦١-٩٦٨) بعث بها الى الجماعة في القسطاظ (٣) كان معظم الخلفاء العباسيين على جانب عظيم من التساهل مع هذا القوم واكثرهم تساهلاً المأمون فانه رآف برعاياه واستفاد من مواهبهم العقلية وذخائرهم العلمية على اختلاف ادیانهم وتباين مذاهبهم واطلق الالسنه والاقلام حرة تتكلم ما تشاء وتسطر ما تريد لا ينازعها منازع ولا تسيطر عليها سلطة غشوم فضاحت حرية النشر والكلام في زمانه الحرية المستتبة اليوم بين ظهرائي الامم العريقة في الحضارة .

ولما اراد هذا الخليفة ان يدون العلوم ومجموعها في دولته جمع في بغداد ثلاثمائة

(١) ابن الاثير في حوادث سنوات ١٩٣-١٩٨ هجرية

(٢) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 221

(٣) J. Mann : The Jews in Egypt etc vol I . P 15

عالم من كل فن من الفنون وعلم من العلوم من كل جنس ودين فالف منهم اكبر ديوان للعلم وهو اشبه شي عند اهل هذا الزمان باكاديمية العلوم ثم اذن بينهم بالحظر عليهم في اجتماعهم من مسلم وغير مسلم ان يستشهدوا باي القران والانجيل والتوراة وامر بان لا يتعرضوا في مباحثهم الا لعس بالاديان فيفضي بهم ذلك الى التخاذل والتشاحن والتباعد والتناظر (١)

وفي عهد المأمون وقعت الفتن في الامة اليهودية وتنازع الرئاسة فرق منهم فحكم الخليفة بينهم وحل المسئلة بقرار ان كل عشرة نفر اذا اتفقوا يقومون لهم راساً عليهم فقام النصارى من جانبهم واعترضوا على هذا الامر الذي لم يوافق مصالحة رؤسائهم (٢) لانعرف الاسباب التي اوجرت ذلك النزاع ولا الفرق التي تنازعت الرئاسة كما نوه به صاحب ذخيرة الازدهان . بل اثنائنا نعرف ان مثل ذلك النزاع على الرئاسة وقع بين يهود العراق مراراً عديدة . وانتج فتناً بين الجماعة . ومنه النزاع الذي قام بين الرائيين والقرائين على مامر بك .

وقد اشتد الخصام بين رؤساء الجالوت والغاؤون (رؤساء المدارس) ولا سيما بعد ظهور عنان وجمعت رئاسة الجالوت انتخاباً يشارفه الغاؤون . وان هذا الخصام افضى بهم الى ضعف هاتين الرئاستين . قال مندلسون في كتابه يهود آسية . في

(١) مجلة القنطف مجلد ٢٤ ص ٣٨٨ لسنة ١٩٠٠

(٢) كتاب ذخيرة الازدهان في تواريخ الشارقة والغاربة السريان مؤلفه القس

بطرس نصري مجلد ١ : ٣٣٣

تضعيف كلامه عن خلافة المنصور دام الخصام بين رؤساء الجالوت والفاوونيم
بورت ضرراً عظيماً الى الجماعة بكل معنى الكلمة وانتد الخصام في القرن التاسع
والعاشر (١)

ذكرنا في الفصل السابق عن الاداب العبرية في بابل تنقاً من تاريخ مصنفاتهم
وكان نطاقها منحصرأ في المواضيع الدينية والمواد المتعلقة بالزواج والمعاملات في العبرية
والارمية وما جاء الفتح الاسلامي وانتشرت اللغة العربية في العراق وحدثت النهضة
العلمية والفكرية على عهد العباسيين ولا سيما في زمان الرشيد والمأمون انفتح مجال
واسع ليهود العراق وعالجوا مواضيع مختلفة في الرياضيات والطب والفلسفة والصرف
واللغة العربية . واقتبسوا شيئاً كبيراً من الاداب العربية . وقام بينهم مؤلفون نشروا
معاجم ومنه معجم التلموذ الذي الفه سباح بن بتلوا ، غاوون عبادية وهو اليوم مفقود
وظهر كتاب « الهلاخوت الاكبر » لمؤلفه يهوذا غاوون سوراً « والمعروف انه
ليس غاوونياً » وكان قد ظهر قبله في القرن الثامن كتاب « الهلاخوت الاصغر »
الفه شمعون كبيراً . وكتاب السدور لعمرام بن ششوا .

وقد اشتهر من اطباء يهود العراق في ذلك الزمان فرات بن شحنا تاخدم الحجاج
ابن يوسف الثقفي وعيسى بن موسى العباسي ولي العهد في ايام المنصور وكان يشاوره
في كل اموره وبعبجه ثقاه (١) ومن المنجمين اليهود ماشاء الله كان في زمن المنصور

(١) اخبار الحكماء لابن الففطي ١٦٩

وعاش الى ايام المأمون وكان فاضلاً اوحد زمانه وسند بن علي المنجم المأموني كان
يهودياً فاسلم في عهد المأمون وكان يعمل في جلة الراصدين . امره المأمون بان يقبس هو
وخالد بن عبد الملك المروزي قوساً من الهاجرة (١) ومن ادباء اليهود ابو عبيدة الشاعر
المتوفى سنة ٢٠٩ هجرية (٨٢٤ م) وله كتاب المثالب (٢)

واول من ضبط قواعد النحو هرون بن موسى وهو يهودي من اهل البصرة اسلم
واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه (٣)

ولقد كان مسئله التقويم خطورة عند اليهود لمعرفة اعيادهم واصوامهم : فقبلت
الجماعة في بابل التقويم الذي اقره علماءهم في جبل الزيتون باسم رئيس جامعة فلسطين
واعضائها على ماجاء في رسالة لابن مثير في جدال قام بينه وبين سعديا في سنة ٩٢١—
٩٢٢ . وقد اجاب علماء بابل على ادعاء ابن مثير بهذا الخصوص برسالة يظن الباحثون
ان كاتبها رأس الجالوت : ان لاختلاف بين الفاسطيين والبابليين في السنة الكبيسة
لان جميع اليهود قبلوا ذلك استناداً الى حساب وصلنا بالتقليد ولكن مادة النزاع
قائمة على ان شهري حشوان وكسليو هما تامان او ناقصان . وكانت بابل تعتمد في هذا
الباب سابقاً على فلسطين لانها (اي بابل) لم تكن واقفة كل الوقوف على حساب
التقويم الا ان قبل سنوات سافر بعض العلماء من هنا الى الارض المقدسة ووقفوا على

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠٠ ص ٦٧٧ ومجلة الضياء السنة الثانية ص ١٣٤

(٢) مجلة المقنطف المجلد ٤٤ الجزء ٢ ص ١٦٧

(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ١١٤

معضلات التقويم . واخذ من ذلك الحين كل قطر يضع تقويمه مستقلاً عن الثاني
وزال كل اختلاف ولم يذكر اليوم المعمرون منا ان جامعة بابل يجب ان تستشير
فلسطين في وضع التقويم .

بترضا هنا مشكل تاريخي وهو متى زار علماء بابل فلسطين ؟ فقد ذهب بعضهم
الى ان ذلك كان في عهد الاموريين لما وضع هليل الثاني قواعد التقويم . لكنه
ثبت مؤخراً ان بابل كانت تعتمد على رئيس مدرسة فلسطين واعضاءها في سنة ٨٣٥
ميلادية على ما جاء في احدى المخطوطات وهي قطعة من رسالة كتبها رأس الجوارث
ربما كان داود بن يهوذا . ولذا فان ادعاء ابن مشير بهذا الحق بعد ٨٥٥ سنة لم يكن قارعاً
غير ان الظاهر ان يهود بابل شعروا حالاً بعد سنة ٨٣٥ بحاجة الى تعلم اصول التقويم
من فلسطين لاسباب مجهولة . فسافروا حالاً وضبطوا قواعده واستقوا بوضعه .

ومما يستحق الذكر ان اول غاوتي بابلي اشتغل بمسئلة التقويم كان الرباني
مخشون من مدينة سورا ٨٧٤ - ٨٨٢ ميلادية وهو ابن الرباني صادق الغاوتي
سنة ٨٣٣ - ٨٣٥ (١)

وما عثم ان اشتهر يهود بابل بحساباتهم واخذ عنهم ابناء قومهم في الاندلس فقد
قال عنهم ابو القاسم صاعد الاندلس ما يأتي : ولقد كان ليهود بغداد فضل من فقه
ديهم وحسابات اعيادهم وسني تاريخهم حتى ان يهود الاندلس كانوا يرجعون اليهم في
كل ذلك ويستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون بهم داخل تاريخهم

(٢) Mann : The Jews in Egypt and Palestine PP 51 - 54

ومبادئ سنتهم وبقي الامر على هذا المنوال حتى نبغ بينهم الطبيب حسداي بن
اسحق وكان من احبارهم الاعلام فخدم الحسك بن عبدالرحمن الناصر لدين الله ونال
عنده نهاية الخطوة وتوصل به الى استجلاب ماشاء من تآليف اليهود بالمشرق
فاستغنوا عما كانوا يستجشمون الكلفة فيه (١).

كل يعلم ان الحكومات كانت في العصر الخالية متعلقة بإرادة الوازع . فان كان
ملك البلاد مفضولاً على العدل والحق قضى رعاياه ايامهم في رخاء وسلام وساروا نحو
الرفي والنجاح وان جنح الى الظلم والجور بانت الامة في مريع وخيم ولعبت بها
ايدى سبأ . اذ لم يكن للملك من سلطة قانونية مصدرها الشعب هيمن عليه وتناقشه
الحساب . وهكذا كانت سلطة الخلفاء العباسيين ومن ملك في ايامهم من الملوك . فان
قام منهم خليفة سمح كالمأمون اصبح العراقيون على اختلاف مللهم ونحلهم في رغد
وابتسم لهم الدهر . وان تولى الحكم رجل عشوم رزحوا تحت عبء الكدار والمصائب
وكان تأثير العسف على الطوائف التي هي من غير دينه اشد وانفذ .

فحالة اليهود في العراق في عهد العباسيين سارت هذا السير . وبعد ان تقلبوا في نعم
العيش في عهد المأمون تنغصت حياتهم في عهد المتوكل فانه كان شديد الوطأة على اهل
الذمة اذ امرهم سنة ٢٣٥ هجرية (٨٤٩ م) بان يلبسوا لباساً يميزهم عن المسلمين
ويركبوا سروجاً تختلف عن سروجهم وان يجعلوا على ابواب دورهم صور شياطين
من خشب مسمورة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين ونهى ان يستعان بهم في الدواوين

(١) طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الاندلسي ص ١٣٤

وأعمال الساطان التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين ونهى أن يتعلم أولادهم في كتائب المسلمين وأمر بهدم معابدهم الحديثة وبأخذ العشر من منازلهم وتسوية قبورهم مع الأرض وبغير ذلك مما يذمهم وكتب بذلك إلى العمال في البلاد (١). ولم يكن المتوكل مع أهل الذمة على هذا العنف وخدمهم بل أغلظ معاملته مع أهل البيت وحرث قبر الحسين (٢). فقد كان لهذا الأمر مؤثرات مجحفة بالتصاري واليهود على السواء. فان منصب راس الخالوت تعطل بعد أن تولى المتوكل الخلافة وكان ذلك المنصب أفاد اليهود قائدة جليلة مدة سبعة قرون وساعد القوم على إدارة شؤونهم الداخلية إدارة تضاهي الاستقلال الذاتي (٣).

واشتهر عند يهود العراق في هذا الزمن سعديا بن يوسف من مدرسة سورا المعروف بسعديا الفيومي نسبة إلى مدينة الفيوم في مصر التي هي وطنه الأصلي. طبق صيته الخافقين وخلد ذكره على ممر القرون ومختلف الاجيال. وتضاءلت امامه شهرة اعظم طائفة من المؤلفين اليهود. ويظهر انه لما نزل العراق كان على جانب من المعرفة والميزة العلمية حدث عنها الالسنه. ولد سنة ٨٩٢ ميلادية وورق إلى منصب الفاوون في سورا سنة ٩٢٨ وتوفي سنة ٩٤٢. ولا تولى رئاسة مدرسة سورا دخلت المدرسة في دور جديد وازدهرت فيها العلوم اي ازدهار. وكان معظم سعيه موجهاً إلى مناقلة القرائين ومحاربهم. وقد خلف تآليف كثيرة نشرت كلها. وراس تركته العلمية ترجمة العربية

(١) الطبري المجلد ١١ ص ٣٦-٣٨ (٢) كتاب الفخري لابن الطقطقي ص ٢١٥
(٣) Graetz, History of the Jews, vol 3, P. 206

للعهد القديم نقله عن العبرية.

ومن مشاهيرهم هرون الكاهن ابن يوسف من احنبار بغداد في القرن العاشر الميلادي وكان مناظراً لسعديا الفيومي الآنف الذكر (١).

وجاء في كتاب الحكماء لابن القفطي (٢) ذكر ابن الطبري اليهودي المنجم كان حكيماً طبيباً عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة وحل كتباً حكمية من لغة إلى لغة أخرى. وكان ولده علي طبيباً مشهوراً انتقل إلى العراق وسكن سر من رأى. وورث هذا كان له تقدم في علم اليهود والربن والريين والراب اسماء لمقدمي شريعة اليهود. وقد جاء في كتاب عيون الانباء (٣) عن أبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري انه اسلم علي يد المعتصم وسكن سر من رأى وأدخله المتوكل في جملة ندمائه وهو معلم الرازي صناعة الطب ومن مؤلفاته كتاب فردوس الحكمة وكتاب ارفاق الحياة وكتاب محفة الملوك وكتاب كناس الحضرة وكتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة وكتاب في الحجامة وكتاب في ترتيب الاغذية (٤).

(١) مجلة الهلال لسنة ١٩١٤ (٢) ص ١٢٨

(٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة المجلد الاول ص ٣٠٩

(٤) جاء اسم هذا المؤلف في كتاب الفهرست طبعة فلوجل ص ٢٩٦ علي بن ذيل وأظنه غلط نسخ لان صاحب طبقات الاطباء قال نقلاً عن الفهرست ريل. وقال عنه انه كان في اول امره نصرانياً فاسلم وكذلك جاء في ترجمة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب وفيات الاعيان لابن خلدكان المجلد الثاني ص ٥٠٣ من

وفي سنة ٣٢٩ هجرية (٩٤٠-٩٤١ م) نكب الكوفي هرون اليهودي جهيد
ابن شيرزاد ونفي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت داره وكانت قديماً
لإبراهيم بن أحمد الماذرائي راكبة دجلة والصرافة وفيها بستان أبي الفضل الشيرازي
ودار المرتضى وحل هذا اليهودي إلى بحكم بواسطة فضرب بين يديه بالدبابيس

طبعة مطبعة الوطن إذ قال: « وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن
رين الطبري صاحب التصانيف المشهورة ومنها فردوس الحكمة وغيره وكان
مسيحياً ثم أسلم » ورجح الدكتور الفونس منكنا هذه الرواية الأخيرة عن دين
الطبري الأول في مقدمة ترجمته الانكليزية لكتاب للطبري المذكور سماه المترجم
The Book of Religion and Empire ألا أننا نرجح يهوديته .

وإذا كان الشيء بالشئ* بذكر نقول كثيراً ما يختلط على المؤلفين أديان بعض العلماء
الأوليين ومما استغربناه كل الاستغراب ما جاء في كتاب تاريخ الاسرائيليين
لشاهين بك مكاربوس المطبوع سنة ١٩٠٤ في مطبعة المقتطف بمصر ص ١٧٢ في
الفصل الذي ارصده المؤلف لأطباء اليهود عن جبرائيل بن يحيى شوع أنه كان يهودياً
والحال ان اسرة يحيى شوع كانت كلها نصرانية على مذهب النسطورية كما هو
مشهور معلوم » راجع كتاب الحكماء لابن الففطي وطبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة
وتاريخ مختصر الدول لأبن العبري ومقالتنا في مجلة المشرق بعنوان « يحيى شوع
الطبيب النسطوري واسرته » (سنة ١٩٠٥ ص ١٠٩٧)

ومن ذلك ما جاء في فهرست كتاب الحكماء لابن الففطي ص ٤ المطبوع بطبعة

حتى مات (١)

وكما قام خليفة أو سلطان أو وزير ينزع إلى الاجحاف بحقوق الامة ويثقل كاهلها
بالمصائب كان أهل الذمة أقرب الناس إلى مظالمه وهذا التاريخ أكبر شاهد على
حقيقة هذه النظرية التي لا يتنازع فيها اثنان . ومن مؤيداتها ما أمناه الوزير أبو عبد الله
البريدي . يعلم من له اقل وقوف على تاريخ بني العباس ان خليفة المتقي لله استوزر

السعادة بمصر هكذا « ذكرنا الطيفوري اليهودي المتطبيب » واعتماداً على هذه الفقرة ذكرت
الطيفوري وذكرنا الطيفوري بين اطباء اليهود في مقالتي « يهود العراق »
المنشورة في مجلة المقتطف في شهر سبتمبر ١٩٢٠ ص ٢٢٣ وبعد التحقيق ثبت لدي
ان هذه الاسرة كانت على النصرانية وذلك اعتماداً على ماورد في كتاب عيون
الانبياء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة المجلد الاول ص ١٧٩ واليك العبارة بنصها
وفصلها « (قال يوسف بن ابراهيم) وكان ليوحنا بن ماسويه ابن يقال له ماسويه امه
بنت الطيفوري جد اسرائيل متطبيب الفتح بن خاقان .. انتهى » . واسرائيل هو ابن
ذكرنا بن اسرائيل الطيفوري المذكور كما جاء في كتاب الحكماء لابن الففطي
ص ١٢٨ . ومن الثابت المعلوم ان يوحنا بن ماسويه كان نصرانياً على النسطورية فلا
يتزوج الا نصرانية فتكون امرأته نصرانية بنت الطيفوري النصراني وتليه لم يكن
الطيفوري يهودياً فافتضى التنبية احتراماً للحقيقة والتاريخ .

(١) عن حاشية كتاب تجارب الامم لابن مسكويه الجزء السادس ص ٨ - ٩

وهو مما جاء نقلاً عن صاحب التكملة .

مرة اولى سنة ٣٣٠ هجرية (٩٤١-٩٤٢ م) ابا عبدالله البريدي . ثم قام اليه امراء العسكرية فاضطر الى الحرب من بغداد بعد مدة دون الشهر الا انه جمع له قوة وكر راجعاً اليها بعد ايام . ولما استولى على البلد اخذ اصحابه في النهب والسلب وكبست الثورواخرج اهلها وزات المحن وعظم الامر وغلت الاسعار وحبط اهل الذمة وعسف اهل العراق وظلمهم ظلماً لم يسمع مثله . (١) فقولاه حبط اهل الذمة يشمل النصارى واليهود فلم يقدروا ما قاسوه من هذا الطاغية مما لا يصفه قلم . ولا يبعد ذلك وقد هجاه ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني بقصيدة طويلة اولها :

باسماء اسقطي ويا ارض ميدي قد تولى الوزارة ابن البريدي

واشتهر في تاريخ مصر السياسي رجل من يهود بغداد ولد سنة ٣١٨ هجرية (٩٣٠ م) عند باب القز اسمه يعقوب بن كلث سافر به ابوه الى الشام وانفذه الى مصر سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢-٩٤٣ م) فجعله كافور الاخشيدي على عمارة داره ثم بلغ شأواً قصياً من المجد حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له . وتقدم كافور الى سائر الدواوين ان لا يمضي دينار ولا درهم الا بتوقيعه كان هذا كله وهو على دينه ثم اسلم سنة ٣٥٦ هجرية (٩٦٧ م) . ولما مات كافور قبض عليه وزيره ابو الفضل جعفر بن القرات . الا ان ابن كلث بذل الاموال حتى افرج عنه فتوجه الى بلاد المغرب وتعلق بخدمة المعز العبيدي . ولم يزل يترقى الى ان ولي الوزارة للمعز بن زرار ابن المعز سنة ٣٦٨ (٩٧٨-٩٧٩) وكان هو اول وزير للدولة الفاطمية في الديار

(١) الكامل لابن الاثير ٨ : ١٣٤-١٣٥

المصرية . وبقي في هذا المنصب الرفيع حتى موته سنة ٣٦٩ هجرية (٩٨٠ م) وقيل انه مات على دينه . وكان يظهر الاسلام . وزاد على هذه الفقرة ابن خلكان والصحيح انه اسلم وحسن اسلامه (١)

ويقال ان اول ممثل سياسي ليهود مصر امام حكومتها العربية جاء من بغداد في النصف الاخير من القرن الرابع للهجرة او القرن العاشر للميلاد . ورواية الخبر ان سلطان مصر تزوج من بنت الخليفة العباسي الطائع لامرأته الذي يبيع له سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) ولما سارت الى مصر سنة ٣٦٦ هجرية تفقدت شؤون بلادها الجديدة واذا عرفت ان ليس لليهود ممثل سياسي كراس الجالوت في مسقط رأسها طاب زوجها احد اعضاء أسرة الجالوت من بغداد وعهد اليه رئاسة اليهود في القسطنطينية ولقب لقب « ناجيد » (٢)

ومما هو حري بالذكر ماورد عن سنان بن ثابت بن سنان في خلافة ابيقتدر بالله في مفتتح القرن الرابع للهجرة انه ورد اليه توقييع من الوزير علي بن عيسى ابن الجراح يقول فيه ان ينفذ الى السواد متطبين وخزاة لادوية والاشربة يطوفون فيه ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الى المعالجة اليه . ففعل ولما انتهت البعثة الطبية الى سورا والغالب على اهلها اليهود كتب الى الوزير يعرفه بورود كتابه من السواد يذكرون فيه كثرة المرضى وان اكثر من حولهم الملك يهود ويطلب رآيه

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثالث ص ٣٩١

(٢) Jacob Mann : The Jews in Egypt etc I : 251

في معالجهم وأعلمه أن رسم البجارسكان أن يعالج فيه الملى والذمي ويسأله أن يرسم له في ذلك ما يعمل عليه فاجابه . . . ليس بيدنا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل عليه معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل أهل الذمة (١)

في هذه الرواية التاريخية ثلاث فوائد ثمينة جداً أولاً أن العرب عرفوا المستشفيات المنتقلة في العراق منذ القرن الرابع للهجرة . ثانياً أن أغلب سكان سوريا ونهر الملك كانوا يداً ثانياً أن الرأي السائد في ذلك العهد المظلم أن أهل الذمة هم الحلقة الوسطى بين الناس والبهائم .

وفي سنة ٣٨٦ هجرية (٩٩٦ م) قبض أبو علي وهو الموفق الوزير على جماعة من اليهود في بغداد وعسفهم في المطالبة والمقاومة وكان سبب ذلك أن بهاء الدولة بن عضد الدولة البوسني لما كان في واسط طلب من أبي علي الموفق ملتمسات . فقصد ابن فضال اليهودي وطلب منه قرضاً يرد غرضه فلم يستغفه . ولما صار أبو علي الموفق إلى بهاء الدولة قرر معه في اخذ اليهود ومصادرتهم تقريراً معلوماً فكان ما اتفقا عليه (٢)

وكانت حال اليهود في العراق متقلبة لا تستقر على قاعدة واحدة من السعد أو الشقاء بل كانت تتغير بتغير العهال والحكام والولاة اذ لم يكن هناك قوانين مرعية

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٢١

(٢) تجارب الامم لابن مسكويه حوادث سنة ٣٨٦

يتخذونها دستوراً للإدارة بل كانت إرادة عامل البلد أو سلطان الاقليم العامل الوحيد في تدبير شؤون البلاد واحوال العباد . فقد بلغ أحد اليهود في عهد السلاجقة منزلة لم يملها غيره من أهل الذمة عند المسلمين وهو ابن علان اليهودي ضامن البصرة . وكان نظام الملك يحبه كثيراً وكان امره قد عظم جداً إلى حد أن زوجته توفيت فشيخا خاف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي فاخذ السلطان منه مائة الف دينار . ثم استكثر عليه ارباب الحسد هذه النعمة وسعوا في قتله غرقاً سنة ٤٧٢ هجرية (١٠٧٩ م) فحزن عليه نظام الملك وانقطع عن الركب ثلاثة ايام واغلق باب (١) وبعد بضعة سنوات تولى الخلافة المقتدي بأمر الله (٢) فاعلمت معاملته أهل الذمة وسار على اثر المتوكل في ذلك والزعم اليهود بلبس الغيار والعمائم الصفراء واما النساء فالأزر العسلية وان تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها فيكون الواحد اسود والاخر ابيض وان يجعلن في اعناقهن اطواقاً من حديد اذا دخلن الحمامات فهربوا كل مهرب من هذا الجور واسلم بعضهم . وكان سبب ذلك ان يهودياً ببغداد يقال له ابو سعد بن سمحان كان وكيل السلطان جلال الدولة ملكشاه ووكيل نظام الملك فاقبضه انسان يبيع الحصر فصنعه صفقة ازالته عمامته عن رأسه فاخذ الرجل إلى الديوان وسئل عن السبب

(١) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٤٣

(٢) هو عبد الله بن محمد بن القائم تولى الخلافة سنة ٤٦٢ هجرية ١٠٧٤ م وتوفي

سنة ٤٨٧ هجرية ١٠٩٤ م وفي زمانه استقل جميع الحكام ولم يبق له حكم الا في

بعض بلاد قليلة .

في فعله فقال هو وضعني على نفسه . فسار كهراتين ومعه ابن سمحاه اليهودي الى
المكر يتكبان وكانا متفقين على النكابة من الوزير ابي شجاع فلما سارا خرج
توقيع من الخليفة بالتشديد على اهل الذمة على ما سبق . ولما وصلا الى العسكر شكيا
من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بما يشنع عليهما فارسلوا الى الخليفة في
عزله فمزله وكان ذلك سنة ٤٨٤ (١) فانصرف الى داره وهو يئس :

تولاهما وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ان المؤرخين العرب لم يذكروا الا البذر القليل من اخبار وطنهم اهل الذمة ولم
يتموا الا بتدوين انباء الخلفاء والفتوحات وسير علمائهم وما جاء في كتبهم من تاريخ
النصارى واليهود من التفت القليلة او ردودها على سبيل العرض ليس الا . او اهم
ذكرها لملاقمتها بتاريخ البلاد واشراك المسلمين بها . فهم من هذا الباب ليسوا نظير
الاوربيين الذين خاضوا كل المواضع من شرقية وغربية وتعمقوا في درسها حباً
بالاطلاع وترويحاً للعلوم .

ومن تلك التفت ما جاء في حوادث سنة ٥٠١ هجرية (١١٠٧ م) عن حريق
خرابة ابن جردة في بغداد وكان من تلك الحلة جماعة من اليهود تركوا اشيائهم طعمة
لنار تمسكهم بسببهم وكان منهم فريق قد عبروا الى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم
في السبت الذي يلي العيد فلما عادوا وجدوا بيوتهم قد خربت واهلها قد احترقوا
واموالهم قد تافت (٢)

(١) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٦٨ (٢) الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٧١

وفي سنة ٥٧٣ هجرية (١١٧٧-١١٧٨ م) كانت فتنة بغداد فيها انه حضر
قوم من مسلمي المدائن الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا : لنا مسجد يؤذن فيه
ونصلي وهو مجاور الكنيس (التوراة) فقال لنا اليهود قد آذيتُمونا بكثرة الاذان
فقال المؤذن ما نبالي بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجاء المسلمون
يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب الحزن بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع
القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فحقت الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون
فأباهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة ما فعل بهم غضبوا وقصدوا دكاكين
المخاطين لان اكثرهم يهود فنهبوا وارادوا حجب الباب منهم فرجوه فهرب منهم
وانقلب البلد وخربوا الكنيس الذي عند دار البساسيري واحرقوا التوراة وامر
الخليفة ان ينقض الكنيس الذي بالمدائن ويحمله مسجداً (١)

وكان حال اليهود في العراق في القرن الثاني عشر للميلاد والقرن السادس للهجرة
على جانب عظيم من الحرية ورغد العيش فان السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه
كان قد قبض على ازمة الاحكام في بغداد بعد ان استظهر في معركة على الخليفة العباسي
المسترشد بالله واسره ثم قتل الباطنية الخليفة وذلك سنة ٥٢٧ هجرية (١١٣٢ م) وبقي
تقوذا السلطان مسعود في عهد الخليفين الراشد بن المسترشد والمقتدي بن المستظهر .
وفد كان في هذا العهد سلطان الموصل انا بك عماد الدين الزنكي واحسن كل من السلاطين
الى اليهود .

(١) الكامل لابن الاثير ١١ : ١٨٣

في نحو منتصف القرن الثاني عشر ظهر رجل وادعى أنه المسيح وكان اسمه داود الرائي . ولد في ضواحي العمادية في مكان يدعى شفتون كان أهلاً يومئذ باليهود ولا يعلم اليوم موقعه . فأرسل إلى بغداد ليتفقه بالعلوم الدينية ويدرس التاموس على رئيس الجالوت « جسدي » فنبغ في العلوم الكتابية والفقه والدروس الدينية واللغة العربية وتصلح من أسرار السحرة والمشعوذين .

وكان في ذلك العهد قد تولى الخلافة المقتدي بالله (١) فعصاه داود الرائي ووعد اليهود النافرين أن يقودهم إلى اورشليم . وكان في الحيل مسقط رأسه عدد من اليهود ورجال الحرب وما فتئ أن انضوى إليه اتباع كثيرون وكانوا يعللون النفس بتحقيق أمانهم التي كانوا يصبون إليها وهي نجاتهم من ربة الظلم . ولا تعلم ما فازوا به من النجاح وما كان من أمرهم لأن المصادر التي تروي أخبار ذلك الدجال متضاربة الروايات وقد تنازعها الاقاصيص الغربية والشعوذات ولكن الظاهر أن الرجل فشل في مسعاه وخفق أتباعه وتشتتوا وكان نصيب زعيمهم الموت ولكن لا يعلم أي مية مات .

وقد زعم بنيامين التطيلي أن الرائي شق عصا الطاعة على ملك فارس فاستدعاه هذا الملك إلى قصره فجاء إليه بكل جسارته فزجه بالسجن وبعد ثلاثة أيام فر من السجن بمعجزة

(١) هو محمد بن المستظهر الذي بويع له بالخلافة في ١٢ ذي الحجة سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م) ولقب المقتدي لأمر الله . وتوفي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦١ م) وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان وحكم على عسكره وأصحابه من حين حكم الماليك على الخلفاء

وبعد أن زار بالأط ملك فارس رجع إلى مسقط رأسه العمادية حيث قص وقائمه على اليهود المعجبين . وبعد ذلك طلب ملك فارس إلى الخليفة في بغداد أن يأمر رئيس الجالوت ورؤساء المدارس أن يسخروا نفوذهم لقمع مساعي داود الرائي ويتمددوا بالقتل جميع اليهود الذين يسكنون في مملكته .

وكتب يهود بلاد فارس إلى رئيس الجالوت وعرضوا عليه المخاطر المحق بهم المؤدي إلى اضمحلالهم . ثم كتب رسالة رئيس الجالوت ورؤساء المدارس بالاتفاق وأرسلوا بها إلى داود الرائي وأرشدوه أن يرعوي ويكف عن حملته والارشاقوه بسهام الحرم ولعنوه .

ولم يبال الدجال بكل ذلك ولم يلتفت إلى نصائح المناجين بل ج في ضوابة وتنادى في ضلاله . فاضطر عامل العمادية (سن الدين والاصح سيف الدين) أن يرشوا داود ليقتله فكان الأمر كذلك فشرب الدجال كس الردي من يد حيه في يته وعلى فراش راحته وانتهت تلك الفتنة بموت مثيرها .

فقام أنصار مذهبه بعده وأسسوا شيعة المناجين واشتقوا هذه التسمية من اسم زعيمهم داود الرائي وكان يعرف بـ « مناجم بن سليمان بن آبروهي » . واختلط بسيرة كثير من الاقاصيص والحديث الخيال والف المؤلفون شيئاً غير زور في هذا الباب مما يلد مطالعته وليس من موضوعنا الخوض فيه .

وجاء في رواية أنه لما وقف ملك فارس على هذه الأحداث أرسل واستدعى داود بالحضور فذهب داود غير ذياب ولا وجل ولما التقيا سأله الملك . أأنت ملك اليهود؟ فجاب . أنا

هو . وعليه أمر الملك في الحال ان يعتقل ويلقى في المطبق (وهو السجن المد
للذين يسجنون طول حياتهم) وكانت في مدينة دبستان على عبوة « قزل
اوزون » .

وبعد مرور ثلاثة ايام بينما كان الملك في مجلسه يستشير اشرافه وقواده في امر اليهود
الذين شقوا عليه عصا الطاعة ظهر داود بفتة بينهم وكان قد تخلص من السجن بدون
موازرة احد ما ولما رآه الملك سأله من ذا الذي أتى به الى هناك او من اطلق سراحه .
فاجاب داود : حكمتي ودهاتي وحدهما ، وبالحقيقة اني لا اخاف منك ولا من جميع
خدامك . قال الملك ان يقض عليه في الحال ويؤسر الا ان الخدم اجابوا قائلين انهم
لم يروه ولم يشعروا بحضوره الا بسماع صوته فتمجب الملك كل العجب من حكمة داود
السائلة الذي خاطبه هكذا : اما الان ذاهب في طريقتي فذهب ومعه الملك واشراف
ملكته وبطاقته وأنى ضفة النهر . فاحذ داود رداءه والقاء في الماء وعبر عليه . فراه
آتد جميع حاشية الملك يعبر النهر على رداءه فتبعوه بالقوارب ففشلوا ولم يبلغوا اليه
واعترفوا بأنه لا يضاهيه ساحر في العالم بعمله هذا . وفي ذلك التي عصا رحاله في عمارة
« Amaria » التي كانت تبعد عن الموضع عشرة ايام وذلك بموازرة سام هامفوراش
وقص على اليهود المتعجبين منه كل ما حدث له .

فكسبت جماعة اليهود الذين في بلاد فارس الخبر رئيس الجالوت ورؤساء الجامع : كيف نجبرون
ان نموت ونموت جماعة هذه البلاد . اقموا اعمال هذا الرجل واحقنوا دما ، الابرياء . (١)

صورة مكتوب رئيس الجالوت ورؤساء الجامع الى داود :
ليكن معلوماً لديك ان زمن خلاصنا لم يدر بعد ولم تشاهد الامارات المعلقة
ذلك ولا يتسنى للاسان ان يضطر الى الاقتناع . ولهذا تأمرك بان تتدك الطريق الذي
سلكت فيه والا حرمناك من كل اسرائيل . وارسل بصور هذه الرسالة الى
تكمحة رئيس الجالوت في الموصل والى ربان يوسف « الفلكي » المسمى « بردان
الفلك » وكان هذا في الموصل ايضاً ورغبوا فيها في ان يبعثوا بها الى داود الرائي .
فكتب كل من رئيس الجالوت في الموصل والفلكي رسالة باسمه ونصحاه وارشدها
الى الحق . ولكنه داوم على مسلكه الاثم .

فلترجع من قايلا الى الحركة العلمية اليهودية في العراق حوالي سنة ٩٧٠ م .
سافر اربعة وفود من العراق يمثلون جامعة بمباديئة وجههم شمالي افرقية واورية وهم
شمريان الحنان (وكان من تلامذة شريرا ورأس حلقة سكان نهر دعة في المدرسة)
وهوشيل ابوخناشيل وموسى وابنه خنوك فقض عليهم وفي الاسكندرية واقتدام
قومهم . ويظن ان شمريان لم يرجع الى بمباديته بل بقي في القسطنطينية فكتب اليه كل من
شريراوحي سنة ٩٩١ (١)

ويقال ان بواسطة العلماء الذين ترحلوا من العراق الى الغرب انتقلت العلوم الى
اورية ونشأت الحركة العلمية في تلك الاسواق . وبين مشاهير اليهود الذين نبغوا في القرن

المصادر للميلاد بعد شريرا الغاوي في بادية التي الف كتاباً نفيساً على طريقة
الدُّعَال والجواب واتخذ موضوعه سراً وجهه اليه سكان مدينة القيروان ويعتبر هذا
التأليف ثميناً جداً لما حواه من المعلومات التاريخية عن منشأ التقليد بين اليهود وكانت
وفاته سنة ٩٩٨ ميلادية .

وأشهر بعده ابنه حي ولد سنة ٩٣٩ ومات سنة ١٠٣٨ ميلادية درس على والده
ولما نزع راعا والد في عمه . وقد سجنه الخليفة القادر بالله واباه شريراً زماناً
قصيراً . ولما توفي أبوه عين حياً غاووناً على بادية سنة ٩٩٨ ميلادية وبقي في منصبه
هذا الى يوم موته في ٢٨ آذار سنة ١٠٣٨ م وقد خلف كتاباً مهمة عن شريعة
التلموذ وعن المشنا وقد نسبت اليه عدة قصائد ولكن يشك العلماء في مؤلفها .
وكان في مؤلفاته الدينية يستند الى العادات والتقاليد التي لا تمس الشريعة . وهو
من المحافظين على القديم وكان متضلعا من الفقه الاسلامي والطريقة الجدلية وكثيراً
ما كان يسترشد بالفقه وعلم الكلام .

ووقف على العربية واسرارها والف فيها وله مجمع سماه الحاوي . وكان حي
آخر غاوون قام بمدرسة بمادية .

من الغاوين في مدرسة سورا نذكر سموتيل بن حفي الذي توفي سنة ١٠٣٤ م
وهو آخر غاوون قام بمدرسة سورا الف كتاباً ضخمة في الشريعة وعرب اسفار موسى
الحمدة وله تفاسير على معظم كتب العهد القديم ومقدمة عربية على التلموذ (١)

ومن معاصري حي المذكور رئيس الجالوت حزقيا وهو الذي ترأس مدرسة
بغداد بعد وفاة حي سنة ١٠٣٨ ميلادية . وبعد حزقيا تبوأ رئاسة الجالوت داود
ابنه وجاء بعده حفيده حزقيا الثاني على الراجح .

ومن مشاهير اطباء اليهود في العراق هبة الله بن ملكا أبي البركات اليهودي في اكثر
عمره المسلم في آخر امره . كان طبيباً فاضلاً عالماً بعلوم الاوائل وكان حسن العبارة
لطيف الاشارة صنف كتاباً سماه المعبر وكان في وسط اامة السادسة هجرية في عهد
السلجقة وقد طبب سنة ٥٤٤ هجرية (١١٤٩ م) سيف الدين غازي بن انا بك
زنكي صاحب الموصل .

زار هذه الديار الراي بن يامين بن يونا التطيلي اليهودي حوالي سنة ١١٦٠ ميلادية
وروى شيئاً كثيراً عن يهود العراق وما قاله :

كان في الموصل ٢٠٠٠ يهودي ومن مشاهيرهم في عهده الريان زكاي من سلالة داود
الملك والريان يوسف القلبي الشهير الملقب برهان القالك وكان لهم فيها كنائس . وفي
الرحبة ٢٠٠٠ يهودي وفي الحبة على الفرات ٢٠٠٠ يهودي وفيها مدفنت راس
الجالوت البستاني الذي كان معاصراً للإمام عمر بن الخطاب على ما مر بك صفحة ١٠٢
من كتابنا هذا وكان عدد اليهود في بغداد ١٠٠٠ نسمة ولهم عشر جمعيات او عشرة
مجالس ولكل منها رئيس ولم يكن لاجتماعها عمل غير النظر في مصالح الشعب الاسرائيلي
في كل ايام الاسبوع ما خلا يوم الاثنين اذ كانوا يجتمعون اجتماعاً عاماً لينظروا في
مصلحة الناس من اي دين كانوا والى اي مذهب اتسبوا .

وكان لطائفة مستشفيات و٢٨ كنيسة في جانب الرصافة والكرخ وكان عددهم في الحلة ١٠٠٠٠ نسمة .

وقد افادنا هذا السامع افادات نفيسة عن راس الجالوت ومنزلته وكان في ايامه الريان دانيال . وكانت سلطته على يهود ارض شنعار وبلاد الكلدان وبلاد فارس وخراسان وسبا واليمن وديار بكر وبين النهرين وارمينية وبلاد الهند وجيخون (Oxus) والتبت .

وله وحده ان يقيم الربانين والشمامسة على جماعات هذه الاقطار بوضع يده عليهم . وما كان ينصب الخليفة راس الجالوت كان يهدي الهدايا النفيسة الى الخليفة والى الامراء والقواد ورجال الحكومة . وكانوا يركبونه على مركبة الوزير ويذهبون به الى دار الخلافة وتفرع امامه الطبول والزمارات . وما يذهب الى داره يأتي رؤساء المدارس (الفاوونيم) ويقدمون اليه فرائض الاحترام . ثم يذهب الى الكنيس بأبهة فائقة فيجلس على عرش فخيم يقام له ويلقي خطاباً تعقبه تسبيحة شكر (قد يش) يذكر اسمه فيها . ثم يسير الى مقر منصبه .

واذا خرج راس الجالوت لزيارة الخليفة تقدمه موكب من الفرسان المسلمين واليهود وهم ينادون امامه : وسعوا الطريق لسيدنا ابن داود . فكان الناس يقومون اجلالاً له ومن لا يودي هذا الاحترام تأمر الحكومة بجلده مئة جلدة وكان يسير في طرق مدينة السلام فارساً متردياً البسة خريز مقصبة وعلى رأسه تاج عظيم تغطيه قطعة

بيضاء وعامها عصاية او سلسلة (١)

وكان من حقوقه ان يغرم بالمال اهل عقيدته ويحرم الكلام مع المذهب ولكن لا يمكنه في دار السلام حبس ولا ضرب (٢) .

ذكر القلقشندي في كتابه صيغ الاعشى ما كان يكتب الخلفاء الى رؤساء اليهود عند تنصيبهم قال : وطريقهم ان يفتح بلفظ « هذا كتاب امر بكتبه فلان ابو فلان الامام القلاني امير المؤمنين القلاني لقلان . . . ثم يقال اما بعد فالحمد لله ويؤتي فيه بتحمدة او ثلاث تحمدات ان قصد المباعدة في قهر اهل الذمة بدخولهم تحت ذمة الاسلام وانقيادهم اليه ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى اهل الذمة وانه انهي اليه حال فلان وسئل في توليته على طائفته فولاد عليهم الميزة على غيره من ابناء طائفته ونحو ذلك ثم يوصيه بما يناسبه من الوصاية .

فيظهر مما تقدم ان رؤساء الجالوت وربانهم كانوا يتولون شؤون قومهم الدينية والمذهبية وفيها شيء من الساطة الدنيوية وكان يعينهم الخليفة وزودهم بمسوم بضاهي الفرمان الذي كان يعطيه اياهم سلاطين « آل عثمان » .

وربما كان الخليفة يعينهم باجل الالقاب ولم يقع بيدنا من عهد العباسيين نص صريح يؤيد ذلك الا انه في سنة ٦٢٦ هجرية كتب القاضي محي الدين بن الزكي الى رئيس

(١) M. Edward Charlon, Voyageurs Anciens et Modernes
Benjamin de Tudèle Vol. 2. 187

(٢) حياة الحيوان للجاحظ مجلد ٤ ص ٩

اليهود بالشام قال فيه : الرئيس الاوحد الاعز الاخص الكبير شرف الطائفة الاسرائيلية فلان .

وكان الكتاب والصيارفة من ادل الامة يتلقبون بالغاب غالبها مصدرة بالشيخ او مضافة الى الدولة . مثال ذلك ولي الدولة او غيره ومنهم من يحذف المضاف اليه في الجملة ويحافظ على القاب بالالف واللام فيقولون الشيخ الشمسي والشيخ الصفي . وقد عرف العرب شيئاً من رتب القوم الدينية فلوردوها في كتبهم فقالوا :

الرئيس : وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى (١) وجاء راس الجالوت رئيس اليهود كما ان الاسقف رئيس النصارى (٢) وعندي ان المقابلة الاولى اصح . الحزان : وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم .

الشايحصور : وهو الامام الذي يصلي فيهم .

وقد عرف كتبة العرب اعياد اليهود وصيامهم وشعارهم وذكرها في مؤلفاتهم ولا يتسنى لنا نقلها هنا فلترجع في مظانها .

وكان اليهود مبشورين في العراق حتى اطلق اسمهم على امكنة عديدة منها : قنطرة اليهود الوارد ذكرها في مادة كرخايا من معجم البلدان . ومنها اليهودية ودرج اليهود وقد نسب الي هذين الموضعين رجال من اهل العلم والفضل منهم ابو محمد عبد الله بن عبيد الله بن يحيى المودب البيهقي اليهودي (٣)

وقد جاء ذكرهم في معجم البلدان في مادة هاطري قال ياقوت : قرية بينها وبين

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٤٧٤ (٢) ثمار القلوب للشعالي (٣) معجم البلدان

الحفري الذي عند سامرا ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت واسفل منها الدور الاعلى المعروف بالخرية وكان اكثر اهلها اليهود والى الان في بغداد (اي في عهد ياقوت) يقولون كانتك من يهود هاطري .

وتعاطى يهود العراق التجارة واشتغلوا بأنواع التجارات المعروفة في ذلك الحين وورد عنهم افادة تاريخية جلية في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (١) نقلها بحرفها الواحد لفائدتها . قال مسلك التجار اليهود الراذانية (٢) الذين يتكلمون بالمرية والفارسية والرومية والافرنجية والانديسية والصفلية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برأ وبحراً يجلبسون من المغرب الخدم والجواري والعلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فرنجية في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينها خمسة وعشرون فرسخاً ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ثم يمشون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونها الى الفرما ثم يركبون في البحر الغربي فرما عدلوا بتجارهم الى القسطنطينية فباعوها

(١) ص ٢٥٣ - ١٥٤ (٢) هكذا جاء ضبط اسمهم وربما كان نسبة الى راذان

كودة بسواد العراق الا ان كليمان هوار في كتابه القرلسي تاريخ العرب قال بضبط اسمهم « راه دانية » من لفظتين فارسيتين « راه » ومعناها طريق و« دان » عارف .

من الروم وربما صاروا بها الى ملك فرجة فيبيعونها هناك وان شاؤوا حلوا بتجارهم من فرجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسرون على الارض ثلث مراحل الى الجاية ثم يركبون في الفرات الى بغداد ثم يركبون في دجلة الى الابله ومن الابله الى عمان والسند والهند والصين .

وكان اليهود يتجشمون اخطار السفر في سبيل التجارة في عهد العباسيين ويركبون احواله غير حيائي الموت في سبيل الكسب والربح . وكثيراً ما كانوا يجمعون اموالاً طائلة تثير عليهم حقد الحاسدين وقد وقفت على حكاية في هذا الباب لاباس من اراد خلاصتها هنا وهي ما حدث عن اسحق ابن اليهودي وكان رجلاً يتصرف مع الدلائل في عمان فوقع بينه وبين رجل من اليهود خصومة فهرب من عمان الى بلاد الهند ومعه نحو مائتي دينار ولم يالك سواها وغاب عن البلد نحو ثلاثين سنة لا يعرف له خبر فلما كان في سنة ثمانمائة للهجرة ورد عمان من الصين في مركب لنفسه وجميع ما فيه له . واتفق مع احمد بن هلال صاحب عمان على ان لا يحصي ما فيه ويعشر منه على الف الف درهم ونيفاً . فحسده الخلق وطلب منه بعض اهل الشر شيئاً فلم يعطه فخرج قاصداً بغداد وكان ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات وزيراً فسمى باليهودي فلم يلتفت اليه فتسبب الى بعض الاشرار من خواص المقتدر بالله ونصح في اليهودي . فاستعظم المقتدر امر اليهودي وانفذ في الوقت خادماً يقال له القفل اسود مع ٣٠ غلاماً الى عمان وكتب الى احمد بن هلال يأمره بحمل هذا اليهودي مع الخادم ورسول من جهته . فلما وقف احمد بن هلال على كتاب الخليفة اتفق مع

اليهودي على ان يدافع عنه ثلث مال جليل ثم دس الى التجار من عرفهم ما في حل اليهودي عليهم وعلى سائر الغرباء والقاطنين ممن يتجر من سوء العاقبة والجرأة عليهم فوافقت الاسواق وكتبت المحاضر الى الخليفة بأنه متى حل هذا اليهودي انقطعت المراكب عن عمان وهرب التجار وأذرناس بعضهم بعضاً ان لا يطرق احد ساحلاً من سواحل العراق . فرجع الخادم القفل الى الخليفة ونجا التاجر اليهودي (١)

وقد نال شهرة بعيدة في القرن الحادي عشر للميلاد التاجر ان الاخوان اليهوديان ابوسعد ابراهيم وابو نصر هرون . فان اصاهما من مدينة تستر (وهي شتر الحالية) سافرا الى القاهرة وبقياً فيها . وكان ابوسعد يتاجر بالتحف والعمادات وكان ابونصر صيرفياً ودلالاً للبضائع التي ترد من العراق .

وكان الصيارفة اليهود في العراق ثلثي شيء من الوجاهة وكان رجال الدولة العباسية يودعونهم دراهمهم . وقد قال ابن الفرات وزير الدولة العباسية في احدي تكتابه ان له عند يوسف بن فنجاس او بنحاس وهرون ابن عمران الجبيني اليهوديين مبلغاً عظيماً من المال (٢) .

اشتغل يهود العراق ببيع الحمور كما تشهد بذلك الادلة التاريخية فقد جاء في شعر لابي دلالة قاله في الخليفة المنصور لما اخذ الناس بلبس القلائس الطوال المفرطة

(١) كتاب عجائب الهند تأليف بزرك بن شهر يار التناخداة الرام هرمزي

(٢) مجلة المقتبس العدد السابع المجلد الثالث ص ٤٢٥ الصادر في شهر آب

سنة ١٥٣ هجرية (٧٧٠ م) وكانوا فيما ذكر يحتالون لها بالقصب :

وكنا نرجي من امام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلائس

تراها على هام الرجال كلها دنات يهود جللت بالبرانس (١)

وجاء في معجم البلدان في مادة سورا ابيات لابي جفنة القرشي يقول فيها :

وفتي يدبر علي من طرف له خجراً تولد في العظام فتورا

مازلت اشربها واستقي صاحبي حتى رأيت لسانه مكسورا

مما تخربت التجار بابل او ما تعتقه اليهود بسورا

وذكر مهبشار الديلمي في ديوانه يهود غمي وكانت قرية من قرى بغداد قرب

البردان وعكبرا في البيت الآتي :

حبت فاقرا شراها المسلمين واغنت بغمي اليهود التجارا

وورد في معجم البلدان في مادة قاطول شي* عن بائمي الحمر من اليهود :

الا هل الى الغدران والشمس طامقة سبيل ونور الخير مجتمع الشمل

ومنها :

فحانة من عيد اليهودي انها مشهرة بالراح معشوقة الاهل

وزار العراق حوالي سنة ١١٨٠ ميلادية السائح اليهودي الربان بتاخيا من مدينة

راتسيون وقال ان في بغداد ١٠٠٠ يهودي يخرجون مقنعين دائماً (٢) . وقال بعد

(١) الطبري في حوادث سنة ١٥٣ هجرية

(٢) Tour du Monde dans le Journal Asiatique 1831 Page 280

وفاة رئيس الجالوت دانيال بن حسداي الذي ذكره بنيامين التطيلي كما مر بك تولى

هذا المنصب ابن اخيه يسائده ربان سموئيل بن علي وكان للربان سموئيل ابنة فقيهة

تدرس طلاب العلم وكانت تلقي الدروس عليهم من شباك عال وهم جلوس بحيث

تراهم ولا يرونها (١) وقد شاهد هذا السائح مدة اقامته في بغداد وفود بلاد الارمن

وكوه قاف على رئيس الجالوت سموئيل بن علي يطلبون منه معلمين يعلمون بني قومهم

اصول الدين ويهذبون جماعتهم الموجودة في تلك الاقطار .

وساح في هذه الاقطار سنة ١٢١٧ يهوذا الحريري جاءها من اسبانية والى في

اللغة العبرية مقامات ادبية على طراز مقامات الحريري العربية ووصف بها رحلته

يتكلم فيها عن نفسه في الشخص الغائب ويماذر عنه انه نظم قصيدة الى الاله

المرمدي بثلاث لغات فالقسم الاول من البيت في اللغة العبرية والثاني في اللغة العربية

والثالث في اللغة الكلدانية .

ونسج في القرن الثالث عشر ابن عزرا في الجزيرة والربان اسحق بن اسرائيل

في بابل الا ان قصائده كانت ركيكة من سفساف الشعر . والربان اسحق الحوفي وبعد

هذا من منشطى العلوم اكثر مما يمد بين المؤلفين وقد نزل بغداد قادماً اليها من البرتغال

الربان موسى بن ششت الشاعر الذي نقل جيد الشعر العبري الى بغداد .

وجاء في المعلمة اليهودية عن اخريات ايام الدولة العباسية « ان حال اليهود في هذا

الزمان كانت في البلاد التي يتكلم اهلها العربية والفارسية منسكعة في الظلمات والاستبداد

Exilarch : مادة Encyclopaedia Britannica

(١) راجع

والخنوع ، ولا عجب في الامر فقد كانت اسباب الفهري والاحلال قد نفشت في الدولة العباسية وتلك قاعدة عامة ان الدول التي تقارب شمس وجودها الغروب تكثر فيها دواعي الجور والاعتساف .

ومما جاء في التاريخ ان ابا عبد الله بن فضال جلس سنة ٦٢٧ هجرية (١٢٢٩م) في ديوان انوالي واستوفى الجزية من اهل الذمة وكان يطيل وقوفهم بين يديه حتى يسومهم خفياً ، ويحكى ان ابن الشريح راس مشيئة اليهود مضى الى داره ليلاً وسأله ان يأخذ الجزية منه فلم يلتفت اليه وقال له لا بد ان نحضر نهراً الى الديوان وتؤديها وفي سنة ٦٣٩ هجرية (١٢٤١م) ظهر ابو الطليق معتوق المعروف بابن شقير الشكر وهو شيخ من اهل قراح ظفر وكان بقالاً (وفي رواية كان نقالاً) فكان اذا صادف احد اعيان النصارى واليهود راكباً ضربه وازله عن دابته . وهكذا عمل مع ابن كرم اليهودي .

وفي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧م) رتب دانيال بن شموئيل بن ابي الربيع راس مشيئة اليهود واتخذ الوزير مؤيد الدين محمد بن العائمي القاضي القضاة عبد الرحمن بن المغاني فاحاله بين يديه وقال له : رتبك زعيماً على اهل ملتك لتأخذهم بمحدود دينهم وتامرهم بما امروا به في شريعتهم ونهاهم عما نهوا عنه في شريعتهم وتفصل بينهم في وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم والحمد لله على الاسلام .

ثم نهض وليس طريحته في دهلين القاضي وتوجه الى بيته راجلاً في جمع من اليهود وجماعة من اتباع الديوان فتمرض جماعة من العامة لرجه فانكرت الحال عليهم

ومنعوا واخذت منهم جماعة فحبسوا وعوقبوا (١) .

ويظهر ان دانيال بن شموئيل تولى منصب رئاسة مشيئة اليهود على اثر وفاة ابي الفتح اسحق بن الشوح وفي رواية ابن الشريح وكان هذا ذا فضل وادب يكتب خطاً حسناً وينظم شعراً عربياً جيداً ويعرف علم النجوم معرفة جيدة (٢)

وفي سنة ٦٤٨ هجرية سأل غالي بن زكريا الاربلي ان يترتب راس اليهود فاجيب

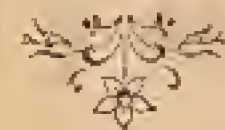
(١) اعتمدنا في هذه المآخذ الثلاثة على كتاب تاريخي مخطوط نقل يبحث مؤلفه فيه عن اخريات ايام العباسيين وايام المغول والنسخة الاصلية موجودة عند العلامة سعادة احمد تيمور باشا في مصر وبعث بنسخة منه الى حضرة الاب انستاس الكرملي وعن هذه النسخة نقل نسخته صديقنا الفاضل ي . ع . س . وقد سمح لنا ان ننقل عنها هذه الاخبار فوجب علينا شكره كما لشكره لتفضله علينا بعدد من الرحلات في اللغات الاوربية افادتنا في بحثنا عن يهود العراق في عهد الارك .

قد نشر حضرة الاب لويس شيخو في مجلة المشرق في عددها الصادر في شهر آب سنة ١٩٢٠ تنقلاً نقيسة من الكتاب المخطوط المذكور . ونحن اضطلع من الان وصاعداً في الامناع الى هذا التأليف على العبارة الآتية « تاريخ العراق في عهد المغول » مؤلف مجهول .

(٢) اعتمدنا على الكتاب المخطوط الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد المغول » مؤلف مجهول .

الى ذلك وشافه الوزير بذلك وانفذ في بغداد الى قاضي القضاة فقلد فخرج ومعه
جاعة من اليهود واتباع من باب النوبي ومعه تقليده الذي كتب له من الديوان (١)
يروى ان في سنة ٦٤٩ هجرية شاهد علي ابن ابي الفتح ابي الفرج الوزير ابن رئيس
الرؤساء صيرفياً يهودياً حاملاً دراهم فتبعه الى بيته وقتله وسأبه مائة فاستنجدت امرأته
بالناس فقتلها وقتل قراً من الناس الذين تبعوه . (٢)

فجعل مسك الختام لهذا الفصل حادثة وقعت سنة ٦٤٥ هجرية وهي انه قاض
دجلة فخاف الناس من الفرق واقام اليهود سكرأ في محلاتهم وعاونهم المسلمون في عملهم
الا انه جرت على اثر ذلك فتنة بين الطرفين لمنازعة بينهم فقبضت الشحنة على
اليهود . (٣)



(١) (٢) (٣) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد
المغول لمؤلف مجهول »

يهود العراق

في

عهد المغول والتتار

في منتصف شهر المحرم من سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة (٢٣ كانون الثاني
١٢٥٨) نزل على باب بغداد هولاء كوك المغولي اخو مانغو الخان الاكبر ابلاد التتار
وكلاهما حفيد جنكيز خان . وفي قيادة عسكر جرار . وفي اليوم السادس والعشرين
من محرم سنة ٦٥٦ (٥ شباط ١٢٥٨) شددوا الحصار على بغداد من جميع
الجوانب وفي اليوم الرابع من صفر اضطر الخليفة العباسي المستعصم بالله الى الخروج
بين يدي الطاغية المغولي ومعه اولاده واهله . فدخل عساكر هولاء كوك المدينة واعملوا
فيها السيف والنار وارتكبوا المؤبقات وسبوا الذراري ونهبوا وسلبوا وبقي الذهب
يعمل الى سبعة ايام . فهلك سكان مدينة السلام على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم
ما خلا نفر قليل من النصاري وفي رابع عشر صفر رحل هولاء كوك من بغداد وفي
اول مرحلة قتل المستعصم وابنه الاوسط مع ستة نفر من الخصال بالليل وقتل ابنه
الكبير ومعه جاعة من الخواص .

دالت دولة العباسيين من العراق وانطوى بساط ملكهم من بغداد بعد ان حكموا
خمسة قرون او ٥٢٤ سنة هجرية وقام منهم سبعة والاثون خليفة . ومريت ايام عز
وعظمة على العراق والعرب في حكمهم .

لم يأت لأمول والتار الى العراق بالنور والجد والمظمة والعلوم بل جاؤوا بالظلام
والذل والخطة والجهل . وحتم على أبناء الرافدين منذ ذلك العصر الشؤوم ان يقطعوا
مراحل حياتهم في البؤس والشقاء . وطحنهم الايام طحن الدقيق وخيم الجهل على
رؤسهم فحكمهم الاجناب وتوف امرهم كل غريب عن البلاد .

ولم يسم اليهود من هذه النائبات بل لحقهم فسطوا فر من الاذى والجور والعسف .
ونجروا غصص النائبات من قتل وسلب وسي حين دخول المغول البلاد . واشتركوا
بالخنة التي أمتحن بها نصارى بغداد في غرة ملك ارغون حتى لم يجسر واحد
من الرجال ان يظهر في الطرق وكانوا يرسلون نساءهم الى الاسواق مزريات بزي المسلمات
لاقتباع ما يحتاجون اليه الا ان ليل المصائب كان قصيراً وما فتئت ان ظهرت
لهم من خلال الضيق اشعة الرجاء فقام منهم رجل نال كلمة نافذة في البلاد
ومزلة جليلة القدر اريد به الطبيب اليهودي سعد الدولة . فانه خلف
سنة ٦٨٢ هجرية (١٢٨٣ - ١٢٨٤ م) جلال الدين السمناني في وزارة المالية .
كان سعد الدولة في اول امره دلالاً بسوق الصناعة بالموصل (١) ثم صار طبيباً
خاصاً بارغون وكان يقيم في اكثر امره في بغداد . فولاه ارغون وعظمه ومكنه
فحكم في سائر البلاد التي باليدي التتر . وان ما حدا بالملك التتري الى رفع مقام
طبيبنا اليهودي ان سعد الدولة مدة اقامته في بغداد وقف على احوال المالية وعلى ما
كان يرتكبه اصحاب اروق من اختلاس الاموال وما كانوا يتلاعبون بالضرائب .

(١) كتاب المختصر في اخبار البشر لابن القداء ٤ : ١٧

فبين لا رغون ان معظم اموال الخزينة يتسرب الى جيوب اروق واخيه الوزير
بوقا . واخبره بهدم مدارس كثيرة وخانات واحد الجوامع وان اقاضها اتخذت ليلية
امر بتشبيدها بوقا . وايدته في مدعياته هذه كل من اردوقيا وبيان سوكرجي
وكان كلاهما من ارباب الحول والطول في قصر الملك . فامر ارغون سعد الدولة
واردوقيا وبيان سوكرجي بان يفحصوا دفاتر الجباة ويحبوا الضرائب . فجي الطبيب
اليهودي مبلغاً عظيماً ودفعه الى ارغون . فسر الايخان من عمه هذا وعينه
مفتشاً على مالية بغداد ورفع عقيب ذلك الى منصب الوزارة على كل المملكة
ولما تقلد الوزارة عين اخاه فخر الدولة ناظراً عاماً على مزارع العراق العربي . واخاه
امين الدولة حاكماً على الموصل وسائر اقاليمه في وظائف أخرى من وظائف الدولة
في اقطارها القريبة من بغداد (١) وسنأتي على ذكر اعمال سعد الدولة وما
كان من امره .

واشتهر في هذه الطاوي بغداد عز الدولة سعد بن منصور بن سعد الملقب بابن كونة
وكان عالماً متضلماً من علم الفلسفة . فآلف سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ م) كتاباً سماه
الابحاث عن الملل الثلاث تعرض فيه بذكر النبوات . فنار العوام وهاجوا واجتمعوا
للكبس داره وقتله فركب الامير تمسكي شحنة العراق . ومجد الدين ابن الاثير
وجاعة الحكام الى المدرسة المستنصرية (٢) واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين

لتحقيق هذه الحال وطلبوا ابن كونة فاخفى وانفق ان ذلك اليوم كان يوم الجمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فتمعه العوام فماد الى المستنصرية فخرج ابن الاثير ليسكن العوام فاستودع اقبج الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كونة والذب عنه فأمر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لاحتراق ابن كونة فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر . واما ابن كونة فإنه وضع في صندوق يجلد وحل الى الحلة وكان ولده كاتباً هناك فاقام اياماً وتوفي فيها (١)

ووكّل بمارتها الى مؤيد الدين ابني طالب محمد بن العظمي واقامها على شاطئ دجلة الشرقي في آخر سوق الثلاثاء . وقال عنها احد الكتبة لم يعمّر في الدنيا مثلها . بنيت على شكل مستطيل وفي كل جانب ايوان فيه مدرس من كل مذهب من المذاهب الاربعة وفي طرفي كل ايوان رواق ممتد وفي منتهي حيز للتلاميذة وفي الطبقة العليا تشاهد غرف على هذا النسق ايضاً . وكان فيها خزانة كتب ومطبخ وحمام وساعة عجيبة تشير الى اوقات الصلوة والتدريس ومنصة يجلس عليها المرضى فيتفقدهم الطبيب وكان الانتهاء من بنائها سنة ٦٣١ هجرية واما بناء المنصة والساعة فم سنة ٦٣٣ . وقد حوّلها الاراك الى دار مكس ولا تزال كذلك حتى اليوم ويعرف مكانها « بالكرك » وللتوسع راجع مقالنا « المستنصر والمستنصرية » المنشورة في ملحق جريدة العراق في ١٥ تموز ١٩٢١

(١) الكتاب المخطوط الذي عنوانه تاريخ العراق في عهد المغول « مؤلف مجهول » وعند نشر الاب لويس شيخو هذا الخبر في مجلة المشرق الغراء آب ١٩٢٠ ص ٦٠٥ .

وفي رواية كانت وفاة ابن كونة سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧ م) (١) ولابن كونة تآليف اخرى غير الابحاث في الملل الثلاث عرفنا منها تذكرة في الكيمياء (٢) وشرحاً على التلويحات في المنطق والحكمة للشيخ شهاب الدين يحيى بن حنين الدهروردي المقتول سنة ٥٨٧ هجرية (٣) وشرح الاصول والجل من مهمات العلم والعمل الفه لابنه شمس الدين صاحب ديوان الممالك وهو كشرح لكتاب « الاشارات والتذهبات في المنطق والحكمة لابن سينا » (٤) والحكمة الجديدة في المنطق (٥) علمنا والكتاب مائل للطبع ان عند العلامة جميل الزهاوي نسخة منه . وقد هن ابن كونة عاطفة الدين في علماء العرب بكتابه الابحاث في الملل الثلاث فلهذا اقلامهم لرده وانتقاده فكتب مظفر الدين احمد بن علي المعروف بابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ كتابه « الدر المنصود في الرد على فيلسوف اليهود » (يعني ابن كونة) (٦) وكتب في دحضه الشيخ زين الدين سريجا بن محمد الماطي ثم الاردبي الشافعي المتوفى سنة ٧٨٨ هجرية كتابه المسمى « نهوض حث اليهود الى خوض خبيث اليهود » (٧)

واصديقنا الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي تأليف عنوانه « فلاسفة اليهود

(١) كشف الظنون للبحاح خليفة مجلد ١ : ١٠٣ (٢) كشف الظنون مجلد ١ : ٢٧٧

(٣) كشف الظنون مجلد ١ : ٣٢٩ (٤) كشف الظنون مجلد ١ : ١٠٣ و ٢ : ٥٢

(٥) كشف الظنون مجلد ١ : ٤٥٠ (٦) كشف الظنون مجلد ١ : ٤٨٠ (٧) كشف

الظنون مجلد ١ : ٣٣٨ و ٢ : ٦٢٤

في الاسلام ، خص فيه فلسفة ابن كزونة وغيره ممن اشتهر من فلاسفة اليهود في الاسلام ولا يزال الكتاب مخطوطاً فترجو نشره في القريب العاجل فائدة للعالم .

وكانت جماعة يهود الموصل من وجهة حوالي هذا الزمان اي بعد قرن من رحلة بنيامين التيطيلي اليها . واشهر فيها الربان داود بن دانيال بدافعتة عن مذهب ابن ميمون . (١)

وما حدث لليهود في بغداد سنة ٦٨٧ هجرية (١٢٨٦ م) انه وصل في شهر صفر من هذه السنة جماعة من اليهود من تفليس وقد رتبوا ولادة تلي تركت المسلمين قاجروا الامر على ان لا يورثوا ذوي الارحام فانكر الامير اروق ذلك وامر بان يعمل بمذهب الامام الشافعي كما كان يعمل قديماً فانفقت وفاة بعض العوام وخلف ابن عم له فانكر الثواب نسيه وختموا على تركته فاستغاث واستنصر بالعوام فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة اوجبت خوف الثواب من القتل فاختلفوا وتحصنوا في بيوتهم فذهب العوام دكا كين اليهود من الحلاطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك وخرج الثواب من بغداد متوجهاً الى بلادهم فصادفهم الاكراد في الجبل وقتلهم . (٢)

لنعودن الى سعد الدولة واعماله . فانه بعد ان تسلم ازمة الاعمال تقدم سنة ٦٨٨

Jewish Encyclopedia Vol. IX, P 97

(١)

(٢) اعتماداً على الكتاب الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد المغول » لمؤلف

مجهول .

هجرية (١٢٨٩ م) بالقبض على الزين الحظائري ضامن الثغرات ومجد الدين اسمعيل بن الياس واستوفي ما عليهم من الاموال في ثلاثة ايام ووكل بهما وقتل الزين ظاهر عند سور بغداد في ٢٠ جمادي الاخرى وقتل مجد الدين في ٢٢ من الشهر عينه . ثم قتل غيرهما ومنهم ناصر الدين الذي دفن في جوار سلمان الفارسي . وفي رجب من تلك السنة قتل منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد (١)

وفي سنة ٦٨٩ كتب بعضهم ذماً في اليهود ووقف عليه سعد الدولة واطلع عليه السلطان ارغون فخكه في كل من كتب فقتل على اثر ذلك جمال الدين بن الحلاوي ضامن ثغرات بغداد وصلبه بباب النوبي (٢)

ومن اعماله في اخريات ايامه انه سمع ان نور الدين عبدالرحمن بافشان ملك واسط تكلم عليه في حال السكر فبعث مذهب الدولة بن الاشعري الى واسط فقبض على ملكها وارسله الى بغداد مطوقاً بالحديد على ان يقتل فيها . فلما وصل الى بغداد وكل به في دار النياحة ثلاثة ايام . فلما كان اليوم الثالث وصلت الابلجية من اردو باندو وحضروا ليلاً عند جمال الدين المستجروا الي كاتب العراق واخبروه بان السلطان ارغون توفي وقتل الامراء سعد الدولة قبل وفاة السلطان وان اردو باندو قوض اليه امر العراق وامره بالقبض على فخر الدولة اخي سعد الدولة . فافق مع الابلجية وشحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة في سبت من سبت ربيع الاخر .

(١) و (٢) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد

المغول » لمؤلف مجهول .

ولما قبضت الدولة نهب داره وادور اليهود كافة واخذت اموالهم ودام ذلك ثلاثة ايام فركب جبال الدين في جعاعة من الجند ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جعاعة منهم وقتلوا منهم فسكنت الفتنة . (١)

وفي تلك السنة قتل شاب من اليهود وحدث على اثر وفاته فتنة . ولما سكنت الحال وخرج القوم على عادتهم الى اعمالهم اشاع طائفة من العوام ان الحكم قد فسخوا في نهبهم فسارع الانرار والسفلة والشطار في ذلك ونهبوا دورهم ودكاكينهم . فركب جبال الدين وكفهم عن الاذى ولم يبق بلد من بلاد العراق الا وجرى فيه على اليهود من النهب ما جرى في بغداد .

وطولب فخر الدولة وجعاعة من اعيان اليهود باموال وضويقةوا وعوقبوا عليها فادعوا اذ اموالهم نهب من دورهم . وارسل باليدو الى الموصل من قبض على امير الدولة اخي سعد الدولة واعتمل معه مثل ما اعتمل مع اخيه فخر الدولة (٢)

ومنذ ذلك الحين وقع اليهود في ضيق عظيم عد من اكبر البلايا واجتمع المصائب . وفي سنة ٦٩٤ هجرية ١٢٩٥ م جلس السلطان غازان على التخت وامر بالزام اهل الذمة الفخار فكانت علامة النصارى شد الزنار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمامتهم فداموا على ذلك شهوراً ثم ازيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجبال منهم . (٣)

(١) (٢) (٣) اعتماداً على الكتاب الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد المغول »

ل مؤلف مجهول .

وفي هذه السنة اصدر الامير نيروز امرأ يقضي بتخريب كنائس النصارى واليهود وقتل رؤسائهم وكان هذا الامر في مراغة وبغداد وغيرها من الامكنة (١)

وفي سنة ٧٢١ هجرية (١٣٢٢ م) امر السلطان ابو سعيد بهادر المغولي ان توضع اللائم على الذميين من نصارى ويهود تميزاً لهم من الاسلاميين عند وقوع الفتن فاسلم كثير من الذميين (٢)

وفي سنة ٧٣٤ (١٣٣٣-١٣٣٤) الزمت النصارى واليهود ببغداد بالقياس ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم واسلم منهم ومن اعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود عمر في زمن يهوديته مدفناً خسر عليه مالا طائلاً فخرب مع الكنائس . وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وشرع في عمارة جامع يدرج دينار وكانت بيعة كبيرة جداً . (٣)

حكم العراق في هذه الماطاوي دويلات فقي سنة ٧٣٦ هجرية (١٣٣٥ م) نشأت حكومة الجلائرية واستولى على القطر حسن بزرگ ولم يدم طويلاً حكمهم في العراق بل انطوى بساط صولتها بموت ابي سعيد وحلت محلها حكومة الخروفي الاسود « قره قويونلي » واول من ملك العراق منها الشاه منصور بن محمد في سنة ٧٧٨ هجرية (١٣٧٦ م) ولم يستقر له الامر بل ان الشاه احمد الجلائري تغلب عليه واستولى

Chabot : Histoire de Jabalaha (١)

(٢) كتاب الفوز بالمراد في تاريخ بغداد للاب الستاس الكرمل ص ٢٠-٢١ .

(٣) ابو الفداء مجلد ٤ ص ١١٣

على بغداد سنة ٧٨٥ هجرية (١٣٨٣ م)

وفي سنة ٨٠٢ هجرية (١٤٠٠ م) نزل تيمورلنك العراق ثانية فهاجت قلوب
الاهلين وخاف اليهود هذا الطاغية فجاؤوا غارين من القرى المجاورة واجتمعوا ببغداد الا
ان كثيرين منهم قتلهم التتار ويقال ان اصحاب تيمورلنك قتلوا في تلك السنة نحو
عشرة الاف يهودي في البصرة والموصل وحسن كيفاً (١) ودمروا مدارسهم
واقطعت الرئاسة بينهم زمناً طويلاً وتبددت الجماعة في المدن والاقاليم ففدت حالهم
مؤلة موجعة (٢)

ولما مات تيمورلنك رجع احد الجلائري الى بغداد وبقي زمام الحكم بيده الى
سنة ٨١٠ هجرية (١٤١٠ م) وفي هذه السنة استولت حكومة الخروف الاسود ثانية
وبقيت ربة الحل والعقد في بغداد الى سنة ٨٧٢ هجرية (١٤٦٨ م) وانتقلت الى
حكومة آق قويونلي او الخروف الابيض وكان مؤسسها حسن الطويل .

وحدث في سنة ٨٩٩ هجرية (١٤٩٣ م) حادث هلمت له قلوب يهود العراق
وهو ان يهود ايران اختلفوا مع الدولة فقاتلهم الاهلوت وقتلوا منهم ثلاثمائة
الف يهودي . (٣)

لقد باعنا الان عصرنا نكتنفه ظلمات الجهل في العراق وتعمز الموارد التاريخية على

(١) Mendelssohn: The Jews of Asia 232

(٢) Basnage: History of the Jews Book VII P: 696

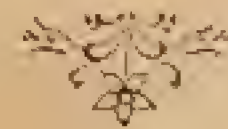
(٣) الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ص ٨٦

الباحث ولا سيما الحوادث التي نفيدها بحثنا هذا . فان في هذه الحقبة يدخل تاريخ
يهود العراق في غموض وابهام لقلة التأليف والتصانيف في عهد امست الديار ميدان
الحروب والقتل والدمار يتقلب الحكومات وتغير الاحكام . وكانت كل فئة ضعيفة
تحاول ان تخفي كيانها عن اعين الفاتحين او تريد ان تعيش عيشاً ذليلاً تنفيهاً بقى
اقوياء البلاد وتستغل بظلال زعماء المحلات . فلم يكثر لهم ولاخبارهم المؤرخون . فلا
نقطع بعدم وجود المصادر لتاريخ يهود العراق في هذا العهد لابل نذهب الى انها بمنزلة
بين الاضابير المصونة في البيوت والخزانات ومشتتة في تضاعيف الرحلات واخبار
المتجولين في هذه الاقطار من الافرنج وغاية ما نرغب الى الادباء وحلة الافلام ويهود
العراق ان ينشروا ما تقع ايديهم عليه من اخبار هذه الامة في ديار بين النهرين سداً
لهذا الخلل . او ان يجمعوه في خزانة خاصة به . فليس ليهود العراق خزانة «جنيزة»
كما لهذه الامة في غير البلدان . فقد سبق يهود القاهرة اخوانهم يهود العراق في هذا
الباب وانشأوا سنة ١٩١٣ خزانة دعوها (المكتبة الاسرائيلية) جموا فيها شتات
المخطوطات من كتب وصكوك واوراق عقود وقصائد .

ومما هو حري بالذكر ان يهود العراق بقوا في هذه الديار في القرون التي عقيت اسديلاء
الغول والتتار . ولم يضطروا الى مغادرة اوطانهم مع ما كان فيهم من المظالم والاضطهادات
كما فعل الساطرة الذين هجروا بغداد والبصرة وكل مدن العراق ما خلا الموصل
ونواحيها والتجأوا الى قم جبال كردستان وبلاد الفرس حتى انقطع ذكرهم من
عاصمة العباسيين عهداً وخربت بيعهم وهدمت معابدهم وباتت اديرتهم قاعاً بلقياً

بمئس فيها اليوم والغراب وبذلك مبد لهم . ولم تعد فئة من النصارى الى مدينة
السلام الا بعد مرور قرن او اكثر على ترويح اجدادهم عنها . والسر في الامر
ان اليهود رضخوا لتقلبات الزمان وصروف الدهر وتواذبه وجاهلوا الحكم والامراء .
فهذا هو الشعب الذي يتوي مع التواء الزمان ويحافظ على كيانه في وسط العواصف
السياسية والتقلبات المدنية .

وقد جاء في احصاء قديم (١) وان لم اعرف منزلته من الصحة والضبط .
كان عدد اليهود الذين يدفعون الجزية ٣٦٠٠٠ عند دخول هولاء كورناد و كان عدد
كنائسهم ١٦ . اما النصارى فكانوا ٤٣٠٠٠ نسمة ولهم ٥٦ بيعة . فلم يبق للنصارى
من تلك المعابد القديمة معبد واحد . واليهود يضعون معاهد قديمة من قبل العهد وعدد
تقوسهم في بغداد اليوم اربعة اضعاف نصارى بغداد ولم يكن عدد نصارى بغداد
قبل قرن الا ٥٠٠ نسمة فنكثروا في منصرم القرن الماضي واولئل القرن الحاضر
حتى بلغ عددهم اليوم ١٤٠٠٠ نسمة .



(١) الاحصاء مأخوذ عن كتاب خط اسمه « الدر المكنون في مآثر الماضية
من القرون » لصاحبه ياسين العمري راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٨ ص ٣٩٧ ، الا
اننا لا نتق بضبطه وان اعتمدنا عليه .

يهود العراق في حكم الأتراك

لا نرى مذبوحة عن تصدير هذا الفصل بنظرة عامة في التطورات السياسية التي حدثت في هذا القطر ويلمحة تاريخية عن الإيرانيين الذين تنازعوا الحكم في العراق قبل أن يستتب الأمر الأتراك فيه . ثم نشفعها بكلمة وجيزة عن حال اليهود في إيران والعراق قبل زمان السلطان مراد الرابع .

رأينا في الفصل السابق أن بعد سقوط الدولة العربية العباسية أضحت بلادنا مهبط المغول والتتار وحكم فيها الجلائريون وأصحاب حكومة الخروف الأسود والخروف الأبيض . وفي ٩١٤ هجرية (١٥٠٨ - ١٥٠٩) كان حاكم بغداد رجلا اسمه (بارك) ولاء عليهما السلطان يعقوب . فبعث الشاه اسمعيل الصفوي (١) في تلك السنة للاحسين

(١) اسمعيل الصفوي مؤسس السلالة الصفوية في حكومة إيران حكم من سنة ٩٠٥ إلى ٩٣٠ هجرية (١٤٩٩ - ١٥٢٤) وهو أحد أعقاب الشيخ صف الدين الأردبيلي وكان لهذا منزلة دينية . ورثه ابنه صدر الدين الذي حرر من أسر تيمورلنك جماعة من الأتراك كان قد أخذهم من ديار بكر . ولما حرروا من الأمر أصبحوا من مریدی الشيخ . وظمن جماعات من أعقاب هؤلاء الأسرى إلى جيلان وعضدوا الصفويين في تأسيس دولتهم . وتعاضدوا الصفويين حتى خشي عاقبة أمرهم



عائلة يهودية

برأس جيش لفتح بغداد . فوالاه النصر واستولى على المدينة ثم توجه الشاه اسمعيل الى بغداد وقام ببعض اعمال يذكرها التاريخ .

فدجا في كتاب يهود آسية (١) ان يهود بلاد فارس افتتنوا باعمال الشاه العسكرية وسعوا للحصول على رضائه الا انهم مع اعجابهم به وخضوعهم له لا يظهر انهم توفقوا لنيل التفات ملكهم المستبد والشديد الشكيمة .

وذكر صاحب كتاب خلاصة تاريخ العراق (٢) . وكان الشاه (اسمعيل) قد قتل كثيرين من مسلمي السنة وذبح جمع نصارى المدينة (بغداد) ولم يبق واحدا منهم اما اليهود فانه لم يتعرض بهم وكانوا يهدون اليه الهدايا الجلييلة والاموال الطائلة

ميرزا جهان شاه ثالث حكام دولة الخروف الاسود فاني من اذريبيجان الشيخ جنيد حفيد الشيخ صفي الدين . فالتجأ جنيد الى حسن الطويل مؤسس دولة الخروف الابيض في ديار بكر . فاکرم مشوا وانزله على الرحب والسعة وزوجه من اخته — خديجة بيكم — واذ لم ينس له الرجوع الى اردبيل سافر الى شروان واقام فيها . وقتل هناك . وتزوج ابنه الشيخ حيدر من بنت خاله حسن الطويل واسمها حليلة بيكم اوه عالمشاه خانون وامها اميرة يونانية . فولد من هذا الزواج السلطان علي وابراهيم ميرزا والشاه اسمعيل مؤسس الدولة الصفوية . وبعد وفاته تولى الملك ابنه الشاه طهماسب .

(١) Mendelssohn: The jews of Asia P.80

(٢) الاب الاستاس ماري الكرملي : خلاصة تاريخ العراق ص ١٩٥

لاحتياجه اليها يومئذ . « نورد هذا الخبر بتحفظ لانه مجهول المصدر الذي اخذ عنه المؤلف .

مهما يكن الامر فان الشاه اسمعيل لم يعاد اليهود على ما يظهر عداء مبدئياً بل ترك لهم حريتهم في اعمالهم واشغالهم . وبما يؤيد رأينا ما جاء في تلك المطاوي في رحلة لاحد الايطاليين (١) اي بين سنة ١٥١١ و ١٥٢٠ م فانه قال في معرض كلامه عن مدينة تبريز : وهناك يهود ايضاً ولكنهم ليسوا من سكانها الباقين فيها بل انهم جميعهم غرباء يأتون اليها من بغداد وكاشان وبزد وهم من التبعة الصفوية فيسكنون في الخانات كسائر التجار الغرباء .

وبعد استيلاء الايرانيين على بغداد حكم فيها ذو الفقار ابن محمود سلطان من روساء قبيلة موصلو الكردية . وما عم ان ساد على القطر كله لما طبع عليه من الشجاعة والسخاء . فاطاعه معظم الادلين راضين غير ناقلين . ومال ذو الفقار الى السلطان سليمان القانوني وقرأ الخطبة وضرب السكة باسم السلطان العثماني وارسل اليه الوفود عارضاً عليه خضوعه واتباعه .

فقل الامر على الشاه طهماسب وحزن على فقدان بغداد واستاء من مساعي ذي الفقار فجيش عسكرياً وحمل على بغداد في شهر تموز من سنة ١٥٣٠ م (٩٣٦ هجرية) وبعد ان عجز الشاه طهماسب من الاستيلاء على بغداد حرباً بذرع ياخوي ذي الفقار ومناهما بالمواعيد . فاعتالا اخاهما وقتلوا .

وقد كان لهذا النبأ رنة في الأندية السياسية التركية فمهد السلطان سليمان الأول قياد الحشوش الزاحقة الى العراق الى ابراهيم باشا الصدر الاعظم . فأكمل القائد العام تجهيزات حملته في ربيع الثاني ٩٤٠ هجرية (نهاية ١٥٣٣ م) وتوجه الى حاب وقضى فصل الشتاء فيها .

فتح الحشيش التركي بغداد في سنة ٩٤١ هجرية (١٥٣٤ م) ودخل السلطان سليمان الاول عاصمة العباسيين . وبقي فيها نحو ستة اشهر . وخضع له في اثنائها مدن اخرى من العراق .

ان المصادر التي امامنا حين كتابة هذه السطور لا تفيدنا شيئاً عن تاريخ يهود العراق في زمن السلطان سليمان الاول ولا عن موقف هذا الفاتح الحكيم تجاه تلك الجماعة في بغداد وغيرها من مدن الرافدين . بل غاية ما نعلم ان عدد يهود العراق كان قد قل كل القلة بعد تكة الغول والتتار وساءت احوالهم الادبية والمادية ولم يبق لهم شأن في البلاد . اما السلطان سليمان فان لم يكن قد غمرهم باحسانه فانه لم يلحق بهم اذى البتة لما عرف به من الرشيد والحكمة والتساهل والعدل . فقد امر جيشه بدفع بغداد ان ينجح في البرية في ربض الاعظمية وحظر على الجنود ان يجوزوا اسوار المدينة او ان يؤذوا سكان المدينة باذى ما (١)

ونما يزيدنا اقناعاً في ان حال يهود العراق كان هنيئاً على عهد السلطان سليمان الاول ما جاء في التاريخ عن حالة اليهود في تركية عموماً قبل ذلك الزمن

بنحو قرن وبعده .

كتب في اواسط القرن الخامس عشر احد اليهود المسمى اسحق زرقاني رسالة وبعث بها الى يهود المانية والمجر دعاهم بها الى الهجرة الى بلاد الارك . ووصف بها وصفاً حاسياً حال اليهود في وطنهم الجديد . وما قال فيها الكاتب ان بلاد الارك ارض لا يوز كم فيها الى شيء وان شئتم وافقكم كل الاحوال وفق مرغوباتكم . فها تصلون الى الارض المقدسة سالمين . اوليس الافضل ان تسكنوا في حكم المسلمين من ان تسكنوا في حكم النصارى ؟ فانكم تتمكنون هنا من لبس الخمر الالقية ويمكن كل واحد هنا من الجلوس تحت كرمته وشجرة تينته . ومما يمكن الامر فانكم لا تجسرون على لباس اولادكم في البلاد النصرانية اللون الاحمر او الازرق ان لم تعرضوا بهم الى الضرب حتى يزرقوا او تسليخ جلودهم حتى يصبغهم الدم . (١) اذاع اسحق زرقاني هذه الرسالة في عهد قامت فيه قيامة اوربة على اليهود فطرد هولاء من اسبانية . فوجدوا في بلاد الارك ملجأ فانصبت قوافل المهاجرين عليها انصباباً من كل اقطار اوربة . فوجدوا فيها ميداناً واسعاً لنشاطهم ومنتجاً خصباً لاستثمار مساعيهم . وكانت الحكومة التركية في ابان نهضتها وفي حاجة الى ايد عاملة ورجال علم وفن فرحبت بهم ورأت فيهم ضيوفاً نافعين فأكرمت مشواهم .

(١) ان هذه الرسالة المهمة محفوظة في الخزانة الوطنية في باريس (بيت الآثار القديمة) مرقمة برقم ٢٩١ ويبحث عنها العلامة اليهودية في المجلد الثاني عشر صفحة ٢٨٠ .

واُسندت اليهم الوظائف المختلفة في الدولة .

واشتهر في القرن السادس عشر من اولئك المهاجرين الناصبي يوسف البرتغالي المولود قاه نال من الطراف السلطان سليمان الاول والسلطان سليم الثاني ما جعله بين رجال الدولة العظام وبين مشاهير المالبين في الحكومة التركية لابل نرعت نفسه الى الملوكة وحكاية الحال ان السلطان سليمان قال له يوماً اذا تحققت رغبتي في فتح قبرص ستكون ملكها . فما كان من الناصبي الا وعمل لوحة عليها شعار قبرص وكتب عليها « جوزيف ملك قبرص » وعلقها على باب داره . وتعلّصاً من هذا الوعد لقبه لقب دوق

نكسوس Duke of Naxos

وخسر الناصبي يوسف معظم نفوذه السياسي بموت السلطان سليم وان ائبث له السلطان مراد الثالث القاه ومناصبه . وافته امنية سنة ١٥٧٩ م ولم يترك عقباً . (١)

واشتهر حوالي ذلك الزمان في سلطنة آل عثمان يهودي آخر اسمه سامان اشكنازي او ابن نائان . وتقلب في مناصب عديدة مهمة ثم بعثته الحكومة العثمانية سفيراً الى حكومة الهندية وقدرته سلطة واسعة . وكانت درايتة بالامور السياسية واسعة اخلته لتدبير شؤون السلطنة العثمانية السياسية مع الدول النصرانية نحو ثلاثين سنة (٢) وكان هذان الرجلان وغيرهما من اليهود في العاصمة انصاراً لآبناء قومهم الساكنين

(١) راجع Mendelssohn: The Jews of Asia 4—7

والعلمة البريطانية مادة Joseph وثمانيني تاريخي : احد راسم مجلد ١: ٣٠٣

(٢) Mendelssohn: The Jews of Asia 7—10

في بلاد الأتراك يتوسطون في امور الجماعة على طول البلاد وعرضها .

بعد ان استولى السلطان سليمان الثاني على بغداد رتب عليها الحكم . وبقي الولاة العثمانيون يدبرون شؤونها عهداً حتى حكم فيها بكر صوباشي في سنة ١٠٢٨ هجرية (١٦١٩ م) واستبد في امورها وخرج على الحكومة التركية واستقل عنها . ولما تبوأ السلطان مراد الرابع اريكة آل عثمان سنة ١٠٣٢ هجرية (١٦٢٢-١٦٢٣ م) بعث جيشاً لتأديبه . وبعد قتال كاد يخذل فيه بكر صوباشي وبولي الادبار استجار بالشاه عباس الاول فاجاره وبعث جيشاً الى بغداد الا ان بكر صوباشي ندم على عمله هذا وحاول ان يرد الجيش الفارسي عن مدينته الا ان لم يقده ندمه فحاصر الفرس المدينة وقتلوا حاميتها وفي سنة ١٠٣٣ هجرية (١٦٢٣-١٦٢٤ م) استولوا على القلعة الداخلية ليلاً ولما اسفر الصباح وسمع الاهلون اصوات الابواق من اعالي البروج والاسوار علموا بما جرى في الليل وكان فرعهم عظيماً .

ولما دخل الفرس المدينة واستتب لهم الامر فيها اتوا بانواع الفطائع من قتل وتشكيل وتخريب وتدمير . (١) وهذه كانت اعمالهم في الموصل وسائر المدن التي احتلوها عقيب فتح بغداد .

لشترك مدينة السلام بيد الفرس ولندرسن حال يهود العراق وبلاد ايران في هذا الزمن . زار العراق في مفتتح القرن السابع عشر السائح تكسيرا (١٦٠٤-١٦٠٥ م) وقال عن يهود بغداد ما يأتي : وهناك (في بغداد) من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بيت من اليهود

(١) راجع :

C. Huart : Histoire de Bagdad 52 - 59

ومهم ١٢ او ١٥ يتأرقون اصلهم الى الاسرى الاولين . وعدد من هذه الطائفة اغنياء ولكن اغلبهم في فقر مدقع وجميعهم يسكنون محلة واحدة ولهم كنيس او مصلى ويقومون بشعائر دينهم بكل حرية . (١)

ثم تطرق الى ذكر مدفن يوشع كادول في جانب الكرخ ووصف مزاره (٢) وبعد قليل ذكر في سياحته يهودانة وقال عنهم : ان مائة وعشرين بيتاً من سكانها يهود عرب وان لم يكونوا اغنياء فانهم يعيشون عيشاً وسطاً . وبراغي جانبهم امير البلاد وموظفوه ولا بد من ان ذلك يكلفهم شيئاً حسب العادة . ويملكون بيوتاً وأراضي كما يملك العرب الذين يؤلفون بقية سكانها (٣)

ان الشاه عباس الاول الذي بصفه مؤرخو الازراك بالفظاظاة وغلاظة الاخلاق ويروون عن اعماله في بغداد بعد فتحها ما يشيب له الرضمان جزعاً كان مائلاً لغير المحاربين له مسالة نسبية ولا سيما انه اراد ان يكثر سكان مملكته فانهم على الغربة انعامات جليلة فأتوا اليها من كل صوب وحذب للاقامة فيها وللتجارة وكان بينهم جماعة من اليهود الذين استأثروا بالتجارة واغتنوا منها (٤) الا ان اللطف الذي ابداه الشاه لليهود لم يرق في عيون كثيرين من اليرانيين فغاش في صدورهم الحسد وارادوا انتقاماً من هذه الجماعة التي عرفت بتفennها بأنواع الكسب ووسائل الربح

- | | |
|--|-----|
| The Travels of Pedro Teixeira Page 65—66 | (١) |
| Ibid Page 68 | (٢) |
| Ibid Page 84 | (٣) |
| Basnage History of the Jews P 697 | (٤) |

وسعوا فيهم عند الشاه عباس وألصقوا بهم التهمات المختلفة فلم يفلحوا .

ولما اخفقوا في افتنائهم رجعوا الى امور الدين وحركوا عاطفته في ملكهم . وجرت مفاوضات بين الشاه عباس الاول وعلمااء اليهود في هذا الباب وقام بينهم جدال عن المسيح وزمن مجيئه افضى الى ان علماء اليهود ضربوا اجلاً الى مجيئ المسيح سبعين سنة من ذلك الزمن وكان قصدهم الخروج من ذلك المأزق الحرج . وايدوا الامر باتفاق وقعوه ليس من خطتنا التوسع فيه (١) . واطن ان ما ذكره دلافاه في رسائله من اتهام اربعة يهود بالجوسية في اصفهان في شهر تشرين الثاني ١٦١٩ م كان من هذا القبيل حتى اضطر ثلاثة منهم الى الخروج من اليهودية وقلبي الرابع الموت عسكاً بدينه (٢)

مضت الايام ونوالت الاعوام حتى كانت سنة ١٦٦٣ م وكان يومئذ على عرش فارس الشاه عباس الثاني . وانفق في تلك السنة ظهور شباني شوه الذي ادعى انه المسيح المنتظر وبعث باذاعته الى كل يهود العالم ومن بينهم يهود بلاد فارس . فانارت هذه الاذاعة غضب اليرانيين وفتحت باب اضطهاد على اليهود قاسوا فيه الامر من ودام ثلاث سنوات ١٦٦٣—١٦٦٦ فكتبوا فيها . فمنهم من دان بالاسلام ومنهم من هاجر الى الهند والصين والى بلاد الازراك ومنهم من قتل . وقد ذهب بعض المؤرخين

- | | |
|---|-----|
| Mendelssohn : the Jews of Asia Pages 81 - 84 | (١) |
| Pietro della Valle: Les Fameux voyages tome 111 Page 87 | (٢) |

الى ان بلاد ايران خلت من اليهود على اثر ذلك الاضطهاد الا اننا لا نرثي رأيهم ولا سيما ان السائح تيفنو Thevenot الذي هبط بلاد الفرس سنة ١٦٦٣ وبقى فيها الى سنة ١٦٦٦ وهي سنوات الاضطهاد عيها لا يذكر في رحلته شيئاً يستتج منه قتل اليهود قتلاً عاماً . غير اننا نذهب الى ان هذا الاضطهاد دفع جماعات من يهود ايران الى ان يهاجروا الى العراق اذ كان هذا القطر من املك السلطنة العثمانية . وان من هذا التسارخ بدأت هجرة اليهود الى العراق ولا سيما الى بغداد واخذ عددهم بالزيادة في عاصمة العباسيين .

ولابد من ان القارى يسأل كيف استرجع الاتراك العراق بعد ان استولى عليه الفرس سنة ١٠٣٣ هجرية ؟

لم يغفل الاتراك عن امر العراق بعد ان خرج من ايديهم سنة ١٠٣٣ هجرية بل ان السلطان مراد الرابع عين سنة ١٠٣٥ هجرية (١٦٢٥ - ١٦٢٦ م) حافظ احد باشا وزيراً بلقب سردار وفوض اليه استرجاع العراق من الفرس . وبعد قتال دام الى سنة ١٠٣٨ هجرية (١٦٢٨ - ١٦٢٩ م) لم يتصر الاتراك فيه عين السلطان مراد الرابع الصدر الاعظم خسرو باشا قائداً عاماً واودع اليه قيادة حملة العراق . وفي هذه السنة ايضاً مات الشاه اسمعيل الاول وخلفه على تخت ملوك الفرس حفيده صفى مرزا .

مهما كان من امر تلك الحملة التركية على العراق فانها لم تنجح في هجوماتها الشديدة على اسوار بغداد فاضطر السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٧ هجرية (١٦٣٧ م)

الى ان يغادر عاصمة آل عثمان ويأتي الى العراق على راس جيش جرار وخيم في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) امام اسوار بغداد . ودخلها ظافراً بعد حرب عوان . وهذا كان آخر عهد الايرانيين في بغداد .

وقفنا على امرين من هذا العهد يسان تاريخ يهود العراق اولهما مدون في كتاب والاخر من ماثورات يهود بغداد نورد هما على علائهما والعهد على مصدرهما .

ذكر بولاي لكوز كان عدد جيش السلطان مراد الرابع الذي توجه الى بابل ١٥٠٠٠٠ رجل بينهم عشرة آلاف يهودي من كتبة وسعاة ورؤساء جيش (١)

حدثني غير واحد من يهود بغداد ان السلطان مراد الرابع غدر وجوده في هذه المدينة او على اسوارها دخل متفكراً بيت احد اليهود وزل ضيقاً على صاحبة البيت فاكرمت مشواه . ولما غادر البيت سألها هل لها حاجة او لقومها فطلبت اليه ان ينعيم عليهم بارض لتكون مقبرة لجماعتها فاجاب طلبها واعطاهم الارض المنشودة .

ان سكت التاريخ عن احوال اليهود في العراق في عهد السلطان مراد الرابع او ان كنت لم اطلع على ذلك في المصادر التي بين يدي من مؤلفات الافرنج او الاتراك كتاريخ هامر ونعما ودوسون وهوارث فلما نوز عند يهود بغداد ان السلطان مراد الرابع احسن اليهم .

جهلنا لتاريخ يهود العراق لا يقف في عهد السلطان مراد وحده بل يتجاوز

ذلك النطاق ويمتد الى قرن وبعض قرن بعده . ولم أعر على ذكر هذه الجماعة الا في سنة ١٧٦٦ ميلادية في تضاعيف رحلة نهر السائح الدينباركي اذ ان الرحالة يترددون دلاله الذي كان في بغداد في الربع الاول من القرن السابع عشر لم يتصد لذكر يهود العراق الا استطراداً في بحثه عن قبر حزقيال وجب دانيال لا غير .

اما رحالتنا نهر فقد قال عنهم : ان في الموصل ١٥٠ بيتاً من اليهود ويكسب هذا القوم في بلاد الأراك معيشتهم بحرية تفوق الحرية التي لهم في اوربة حيث يحظر عليهم ماطاة الحرف ومع هذا فأنهم لا يحسرون على السير في الطرق في بعض مدن الأراك الا مضطرين هرباً مما يصيبهم من الاهانة من الاولاد .

وقد حدث لهم قبل ثلاث سنوات حادث خطير وهو أنهم لما كانوا قافلين من زيارة قبر النبي ناحوم في القوش فقد ولد مسيحي من احدى القرى القائمة على طريقهم . وبعد البحث وجدت جثته في احدى الابار متخنة جروحاً وكان لسانه مقطوعاً . فأنهم اليهود بهذه الفعلة واذ لم يكن يهود على الامر دفعوا الف اشرفي (دوقية) الى الباشا وهكذا انتهت هذه الدعوى وروي نصارى الشرق من امثال هذه الاقاصيص شيئاً كثيراً . وغائبهم من ذلك ان يبينوا ان اليهود يقبضون على اولادهم . (١)

وقد ذكر استطراداً قبر يوشع ونوسع في وصف زيارة اليهود للسكفل وسنقل مرويته في البابين المختصين بهذين المزارين . وارصد بضعة اسطر لما كان يقاسيه القوم من الجور والعسف من البدو في اثناء زيارتهم السكفل حتى يضطروا احياناً

(١) C. Niebuhr . Voyage en Arabie tome 11 page 295

الى الالتجاء الى المزار والاحصار فيه ربما يتوسط الامر حاكم الحلة او اذا كان عدد البدو كثيراً يتظرون النجدة من والي بغداد لرفع الحصار . ومما قاله عن خوف اليهود من البدو . ان الرعب والفرع يستوليان على الزوار وان كان عددهم يفوق الغزاة البدو عشرة اضعاف او عشرين ضعفاً ولا يحسرون على اطلاق عيار ناري مرة واحدة لانهم يعلمون حق العلم ان الدم الذي يهرق من البدو يكلفهم ثمناً باهضاً . (١)

ومن مروييات اليهود في العراق ان احد ابناء قومهم المثرب المدعو الحواجه يعقوب ساعد العسكر العثماني بماله في حصار البصرة مساعدة جليلة ومد الاهلين بالمؤن في تلك الحرب التي شنها الشاه كريم خان في ١١٨١ - ١١٩٠ هجرية (١٧٧٥ - ١٧٧٦ م) وجاء خبر الحواجه يعقوب ومساعدته في رسالة عبرية الخط عربية اللهجة دعت « الرسالة الفارسية . » وذكر المستر ريج هذا الرجل في كتابه الانكليزي المعنون « الاقامة في كردستان » المجلد الثاني ص ٣٨٩ . في مطاوي بحثه عن مزار العزيز ودون اسمه هكذا Khoph yakooob ونسب اليه عمارة هذا المزار ولم يعلم من هو الرجل لان رحلة ريج كانت في اوائل القرن التاسع عشر .

وقد كتب عنهم روسو في اوائل القرن التاسع عشر مايلي :

يسكن اليهود في محلة واحدة في زاوية من مدينة بغداد والأراك يحفرونهم ويغضونهم في كل آن وحالتهم السياسية والعمرانية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فأنهم كانوا يتوصلون الى دخول السراي ودار المكوس ويبيتون اجمعاء حيث

(١) C. Niebuhr: Voyage en Arabie tome 11 page 217

يجدون من يستخدمهم في خدم مختلفة. (١) ومن أبناء قومهم في البصرة رجال
تعاظمون التجارة (٢)

لم ينصف روسو اليهود بما كتبه بل ان فيه شيئاً من الاجحاف وربما كان
هذا الاجحاف من الانحياز الذي توخاه في عبارته لاننا لا نجد سبباً لتعمده هذه الغاية
ولاسيما نرى في كلامه حقائق ابدها غيره من الكتبة الاوربيين الذين هبطوا هذه
الديار. فهذا هود السائح الانكليزي الذي زار العراق سنة ١٨١٧ م وصف حال
يهود بغداد وصفاً مجملًا وتناول بحثه موضوعين من حياتهم في هذه البلدة الاول منها
منزلهم الاجتماعية ووافق ما كتبه روسو فيهم والثاني اعمالهم التجارية والاقتصادية
وبرهنوا للملأ ان هذه الميزة التجارية تكاد تكون مسجلة لهذا الشعب العامل
حيثما هبط. الا ان معظم النعم الذي يجرونه من الاعمال يتسرب الى جيوب الولاة
وكبار الموظفين ولذلك لم يحصلوا على ثروة طائلة يعتد بها (٣)

وان لم تكن منزلتهم الاجتماعية تسرا صدقاهم على ما جاء في كتاب روسو ورحلة
هود الا انه لا يخلو تاريخهم من شواذ في هذا العصر اذ كان ينبغ بينهم رجال يتناولون
الكلمة الراجحة في البلاد. ولقد يستغرب القارىء من ان احد يهود بغداد كان

(١) Description du Pachalik de Bagdad Par M

édité en 1809 page 12

(٢) Ibid page 32

(٣) Lt William Heude: A voyage up the persian Gulf and

a journey overland from India to England page 182

سبباً لعزل الوزير سعيد باشا بن سليمان باشا من الولاية. وانتهى به الحال الى الموت
قتلاً. واليك رواية الخبر.

ان احد موظفي الحكومة العثمانية واسمه حالت افندي كان قد جاء العراق بمهمة
ثم سافر منها الى استانبول وعين انايكي دولت. واوعز اليه ان ينظر امور العراق
نظراً الى الخبرة التي اكتسبها عن هذا القطر اثناء بعثته الاولى اليه. وكان صديقه
حزقيال اليهودي. وكان اخو حزقيال صديقاً في بغداد فاراد ان ينال منصب رئيس
الجهابذة (صراف باشي) فانكر عليه ذلك سعيد باشا ومنعه هذا الشرف. فوقع
هذا العمل موقعاً سيئاً في عيني حالت افندي وتأثر من اخفاق اخي صرافه واخذ
يتحين الفرص للايقاع بسعيد باشا.

وبما ان حكومة استانبول كانت تحيز حكومة العراق بين آن وآخر ان تضرب
مسكوكات نحاس عند الحاجة امرت سعيد باشا ان يضرب مقادير من تلك
النقود في بغداد. فلودع الباشا امر ضربها الى عزرا المذكور. وبما عملت
الحكومة وعملها هذا الامر انهز الفرصة عزرا ونقش اسم سعيد باشا في عمل الطغراء
وقدم منها نماذج اليه فاضطرب لهذا الحادث وامر في الحال بان تبدل الكتابة على
السكة. ولكن جاء امره بعد خراب البصرة على ما يقال في النمل. اذ سبق عزرا
وبعث بعدد من هذه المسكوكات الى اخيه حزقيال واخبر حالت افندي ان الوزير
ضرب السكة باسمه وعرض عليه تلك المسكوكات حجة واضحة تؤيد مدعاه.

فصدر الامر حالاً بعزل سعيد باشا. فتخرب له طائفة من البغداديين ولكنهم

اخفقوا في مسامح ودخل داود باشا بغداد عوكب حافل في ٥ ربيع الثاني ١٢٣٢ هجرية (٢٢ شباط ١٨١٧) وبعد ايام قلائل بعث رجالاً قتلوا سعيد باشا في بيته (١) وكان لعزرا المذكور نفوذ عظيم وسلطة كبيرة على قومه فكان يسجن منهم من اراد سجنه ويحمله من شاء جلدته . ويظهر انه كان (ناسياً) والناسي كلمة عبرية معناها السامي وكان هذا اللقب يعطى لرؤساء اليهود وقام مقام راس الجالوت في القرون المتأخرة . وكانت الحكومة المحلية تعترف بمزله وحقوقه .

وقد قرأت في احد السجلات المخطوطة لكتاب معاصر لعزرا صراف باشي انه امر بجلد ثلاثمائة جلدة يهوديا اسمه نسيم ومثاهما لشريك نسيم المذكور وذلك على عهد ولاية داود باشا : وبعد ان استقر داود باشا على منصة الحكم وتولى شؤون الولاية اراد ان يبعث بالهدايا المقررة الى الباب العالي واذ كانت الطرق غير مأمونة ليسير فيها النفود طلب من صيارفة اليهود ان يأخذ منهم سفائح على عمالهم في العاصمة فامتنعوا وتمحلوا له الاعذار والتجأوا الى بعض اصحابهم الاتراك من ذوي النفوذ لينقذوهم من هذه الورطة . ومن اعذارهم التي تذرعوها بها ان لا نفود لهم عند زبائنهم في الاستانة فاذا سحبوا عليهم هذا المبلغ رفضت حوالاتهم .

(١) Clément Huart : Histoire de Bagdad pp 170-172

Lt. William Heude : A voyage etc page 176

وبغداد كوله من حكومتك تشكيله انقراضه دائر رساله در مؤلفي ثابت ١٢٩٢ سنه سنه وقت مطبعه سنه طبع اول نشر (در سادات) ص ٣١-٣٣

فعين داود باشا احد الموظفين للمفاوضة معهم بهذا الشأن فلم ينجح في مسامحة غيرهم بمكانه وهذا ايضا اخفق في المفاوضة معهم . فجاء ثالث ورأس اجتماعهم اذ كانوا معتقلين منذ نحو ثلاثة ايام بلا اكل وشرب وبعد الجوع الشديد تحقق لديهم ان لا مناص لهم من هذا الامر فاعطوا السفائح (١)

وقد اشتهر في عهد داود باشا اسحق اليهودي رئيس الصيارفة في بغداد وكان كثيراً ما يستشاره الوزير المال كور في اموره . وكذلك فعل لما افتد الباب العالي صادق افندي ليصلح العراق وينظم شؤونه بعد انقراض الانكشارية ولا سيما لتحرير رض داود باشا على تقديم الضرائب المتأخرة الى الباب العالي .

ولما وصل صادق افندي بغداد وفلوض داود باشا في المهمة التي بعث من اجلها وعرف ما وراء الالكمة فكر في إيجاد وسيلة للتخلص من وفد الباب العالي فاستدعى لاجل ثلاثة من معتمديه وهم سليمان اغا احد معتمديه ومصرف محمداً احد الاشراف والصراف باشي اسحق اليهودي وعقدوا اجتماعاً تآمروا فيه على صادق افندي . فارتأى سليمان اغا ان لا سلام الا يقتل صادق افندي . وايد هذا الرأي محمد مصرف افندي . وبعد ان سمع الوالي كلامها اجاب ان في الامر خطراً ولكن لا بأس احد على حياته بوجوده . فانه سيأتي اضطراباً اي اضطراب سيدفك دماً اي دم . فلا جدر بنا ان نمحو وجوده .

فوافق اسحق على اقتراحهم وايد رأيهم بما قصه عليهم من الالباء التي هيبت

Lt William Heude : A Voyage etc 182 - 183

عليه من أبيه الذي كان يومئذ في القسطنطينية . ودبروا في اجتماعهم هذا طرق الاغتيال .
فتم القضاء وقتل صادق افندي (١) ودفن سرّاً في طابية الصابونجية (الصابونية)
في القلعة الخارجية (٢)

ومن ما ثورات يهود بغداد الصحيحة ان في عهد ولاية داود باشا حدث ضيق
على جماعة من تجارهم وبينهم الخواجة داود ساسون ففر المذكور خفية الى البصرة
على سفينة شراعية وامن من هناك في البحر . ونزل الهند ثم الديار الاوربية وتعاظم
التجارة فأرى ويرى انعقابه اليوم في الهند وبلاد الانكليز وهم على جانب عظيم من
الغنى والنفوذ وقد انعمت الدولة البريطانية على غير واحد منهم باوسمة رفيعة المنزلة
والقاب شرف . ولهم بيوت تجارية في اقطار العالم .

(١) C. lément Huart : Histoire de Bagdad Page 178-179

وبغداد كوله من حكومتك تشكيلة انقراضه دأر رساله در مؤلفي ثابت .
ص ٤٣ - ٤٤

(٢) قد عثرت بها على قبر صادق افندي المذكور يوم الاثنين في ٢ تموز ١٩٢٣ .
كنت انوب عن مجلس ادارة بغداد في اللجنة التي ألفت لحل الخلاف القائم بين
وزارة المالية ووزارة الاوقاف وامانة العاصمة في الاراضي المحاذية خندق بغداد . وموضع
القبر على جانب الخندق الايمن في شمالي بغداد في رأس محلة السور قريباً من مقر
وزارة الدفاع الحالي . بناؤه حقير وفي طرف الحرت الشمالي قطعة رخام صغيرة كتب
عليها اسم القبول وتاريخ فتحه .

ذكرنا من ولاية بغداد سعيد باشا وداود باشا وكان هذان الواليان من الكوالة مندنية
(اي المالك) . بدأت حكومة المالك مندوني سليمان باشا الحاكم في بغداد سنة ١١٦٣
هجريه (١٧٥٠ م) وكان ملوك احديش والي بغداد . واستفحل امر المالك في بغداد
واستبدوا بالاحكام وقام منهم ولاية كثيرون في بغداد خرجوا على الحكومة العثمانية مرات
عدة . وكان آخرهم داود باشا الشهير الذي بقي من بغداد الى الاستيلاء سنة ١٢٤٧ هجريه
(١٨٣١ م) ومنها عين شيخ الحرم في المدينة سنة ١٢٦٠ هجريه ١٨٤٤ م . وفي السنة
التي بقي فيها داود باشا من بغداد استأصل لاز علي رضا باشا شاف المالك وقطع دابرهم .
لم نرو حتى الآن في كتابنا شيئاً عن الحوادث الطبيعية من غرق وامراض وافرة
اشترك في مصائبها سكان العراق على اختلاف اديانهم وتباين مذاهبهم لما في ذلك
من خرق الخطط التي اعتمدناها في تأليفنا هذا . ولكننا وقفنا في تقرير الستة
كروفس المرسل البروتستاني في العراق (١) على قائدة لها ميسر موضوعنا لم نر بأساً
من نقلها قال : وفي سنة ١٨٣١ ميلادية حدث في بغداد طاعون شابه الرضخان في الهند
جزعاً واودى بالوف من سكان بغداد . ففادر البغاددة مدينتهم هرباً من الوباء
الفاشي والموت الجارف . ففي اليوم العاشر من نيسان مات ٨٢٠٠ نسمة في
جانب الرصافة وفي نحو ذلك الزمان قاص دجلة وطفح فهدم ١٢٠٠ بيت
في الجانب الغربي وبلغت الوفيات في اليوم الرابع عشر ١٨٠٠ في المدينة
وفي الايام التالية قدر عدد الموتى بالف يوماً . وقد جموع الوفيات في شهر

(١) W. Budge : By Nile and Tigris Vol I : 191-192

نيسان نحو ٣٠٠٠ وأمت المدينة خالية من سكانها ولم يبق الا الموثى ودافنوم
والسافون وفي اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان حدث ان هدم قسم من
سور المدينة في الجانب الشمالي الغربي ودخلت المياه بحلة اليهود وهدمت نحو ٢٠٠ بيت .
يسرنا في هذا المقام ان ننقل افادات ذات قيمة عن سائح يهودي نزل العراق
في منتصف القرن الماضي وأودع رحلته اخباراً نفيسة عن قومه في هذه البلاد .
وتطرق الى درس حالهم الدينية والاجتماعية والمالية . وما يؤخذ عليه انه غالى في
بعض المواقف من كتاباته مغالاة لا يندر عنها ولا تتفق مع الحقيقة التي هي ضالة
أورخ المشودة . اريد به بنيامين الثاني (١) قال ما ملخصه : في بغداد ٣٠٠٠
بيت يهودي ويساعد عليهم وصناعهم وترفهم على امتداد التجارة والنشاط العام
وازدهار هذا القطر . ويشاهد في هذه البلدة سعة حال وروح حق في المشاريع اكثر مما
في بقية ربوع هذا القطر . ويقبض اليهود على ذمام التجارة وبينهم تجار كبار واشغالهم

(١) اذ اسمه الحقيقي يوسف اسرائيل (١٨١٨ - ١٨٤٦) كان من يهود رومانية
وانتحل اسم بنيامين الثاني تشبهاً ببنيامين التطيلي واحياءاً لذكر ذلك الرحالة الذي
عاش في القرن الثاني عشر كما مر ذكره في هذا الكتاب في الصفحة ١٢٩ . وقد
بحث بنيامين الثاني في رحلته الاولى عن الاسباط العشرة المفقودة وكان عمره يومئذ
ستاً وعشرين سنة توفي في لندن بينما كان يتأهب لرحلة ثانية للبحث عن يهود الصين .
اما كتابه الذي اعتمدنا عليه فهو رحلته بعينها اسمه :

Eight Years in Asia and Africa From 1846-1855 by J. J.
Benjamins II From Foltischeny in The Moldavia.

واسعة النطاق مع البلاد الشاسعة ويراخون الوطنيين والاجانب .

وفضل حالهم على سائر يهود المشرق وقال لهم يعيشون في رخاء . واطراً اخلافهم
وآدابهم وضيافتهم الغريب وقد غالى في معرفتهم العالم حتى افضى به غلوه الى ان ازلمهم
منزلة اعرق الشعوب الاوربية في الحضارة .

وما قاله ان ثلاثة ربانيين قلدوا سلطة القضاء ويدعونهم « جانيم » رأس القضاة
الراب يعقوب بن يوسف يعقوب ومعه الراب ايلياهو عوبديا والراب عبدالله . ولا
يحق لهذه المحكمة ازال القصاص باحد بل انما ذلك من حقوق رئيس الحاخامين
(حاخام باشي) الذي يعينه الباب العالي لهذا المنصب ويمثل الجماعة امام الحكومة .
ويجمع لها الخراج (الجزية) من شعبه .

ويساعد رئيس الحاخامين في ادارة الشعب اعضاء من وجوه القوم (المجلس الملي)
وكان يدير هذا المجلس يومئذ رابي رفائيل كسين Kassin الحلي وكان له وجادة خاصة
عند الوالي وقد سمح له بان يحرسه اربعة حراس (قواويس) حتى اذا خرج تقدمه
حرسه على الخيل .

ويرأس الجماعة بعد رئيس الحاخامين النامي وكان يتولى هذا المقام حتى ١٨٤٩ او ١٨٥٠
الراب يوسف موسى روين . وللناس نفوذ عظيم على جماعته وعلى غيرها من الجماعات .
وقال ان التعاميم الدينية راق . وعندهم مدرسة دينية فيها ستون طالباً يتولى رئاستها
رابي عبدالله بن ابراهيم سوميخ ويقوم بهذا العمل مجانياً لانه غني وله بيت تجاري
مهم وقد اودع اعماله شريكاً له وخص نفسه بهذا العمل البار .

للهمود نعمة كنس في بغداد ثمانية منها في محلة واحدة والتاسع وهو كنيس الشيخ
اسحق الفاووني .

وجاء رحلتنا بعد ذلك على وصف حياة قومه اليومية ولا سيما بعد ظهر الجمعة ويوم
السبت وأطراً تمسكهم بسبتهم . وكان في مدة إقامته في بغداد ضيفاً لعبد العزيز بن
عبد الناي .

وانتقد الزواج المبكر عند بني قومه هناك وبين مضاره للزوجين وعجب كل
التيب من زواج البنات في الثامنة أو العاشرة من عمرهن . وقال إذا بلغت الابنة
الخامسة عشرة من سنّها لا يرحى زواجها بعد ذلك . وقال إن الثيبات لا تصيب لمن من
الزواج ثانية . وفي الطائفة اليهودية ٤٠٠ أو ٥٠٠ ثيب . وجاء على وصف حفلة الزواج
عند الهمود (١)

وقال إن في الحلة خمسين بيتاً من الهمود وأن الثاسي هناك المعلم مردخاي . والجماعة
كنيس واحد . (٢) وزار الكفل والعزير وسندخص وصفه لهذين الزارين اليهوديين
في الفصل المرصود للمعاهد الدينية .

وفي رحلته فؤاد عن همود الموصل . جاء فيها إن في هذا البلد ٤٥٠ بيتاً ولا يحق
لهم الشكوى من حالهم فإن كثيرين منهم يتعاطون تجارة واسعة وأن كنيسهم فسيح .
ولهم ثلاثة ربانيين كلهم من أسرة رساني والاهلون جاهلون وعندهم مدرسة دينية

(١) راجع رحلته المار ذكرها من صفحة ١٤٠ إلى ١٥٣ (٢) الرحلة عينها

ص ١٥٥ - ١٥٦

يدرس فيها مردخاي ابن الخاخام داود أحد أسياء الصيرفي اسحق زلم .

وطاف بنيامين الثاني في البلاد الكردية كاربيل وراوندوز وكركوك وذكر شيئاً
عن أحوال بني قومه هناك وملخصه أنه رأى لحظهم بأمور دينهم ونذب حالهم الاجتماعية
وما يقاسونه من الخيف والجور من سكان البلاد .

وآخر ما زار من مدن العراق البصرة وقال إن فيها خمسين بيتاً من الهمود وكان
عندهم قبل عشرين سنة من زيارته ثلاثة آلاف بيت . ولا يخفى على القارئ مغالاة
سأخنا في هذا العدد إذ إن السياح الذين نزلوا البصرة قبله لم يذكروا شيئاً عن هذا
العدد الكبير من الهمود . وكان عدد سكان هذه المدينة في أوائل القرن التاسع عشر
منحطاً .

إن الطوائف في الدولة جزء من الكل . فإذا سارت الدولة في طريق الحضارة
والعمران أخذت الطوائف نصيبها من تلك النهضة وفقاً لظرفها واستعدادها ومزاجها
في المجتمع . وإن للدساتير التي تضعها الدولة نفوذاً على مقدرات شعوبها وجماعاتها . فإن
قامت على أسس العدالة والمساواة والحرية رنعت تلك الجماعات في بحوثة الغيرة الزخاء
وبذات الجهود في سبيل الرقي والمدنية . وجرت شوطاً كبيراً في ميدان الاعمال .
ومن ذلك لما فكرت الحكومة التركية في إصلاح نظامها وقوانينها وشؤونها العامة نال
الهمود شيئاً كثيراً من الراحة والهناء في بلاد العراق . وكان أول من فكر في هذا
الإصلاح السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٨٩ م) . غير أن ما أناد السلطان

محمود من البداة الانكشارية سنة ١٨٢٦ كان من اكبر الخطوات في سبيل الاصلاح وتنظيم الادارة فان هذه الفرقة كانت قد تسيطر على المملكة وانت اعمالاً رزح تحت ثقلها سكان البلاد على طول المملكة وعرضها . ولم يستثن العراق من ظلم الانكشارية بل كانوا كثيراً ما يحجبون بحقوق الاهلين هنا ويبرزون اموالهم ولا سيما اموال اليهود والنصارى وقد وقفنا على حادثة مدونة ترتقي الى اوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٢) وهي ان الانكشارية جاروا في بغداد على هاتين الطائفتين في اليوم الرابع والخامس والسادس من ايلول تلك السنة (١) بظلمهم منهم دراهم تحت ستار ظلام الليل .

ولم يفت اصلاح الاتراك ملكتهم عندهذا الحد بل لما جلس ان السلطان عبدالمجيد على اريكة اجداده ورأى ان القوانين والنظامات المرعية في البلاد لا توافق روح الزمان وسير الحضارة وال عمران تلا في ٣ نوفمبر ١٨٣٩ على مسمع من كبار الموظفين وممثلي الدول ذلك المرسوم الشهير المعروف بـ (خطي تريف كلخانة) وفيه من مرامي الاصلاح وصيانة الحرية الشخصية واحترام الملكية والمساواة ونظام ادارة الجماعات غير المسلمة وغير ذلك مما اتمش البلاد وبث في القوم روح الرقي وان لم يعمل بكل ما حواه ذلك المرسوم الشهير .

واصدر السلطان عبدالمجيد سنة ١٨٥٦ م مرسوماً آخر لا يقل اهمية عن خط كلخانة وهو فرمان الاصلاحات او كما يسميه الاوربيون في كتبهم « خط هاليون

(١) راجع مجلة لغة العرب آب ١٩١٤ ص ٨٠

لسنة ١٨٥٦ م (١٢٧٢ هجيرة) وقد جاء في هذا المرسوم (فرمان) نصوص جلية في حقوق النصارى واليهود وادارة شؤونهم الشخصية وسلطة رؤسائهم الدينية وتدير مؤسساتهم ومساوئهم في الحقوق العامة مع جميع سكان البلاد . واحكام عادلة في حرية الدين والمذهب باي دين ومذهب كان (١)

وفي سنة ١٨٦٥ أسست جمعية الاتحاد الاسرائيلي مدرسة عامرة في بغداد عهدت رئاستها الى رجل خبير بفن التدريس وهو المسيو ماكن بمشارفة اسحق لوريون الساعاني ونظمت منهجها على مثال المدارس الابدائية الاوربية وادخلت فيها تعليم الفرنسية والانكليزية من اللغات الاوربية والعبرية والعربية والتركية من اللغات الشرقية . والتاريخ والجغرافية والحساب والطبيعات وعلم الاشياء والكيمياء من العلوم الحديثة . واخذت هذه المدرسة بالتوسع ولا سيما بعد ان شيد لها داراً عامرة لدرس البرث داود ساسون . وما زالت ترتقي هذه المدرسة بالمساعي التي بذلتها جمعية الاتحاد الاسرائيلي في باريس والجمعية الانكليزية اليهودية في لندن واللجنة اليهودية في بغداد . فكان المديرون والمعلمون يأتون من باريس ولندن لتعليم فيها . وازالتها الحكومة التركية منزلة المدارس الثانوية او الاعدادية على تعبير الاتراك .

وقد حبس لها الاوقاف اهل الخير من يهود بغداد ولا سيما الطيبة الذكر رفقة نورائيل وانشأ فيها قسماً مناحيم افندي دانيال .

وتخرج في هذه المدرسة معظم رجال اليهود في بغداد وتهدبوا فيها فزلوا معترك

(١) احمد راسم : عثمانى تاريخي المجلد الرابع الصفحة ٢٠٤٨ الفائدة ١٩١

الحياة وافادوا البلاد بمجدهم واجتهادهم ولا سيما بالمساعي التي بذلوها في توسيع نطاق التجارة مع اوربة واميركة وبلاد الشرق كالمند والصين واران .

وفتحت هذه المدرسة ابوابها لغير اليهود ايضاً ودرس فيها غير واحد من المسلمين والمسيحيين . واذ كنت (المؤلف) من المسيحيين الذين درسوا في هذه المدرسة في غضون خمس سنوات ١٨٩٨ - ١٩٠٢ في عهد مديرية الموسيودانو والموسيو سياح وجب علي بسائق الاقرار بالجميل ان اشكر العناية التي بذلها لي المديران الموما اليها والمعلمون قاطبة واذكر الوداد الذي اظهره لي رفقاؤني التلامذة .

وفي سنة ١٨٩٣ انشئت جمعية الاتحاد الاسرائيلي مدرسة تهذيب البنات . ولم يقف اهتمام الجمعية الاتحاد الاسرائيلي تهذيب يهود بغداد في العراق وحدها بل انها انشأت سنة ١٩٠٣ مدرسة في البصرة وفي سنة ١٩٠٧ في الحلة وفي سنة ١٩٠٧ في الموصل وفي العام سنة ١٩١٠ .

وقصارى القول ان نوراً مهيئاً شروق على يهود العراق من تلك المعاهد العالمية التي استهيا جمعية الاتحاد الاسرائيلي في بلدان قطرها المحبوب فاستوجبت شكر ان هذه الطائفة من رجال ونساء .

ومن ولاية بغداد الذين افادوا اليهود في العراق مدحت باشا ابو الاحراز . نزل بغداد سنة ١٢٨٥ هجرية (١٨٦٨ م) وبث فيها روح المساواة والحرية والعدالة . ونشط الاعمال الاقتصادية .

وكان لفتح ترعة السويس (١٨٦٩) شأن في امتداد تجارة العراق . فطمحت

بمد ذلك انظار يهود العراق الى فتح بيوت تجارية في اوربة ولا سيما في مايجستر
ومرسيلية.

ولما فتح مجلس المبعوثين سنة ١٨٧٦ انتخب من يهود بغداد مناحيم افندي دانيال
عضواً فسافر الى الاسكندرية وحضر جلساته .

وكان اليهود عائشين في حرية ولم يكدر صفاء حياتهم منذ ولاية مدحت باشا الا
حادث واحد في سنة ١٨٨٩ م في عهد ولاية مصطفى عاصم باشا وهو حادث دفن
الربان عبد الله سوميخ فان الطائفة ارادت دفنه في مقبرة يهوشوع كوهين كادول (نبي يوشع)
ودفنته هناك بابهة عظيمة الا ان هذا الامر لم يرق في عيون سكان بغداد من العامة لانهم كانوا
يدعون ان ذلك هذا المقام . فاستفحل الامر وخيفت عاقبته فاضطر القوم الى نقل رفات
فقيدهم من مرقده الى مكان آخر . والحق يقال ان عقلاء المسلمين وكبارهم توسطوا
في الامر وسكنوا العامة فلم يحدث ما كان يحاذرون منه وهذه ميزة مسلمي العراق
فانهم كانوا في كل حين يظهرون بهذا المظهر من الشمم مع اليهود والمسيحيين في
المواقف الحرجة في زمن لم تكن البلاد قد تعودت مبادئ المساواة
والديمقراطية .

ومن الولاة العثمانيين الذين بذكروهم اليهود باطبيب الاحاديث المشير رجب باشا ،
فانه كان قائد الجيش ووالي الولاية . واطهر من التماهل والحلم والحرية ما سر له القوم
كل السرور . وكان من اخص اصدقائه المعلم حاخام نعيم .

وقابل اليهود اعلان الحكومة الدستورية في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨



مضرة مناحيم افندي صالح دانيال
رئيس عائلة آل دانيال الشهيرة في بغداد

هتاف الترحيب والفرح وقاموا بمظاهرات الارتياح. الا ان دعاة الرجعية حركوا العامة فحدثت فتنة في بغداد على اليهود في ١٧ رمضان من تلك السنة دامت بضع ساعات فحقها اعيان المدينة في مهادها ولم تتركها الحكومة لتستفحل.

ان نظام الشورى في المملكة العثمانية والتفني بالحرية اثر على يهود العراق وعلى افكارهم ومبادئهم فاستقلوا نفوذ ربانهم عليهم من حيث الامور المدنية وقاوموهم في مسألة الضرائب التي يتقاضونها من ذبح الغنم في اسواقهم (١) والى فريق منهم جمعية وانشأوا لها نادياً الا ان تلك الحركة ماتت في مهبط نفوذها لانها لم توافق منفعة الجماعة وانتخب ساسون افندي حاخام قبيل المجلس المبعوثين الذي عقد في عاصمة آل عثمان بعد اعلان الدستور. وتحدد انتخابه في دورات المجلس جميعها الى الحرب العامة. وكان ساسون افندي قد تقلب في مناصب الحكومة قبل الدستور وله خدمات جليلة. وتعين في زمن كان مبعوثاً مستشاراً لوزارة التجارة في الحكومة العثمانية.

وبقي اسم ناظم باشا والي بغداد وقائد فيلقها حياً في ذاكرة يهود العراق لما لاقى القوم في ايامه من الحرية وحسن المعاملة ولهذا لما عزلته الحكومة العثمانية المركزية حزنت هذه الجماعة كل الحزن واتخذت البرقيات الى الاستانة تطلب بقاءه

(١) تتقاضى ادارة الربانيين في العراق ضريبة على اللحم الذي يباع في اسواق اليهود وتخصص هذه الضريبة بمنفعة الجماعة. وهذه عادة قديمة عند يهود العراق ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٢١ هجرية (في الجزء التاسع الصحيفة ١٥٣ من الكاف)

في منصبه فلم تحب الحكومة ملتزمها.

وقد قام بين هذه الجماعة رجال خير شادوا المعاهد الخيرية. منهم مدير الياهو شيد المستشفى الاسرائيلي الواقع قبالة نكسة الخيالة. وشيد السر اليعزر خضوري مكتب الاناث الاسرائيليات وهو بناء فخيم وكان الانتهاء من تشييده سنة ١٩١١ فاقبضت حفلة تدشينه في ١٤ تشرين الثاني من تلك السنة. وحضرها احمد جمال بك (جمال باشا بعد ذلك) واغلب موظفي العسكرية والملكية والوجهاء واتفق عليه بانيه واحداً وعشرين الف ليرة عثمانية وجعل البناء على اسم قريبته لورا خضوري.

ولما شبت الحرب العامة سنة ١٩١٤ لاقى هذه الجماعة من الجور والحيف ما يشيب له الرضعان في المهد جزعاً. ولا سيما في عهد قيادة نور الدين فله تقي عدداً من وجوههم ووجوه النصارى وبعض المسلمين العرب الى الموصل وكان في نيته ان يبعثهم الى درسم ويلحق بهم قوافل اخرى ولكن حالت دون رغبته بعض الاسباب.

واشتدت الازمة على اليهود في اخريات الحرب وكان يضيق معاش الوالي فائق ومدير الشرطة سعد الدين الخفياق عليهم كل ما هبط سعر الاوراق المالية التركية وينسبان هذا الهبوط اليهم والى نلاعهم بسعره. واجبرت الحكومة التجار على ان يبدلوا الليرة الورقية بالذهب وعينت مقداراً على كل تاجر في كل شهر.

وقبضت الحكومة قبيل اختلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سراً نكلاً شنيعاً وجذعت انوفهم وقطعت آذانهم وسمت عيونهم ثم وضعهم في اكياس

مهما كان من ظلم الأتراك لليهود في أبات الحرب فإن هؤلاء استفادوا من تجارتهم فأثرت عظمية وأرى كثيرون منهم لأن مقاليد تجارة العراق بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع فارتفعت الأسعار (١)

وأسس اليهود في عهد الأتراك مطبعتين الواحدة قديمة العهد وهي مطبعة بيخور والثانية أنشئت بعد الدستور وهي « مطبعة دنكور »

وقد سبقنا ومبحثنا عن إدارة الطائفة نقلاً عن بنيامين الثاني ص ٠٠٠ وقلنا أن لها مجلسين مجلس روحاني « بيت دين » أي بيت قضاء ومجلس جسماني (مجلس ملي) يؤلف بطريقة الانتخاب . ومدرسة دينية يخرجون فيها الربانوت . وعندهم عدد كبير من الكتاتيب تدرس فيها اللغة العبرية والكتاب المقدس والحساب .

ولهم مستوصف وصيدلية (رفوا) ولجان عديدة لجنة المدارس ولجنة الفقراء وغير ذلك .



يهود اليوم

في الاحتلال البريطاني والحكومة العراقية العربية

شبه أحد كتبة الإنكليز دخول القائد العام مود بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ بدخول كورش بابل . فإن الأهلين استقبلوا الفاتحين بالتهليل والترحيب (١) إذ اعتبروهما منقذين . أتى الأول بابل فحفظ آلام الشعوب التي كانت ترزح تحت حكم السلاطنة العاشرة من ملوك الكلدان أو الدولة البابلية الجديدة . وجاء الثاني بمحيو شه الحرارة لما كان العراقيون قد استأثروا من معاملة الأتراك ولا سيما في أخريات أيامهم إذ كانوا يرمون إلى الاجتفاف بالعناصر المختلفة العائشة تحت سيطرتهم . وقد تجلت وحدة العراقيين القومية على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم بأسمى مظاهرها في تلك المواقف المصيبة . ولا عجب في الأمر فإن العراقيين عاشوا قرونًا متحدين متحابين لا تفصلهم فواصل الدين إلا في فترات صغيرة لا يعتد بها وفي أزمنة ساد فيها الجهل .

إن احتلال البريطانيين العراق نشط بآدى بدء الوسائل الاقتصادية فربح الناس أموالاً طائلة وإذا كان معظم التجارة بيد اليهود أرى كثيرون منهم . وقد أسهبنا في البحث عن الموامل التي نشطت التجارة في كتابنا تجارة العراق فلا نرجع إليها الآن . لم يحدث في عهد الاحتلال البريطاني حوادث مهمة تخص اليهود إلا ما ذكرناه .

(١) راجع R. C. Thompson : History and Antiquities of Mesopotamia 29

(١) راجع كتابنا تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ١١٤ وما بعدها

ولا يسعنا ان نصرب صفحاً في هذا المقام عن الاماع التي راحه هذه الجماعة في البلاد في عهد ثورة العراق لسنة ١٩٢٠ فان الرجال الذين قاموا بتلك الثورة لم يحسوا الوطنيين من اي معتقد كان ياذي ما ، اذ انهم عرفوا معنى الروح القومي ، وهذا اسطع شاهد على ان شعار العراقيين « الوطنية » .

ولكي تقف على عيد اليهود في القطر العراقي ننشر هنا احصاء لهذه الجماعة استلناه من احصاء نشرته حكومة الاحتلال لسنة ١٩٢٠ ولم يصدر غيره حتى اليوم .

عدد يهود العراق

منطقة بغداد	منطقة الموصل	منطقة البصرة
بغداد ٥٠٠٠٠	الموصل ٧٦٣٥	البصرة ٦٩٢٨
سامراء ٣٠٠	اربيل ٤٨٠٠	العمارة ٣٠٠٠
ديالى ١٦٨٩	كركوك ١٤٠٠	المتفق ١٦٠
كوت الامارة ٣٨١	السامانية ١٠٠٠	١٠٠٨٨
الديوانية ٦٠٠٠	١٤٨٣٥	المجموع ٨٧٤٨٧
الشامية ٥٣٠		
الحلة ١٠٦٥		
الديلم ٢٦٠٠		
٦٢٥٦٥		

وبعد ان عرفنا عدد اليهود في العراق يجدر بنا ان نورد شيئاً عن مدارسهم وعدد التلامذة فيها ويسرنا ان ننقل هنا جدولاً واحداً اخذناه عن ائمة جمعية الاتحاد الاسرائيلي لسنة ١٩١٠ والثاني عن تقرير لجنة مشارفة المدارس الاسرائيلية :

احصاء التلامذة مدارس يهود العراق بادارة
جمعية الاتحاد الاسرائيلي سنة ١٩١٠
تقرير لجنة المشارفة عن سنة ١٩٢٠-١٩٢١
في بغداد

عدد	عدد	المدينة	جنس المدرسة	التلامذة	بغداد
المدرسة ذكور اناث التلامذة	المدرسة ذكور اناث التلامذة	المدرسة ذكور اناث التلامذة	المدرسة ذكور اناث التلامذة	المدرسة ذكور اناث التلامذة	المدرسة ذكور اناث التلامذة
٥٦٠ ٠٠ ٥٦٠	٩٤٥	البيروسانون	ذكور	٥٦٠	٥٦٠
١٠٧١ ١٠٧١ ٠٠	٤٢٩	لورا خضوري	اناث	١٠٧١	١٠٧١
مع مدرسة الاطفال	٢٥٥	مدرسة نورثيل	مدرسة نورثيل	٢٥٥	٢٥٥
٣٢٧ ٠٠ ٣٢٧	٢٤٨	مدرسة الاطفال المشايخ دانيال	مدرسة الاطفال المشايخ دانيال	٢٤٨	٢٤٨
٤٥٩ ١٣٥ ٣٢٤	٢٨٥	البيصرة	ذكور	٢٨٥	٢٨٥
٢٧٥ ٢٧٥ ١٠٠	٢٠٤	الموصل	مدرسة	٢٠٤	٢٠٤
٤١٩ ٠٠ ٤١٩	١٧٥	الحلة	مدرسة	١٧٥	١٧٥
٢٣٠٠ ٠٠ ٢٣٠٠	١٧٨	العمارة	مدرسة	١٧٨	١٧٨
٥٥١١ ١٤٨١ ٤٠٣٠	٢٧١٩			٢٧١٩	٢٧١٩

وتنشر هنا بعض الارقام المأخوذة من تقرير وزارة معارف العراق عن سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢ يظهر عدد التلامذة الاسرائيليين في المدارس الابتدائية الرسمية والاهلية في العراق .

	١٩٢٢	١٩٢١
المدارس الاحلية	٣٨٥٣	٣٨٨٨
المدارس الريفية	٥٩٢	٤٢٨
	٤٤٤٥	٤٣١٦

المجموع

تنبيه — ان الفرق الظاهر بين عدد التلامذة الاسرائيليين في تقرير وزارة المعارف للعراق وتقرير لجنة مشاركة المدارس الاسرائيلية ببغداد ناشئ من ان وزارة المعارف لا تعتبر بين المدارس الابتدائية مدرسة الاطفال والغان ودارون صالح ورفقة نورثيل وغيرهما . وبسرنا في هذا المقام ان يذكر تبرع الخواجة الياس شحمون لبناء مدرسة التعاون وان مناحيم افندي دانيال يقوم بنفقات مدرسة الغان . وعلى ذكر رجال الخير من الشعب اليهودي العراقي لا يحق لنا ان نسكت عن اريحية الخواجا كورجي شطوب الذي تبرع وشيد بيعة في البصرة للارمن الكاثوليك احياء لذكر امرأته التي كانت على الدين المسيحي في حياتها وموتها فتلك مآثرة تسطر في التاريخ كادونت اخبار السموات ووفاته .

لم يحدث في تاريخ يهود العراق في هذه الحقبة حادث جليل الا تعيين معالي ماسون افندي حاخام حقيق وزيراً للمالية في حكومة العراق الوقتية التي تألفت في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠ ثم تمديد تعيينه في كل من الوزارات التي عقيبت تبوء جلاله الملك فيصل عرش حكومة العراق حتى ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ وفي غضون هذه السنة انعم عليه جلاله ملك بريطانيا بوسام K. B. E. فاصبح يتقلده هذا

الوسام السير ساسون حسيقل . Sir Sassoon Heskell وقلة المنتدوب السامي
السر هنري دويس الوسام في ٤ كانون الاول في حفلة كشف الستار عن تمثال
القائد العام الجنرال مود .

ومن اجل الحوادث التي يدونها المؤرخ في تاريخ يهود العراق هي تلك الحفلة
الشائقة الفذة في بابها التي اقامها جماعة اليهود في بغداد ترحيباً بمو الأمير فيصل قبل
ان يبايعه العراقيون الملك . اقامت الجماعة ذلك المهرجان في ١٨ تموز ١٩٢١ وحضره
سمو ضيفنا بالامس وجلالة ملكنا اليوم واشترك بتلك المظاهر اعيان العراق وعلمائه
وادباؤه على اختلاف نحلهم وتباين ملهمهم والقيت فيها خطب الترحيب لجلالة ملكنا
فيصل الاول وابدع خطبة تليت هناك خطبة جلالاته . جاء فيها من المبادئ الديمقراطية
آيات بينات ومن الفاظ الحرية ماسحر القلوب وخبب الابواب ومن مواعيد المساواة
ما كان اندي من زلال الماء على الافئدة ، ومن روح التساهل مارقص له القوم وطربوا .
ثم جاء الاسرائيليون بالنوراة مكتوبة على درج من الرق مصونة في غلاف من ذهب
فلثمها جلالاته .

بعد ان بلغنا في تاريخ اليهود الى يومنا هذا علينا ان نرصد كمة عن أسر
صفوة القوم فقد جاء في كتاب عنوان الجند في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد
تأليف السيد ابراهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحميدري لسنة ١٢٨٦ هجرية ص ٢٢٠
وهو كتاب خط : ان من بيوت يهود بغداد القديمة من ذوي التجارة والرئاسة على



صاحب المعالي وزير المالية الحالي
مضرة السر ساسون هسكيل

قومهم . بيت عزرة صراف باشي ، وبقى منهم البعض . ومنهم بوضة السومنج . بيت
 ساسون . بيت ابي قبلاخ . بيت بحر . بيت الكرجي . انتهى . كلام الحيدري .
 ومن مشايير بيوتات يهود بغداد اليوم أسرة دانيال وأسرة خاخام . بيت المعلم
 الياهو وأسرة ذلوف وأسرة شلومو دارد وأسرة اسحق ، وطوبوق ، عاني وبيخور وشماش .
 وبين هذه الجماعة رجال من كل الطبقات والمهن بينهم التاجر والصيرفي والدلال
 والمحامي والطبيب ومن موظفي الحكومة الرزير والمضو في المحاكم العدلية ومجالس
 الادارة وغير ذلك ومن اهل الصنائع الحداد والتجار والبناء والاسكاني وقصاري القول
 ان يهود العراق يتعاملون كل المهن الا انك لا تجد بينهم من حملة الاقلام واصحاب المحلات
 والجراند وسبب ذلك ان اليهودي يرمي الى ما به نفعه وسوق التأليف والكتابة كسدة
 في ديارنا فانهم في هذا الباب يتبعون المثل اللاتيني القائل عش اولاً ثم تفلسف .
 وآخر حسنة اعدّها ليهود العراق انهم يشعرون بان البلاد وطنهم وبأن الحكومة
 العربية العراقية هي الحكومة التي يجب عليهم معاضدتها ويتوقفون ان يروها عزيزة الجانب
 ثابتة الاركان .

وفوق ذلك كله يبذلون ما في وسعهم كالمسيحيين ليمشوا مع ابناء وطنهم المسلمين
 في الاخاء الوطني ويحافظوا على تلك الصلات الجميلة والعلاقات المتينة التي جمعت العراقيين
 في كل قرن جامعة الوداد والولاء . فالعراق يفتخر بهذه الوحدة الوطنية وتسمى
 كل محلة وملة لتكون هذه الوحدة متينة العرى بجدولة القوى .





مرقد العزیز علی نہر دجلہ

المزارات الدينية اليهودية

في
العراق

للإهود في العراق امكنة مقدسة قديمة يؤمنها أهل التقي من هذه الجماعة من اطراف
العراق وكردستان وبلاد فارس للزيارة والتبرك وطلب شفاعة الانبياء والصالحين
من يتبر التقليد مدافهم في هذه المعاهد . وأشهر مزارات اليهود في العراق ١ :
قبر عمزرا الكاهن ٢ : مدفن حزقيال النبي او الكفل ٣ : مرقد يوشع كوهين كادول
٤ : مرقد الشيخ اسحق الفاووي ٥ : قبر ناحوم الألقوشي .

١ قبر عمزرا الكاتب او العزيز

يقوم هذا المعهد الديني اليهودي في بقعة من الارض على عدوة دجلة اليمنى بين
القرية والعمارة على مقربة اثنين وعشرين ميلا من ملتقى الرافيين حيث تكثر
المستنقعات وتتوفر القصباء والحلفاء . هناك في تلك الخلوة البعيدة عن ضجيج الناس
وقلاقل المدن . هناك حيث يسود السكون والهدوء تجري دجلة متعرجة وعلاتوية
حاملة بين امواج مياحها من ذكرى التاريخ ابدتها وعن عبر الايام اوقعتها في النفوس .
هناك تجعل تقاليدهم ودعوتهم مرقد عمزرا الكاتب : كاتب التوراة وراشد بني اسرائيل
في رجوعهم الى مسقط راسهم وبيت عزهم وقدس اقداسهم . ويعتبر بالمقام اشجار
النخل الباسقة التي تهدي آيات السلام وشعائر الاحترام

اختلفت نقات المؤرخين في مدفن هذا الرجل الامام ومحل وفاته فمنهم من قال انه دفن في عورنا من اعمال نابلس (١) ومنهم من قال انه قبر في زمرومو (Zamzu) في اسفل دجلة بينما كان مسافراً الى بلاد فارس (٢) وانبت غيرهم انه لحد في اورشليم (٣) وربما كانت هذه الرواية على شيء من الصحة . الا ان تقليد اليهود في العراق وتواتر روايات المؤرخين والرحالين من غيرهم يعتبر ان مدفنه في العراق حيث يزوره بشوقومه .

اما نحن فلا نبت في هذه المسئلة التاريخية المتوغلة في القدم بل ندع الاهتمام بها الى الاثريين الاختصاصيين والمنقبين البحاين اذ ربما يتوصل واحد منهم الى اماطة للثام عن هذه الحقيقة التاريخية الكتابية وجل قصداً في كتابة هذا الفصل ان ننقل اقدم النصوص الواردة في كتب التاريخ عن المزار العراقي اليهودي ووصفه .

ان ياقوت ذكر مدفن عزرا في اعمال نابلس على ما مر بك بيد انه ذكره ايضاً في محله في اعمال بصرة العراق في موضعين من معجم البلدان في ما دني ميسان ونهر سمرة واليك ما جاء عنه في كل منها :

جاء في مادة ميسان : « اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . . . وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزرا النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمة اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه الندور وانا رأيته »

(١) معجم البلدان مادة عورنا (٢) Sir E. A. Wallis Budge : By Nile and Tigris, vol I, P. 17 (٣) يوسفوس . كتاب العاديات الفصل الحادي عشر العدد الخامس

وجاء في مادة نهر سمرة : « قرية فيها قبر العزيز النبي عليه السلام في ارض ميسان » وقد ذكر القزويني (١) من رجال القرن الثالث عشر للمسيح مشهد عزيز النبي وهو بكرر كلام ياقوت بالحرف في كتابه آثار البلاد .

وقد زاره في القرن الحادي عشر الرحالة بنيامين التطيلي . وما يؤسف له ان في اخبار هذه الرحلة التي نشرها آشير قد سقط اسم المكان الموجود فيه هذا المزار فورد كلامه على هذه الصورة مبتوراً قال : « ان مدفن عزرا الكاهن والكاتب واقع في . . . حيث دهمه الحمام بينما كان مسافراً من اورشليم الى الملك ارمحششناو حيث يأتي اليهود للصلاة ايام الاعياد (٢) »

وقد ذكر هذا المزار يهوذا الحريري الذي زاره في اوائل القرن الثالث عشر وقال عنه في رحلته التي بدأها سنة ١٣١٧ م في الفصل الخامس والثلاثين منها ما ملخص تعريبه : انه غادر بلاد اسبانية وسافر في البحر وكانت قبلته بلاد الكادان قرب شوشن وعلى مقربة منها موضع يدعى سمدا (ورنما صبيحة نهر سمرة) والديرية اخوا (٣) فعلى

(١) اطلب طبعة غوتنجن سنة ١٨٤٨ (ص ١٣٠)

(٢) راجع M. Edouard Charbon : Voyageurs Anciens et Modernes. II. 188

(٣) اعتماداً على هذا النص نشر حضرة الاب الستاس الكرملي فصلاً في ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ في وضعية دار السلام البغدادية رجح فيه توحيد نهر سمرا ونهر اخوا الوارد ذكره في سفر عزرا (٨ : ١٥ و ٢١ و ٣١) مخطئاً رأي من سبقه من العلماء الكتابيين في موضع اخوا . او نهر اخوا .

بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان تقريباً قبر عزرا الموجود منذ عهد الأول أي منذ
بناء الهيكل الثاني إلى نحو سنة الألف من الأسر . وكان بعد انقضاء هذا العهد العهد
عبارة عن كومة أطلال ولم تدمج تلك الدوارس لرائها الوقوف على شيء من ذلك
الأثر . وقد علمنا من أناس كثيرين أنه منذ ١٦٠ سنة أوحى إلى أحد الرعاة موضع
رسم هذا الملك الإلهي وتكررت هذه الرؤيا ثلاث أو أربع مرات . وقد أيد قدرته
بشفاء عين الراعي فأعاد إليه بصره . وعلى أثر ذلك دعا الراعي سكان تلك البقعة
وروى لهم حلمه وعين المكان الذي فيه القبر وتأيداً لصحة مروياته قص عليهم خبر
شفائه العجيب . وعندما ألح عليهم كل الإلحاح حفروا الأرض فوجدوا صندوقاً من
حديد محفوظاً في تابوت آخر مسدود ومختوم وفيه كتابة لم يتمكن من قرائتها
القوم . فتقدم أحد علماء اليهود وفك طلسمها وقرأ فيها اسم عزرا واسماء أجداده
إلى هرون الكاهن العظيم . وكانت تشاهد أحياناً أنوار فوق ذلك القبر المحتاط بقبور
سبعة صالحين آخرين . وقد حاول كثيرون من الدهريين أن يتخذوا تلك المعجزة
حادثة غريبة من الحوادث الحيولوجية أو يثيروها انفجاراً أرضياً منبثقاً من ألحمة أو
يندوع قطران تشتد ناره ليلاً (١) . وقد شاهدت هذه المعجزة بعيني وسجدت
إمام هذا المظهر من مظاهر العناية الإلهية (٢) .

(١) أشار الكاتب إلى النار النائية التي بدعوها الفرنسيون (feu follet) وتشاهد في
المستنقعات والمقابر وقد ضل كثيرون في تعليلها فآزلوها منزلة المعجزة وما هي إلا من
مظاهر الطبيعة (٢) راجع Archives de l' Orient Latin, I, 237

وقد وصفه ريج (Rich) (١) في بدء القرن التاسع عشر وحفاً دقيقاً قال :
« هو بناء يشبه جامعاً يقوم على لسان بارز في النهر . وقد نشأ هذا المبان من دورة
تدورها دجلة هناك حيث يلتوي كل الالتواء . وقد التف حول المكان عدد من
الاعراب يسكنون قرية بيوتها من القصب . وموقعه في الجانب الأيمن من النهر
محاط بجدار وحصون والقبة مغطاة بأجر أخضر مطلي بدهان الخرف (يريد الواصف
بهذا الأجر القاشاني المشهور في العراق) يعلوها زينة من نحاس أصفر مثل كفتاً
مفتوحاً تحيط به أشعة جلال . وبعد أن جزنا الباب رأينا ساحة دار صغيرة ثم بلغنا
قاعةً فسيحة مظلمة فيها طيقتان تسندهما كوم مربعة من الآجر (أي أعمدة مربعة
من الآجر) بحرمة من كل زينة . ومن هنا جزنا باباً منخفضاً أفضى بنا إلى غرفة
مردع فيها من هو موضوع احترام اليهود الديني . أن سقف الغرفة معقود وفيها نوافذ
صغيرة مشبكة بالحديد مرتفعة كل الارتفاع . والغرفة مبلطة بأجر أبيض وأخضر
مرصوفاً رصفاً متناوباً . وفي روضة صغيرة قنديل موقد .

« يقوم القبر في منتصف الغرفة وهو مستطيل الشكل منحرف السطح معمول
من الخشب ومسجى بمخمل أخضر وطوله ٨ أقدام وعرضه ٤ أقدام وارتفاعه
٦ أقدام وبين كل طرف من أطراف الغرفة ٣ أقدام . وكانت زواياه وأعلاه
مزودة بكرى كبيرة من النحاس الأصفر المذهب . . وقد أخبرنا الأعرابي الذي طوفنا

(١) ان المستر ريج (Rich) كان قنصلاً إنكليزياً في بغداد سنة ١٨٠٨ راجع
كتابه : Residence in Koordistan, II, p. 389

ان الذي اقام البناء الحاضر قبل نحو ثلاثين سنة هو خوف يعقوب Khoph Yacoub
(ربما اراد الكاتب ان يقول خوجه يعقوب او خلفه يعقوب) (١)

ولا يخلو من فائدة ذكر الوصف الذي وصفه به الرحالة بنيامين الثاني قال :
« وبعد احوار ثلاثة ايام في دجلة يقوم على عدوة الهر باء مريع في منتصف فلاة
فيه قبر المزير ويحيط بالبناء بعض دور صغيرة . واما البناء عينه فتؤلف من غرفتين
كبيرتين متافئتين تخص الاولى منهما المسلمين والثانية مع القبر لليهود . وهناك عتمة
خالكة يقاطعها نور ضئيل يأتي من الباب . وفيها مصطبة طولها ١٩ قدماً وعلوها
عشر اقدام وعرضها ست اقدام . وعلى اطرافها الاربعة كتابة لا تقرأ اليوم
وهي مسجاة بقماش ثمين مزركش ومحلى بالذهب . ويزوق الغرفة زين كثيرة
نقيسة ولا يخشى بتاناً على سلامة تلك الكنوز وان كان موقع المزار في وسط يبداء
تخطيطها عشار البدو . . . وقد كان قبر عزرا موضوع بحثي وتنقيري اذ ان الكتاب
لا يذكرونه ولا يحل دفنه فخامرني شك في حقيقة هذا الحدث الا اني رغماً عن ذلك
تأكدت الامر من مطالعتي كتاب « سدر هدروث » وغيره من الكتب التاريخية . .

(١) قد مر في ص ١٦٥ من هذا الكتاب ان ريج سمي هذا الرجل خوف
يعقوب . الا انني وقفت على رجل اشهر بين يهود البصرة . يسمى يعقوب هرون
وجد في اثناء حرب الابرانيين والأتراك سنة ٥٥٣٢ هجرية . صار صيرفياً
لسليمان باشا في بغداد فمن المحتمل ان يكون هو الذي عناه ريج .

ان كتاب « سدر هدروث » لا يصرح بموضع الدفن ولهذا تمسكت بالتقليد اذ
لم اقف على شيء اصح منه بعد البحث المدقق فيه .

« وتحتفل جماعة من يهود بغداد والبصرة بعيد الاسابيع (شيعوت) عند قبر
عزرا فيشتركون بالحفلات التقوية . ويعرف العرب غاية تلك الزيارات ولا يقيمون
عقبات في سبيلها » (١) (انتهى) .

وقد زرت (كاتب هذه المقالة) هذا المرقد سنة ١٨٩٣ فكانت ترد اليه جماعات
اليهود من كل اطراف العراق للتعفر بثرى رفات الرافد الصالح وزيارة ضريحه في
عيد الاسابيع فيدخلون غرفة الجثث وهم حفاة حرمة للمكان ويوقدون قناديل
اكراماً للمدفون هناك ويطوف القيم الزائرين فينفحونه بخلوان . ومن اقسام البناء
دار قوراء فيها غرف عديدة لضيافة زائري المكان من اليهود والمسلمين فهناك
اقامهم هناك . وقد نكب بعد زيارتي المذكورة بوضع سنوات زوار هذا المعهد نكبة
احزنت القوم اذ هوى قسم من بناء المنزل فمات عدد منهم تحت الردم ورضت اعضاء
غيرهم . ولكن جماعة اليهود جددت ذلك البناء واحكمت أسسه (٢)

وقد جرى حول هذا المعهد معارك بين البريطانيين والأتراك في ربيع سنة ١٩١٥
ولكنه لم يصب باذى بل غاية ما كان ان اليهود لم يتمكنوا من القيام بزيارة المزير
كل مدة الحرب .

(١) راجع Sidney Mendelssohn: The Jews of Asia, p. 199-200

(٢) عن مذكري

ومن مقابلة كتابات الرحالين المختلفة على نوالي الاعوام يقف القراء على تطور ذلك البناء مع الزمان . وآخروصف تنقل منه تنفة القراء يظهر حالة المعهد في أيامه الاخيرة . والوصف المذكور نشر في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ في مجلة انكليزية (١) قال الكاتب : ان مساحة الغرفة تبلغ نحو ثلاثين قدماً مربعة وجدرانها بيضاء مزينة بكتابات وتقوش عربية (٢) ملونة بالازرق الباهر والاصفر والاحمر مما يبهز النظر وارضها مبلطة بقطع من الرخام الملون وفي زواياها (اي زوايا القطع) مربعات صغيرة من الصخر الاسود او الرخام (٣) وفي وسطها القبر ، مساحته ٥ في ٧ في ١٥ قدماً . انتهى .

٢ مدفن النبي حزقيال او الكفل

على بعد عشرين ميلاً من جنوبي الحلة تشاهد قرية الكفل وفيها مدفن حزقيال النبي . واسمه عند العرب الكفل وورد ذكره في الفرقان « واذكر اسميل والبسع وذا الكفل وكل من الاخيار » (سورة ص) وفي الآية القائلة « واسميل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (سورة الانبياء) . وقيل سمي الكفل لانه كفل شعب اسرائيل بالنجاة من امر البابليين .

(١) راجع Blacwood's Magazine, October 1917, p. 538

(٢) ان الصفة العربية ترجع الى النقوش فقط وكلتا الكلمتين ترجمة arabesques

(٣) ان بلاط الغرفة هو القاشاني الملون فليس هناك رخام ولا صخر كما توهمه الكاتب

اما قرية الكفل الحالية فيقال انها في موقع مدينة بلاشكر (Vologasias) التي ابتناها اخذ ملوك البروتيين في اوائل النصرانية سنة ٩٠ بعد المسيح لاستجلاب التجارات والبضائع من اقاصي الهند والشام وآسية الصغرى .

وغلب التقليد على ان هناك قبر حزقيال النبي وقد قال القديس ايفانوس ان قتل حزقيال كان على يد رئيس امة اليهود اذ اعتناظ من النبي بما كان يندد به ثم دفن في المغارة التي دفن فيها سام وارخشاد من اجداد ابراهيم .

وكان العلماء والسياح في القرون الوسطى يشيرون الى قبره بين الفرات والخابور . قال بنيامين التطيلي الذي زاره في القرن الثاني عشر ما ترجمته : يقوم كنيس النبي حزقيال الراقد بسلام على عدوة الفرات . في صدر الكنيس ستون برجاً والغرفة التي بين كل برج وبنان من تلك البروج اتخذت كنيساً . ويستقر في فناء اوسع واحد منها الماوس وهو مدفن حزقيال بن موسى السكوهيني . هذا الار مسقف بقبة عظيمة وبنافذة جميل كل اجمال شاده يهوي اكم ملك اليهود واليهود ٢٥٠ يهودي الذين رافقوه لما اطلق سراحه ابل مرودخ . وموقعه بين نهر الخابور ونهر آخر . ويقرأ على الجدار اسم يهوي اكم واسماء الذين كانوا معه وفي رأسها اسم الملك وفي آخرها اسم حزقيال .

يعتبر هذا المكان مقدساً حتى اليوم ويتردد اليه الناس من اقاصي البلاد للصلاة والدعاء ولا سيما في رأس السنة وفي عيد المكفارة وتقام هناك الافراح في تلك الايام ويقصد المكان رأس الجالوت ورؤساء مدارس بغداد . وقد تبلغ الجماعة عدداً عظيماً

حتى ان سكنتهم الوقتي في ذلك المكان يمتد الى عشرين ميلاً في منبسط من الارض .
ويجذب الباعة العرب فيقيمون سوقاً هناك .

ويقرأ في يوم الكسفارة فصول من اسفار موسى الخمسة وذلك في كتاب خط
كبير كتبه حزقيال بيده .

ويوقد قنديل على قبر النبي ليلاً ونهاراً ولا يزال ذلك القنديل متقدماً منذ ان وقده
بيده اول مرة وتبدل القنائل والزيت كل ما دعت اليه الحاجة .

هناك دار تعود الى المعبد تضم بين احنائها مجموعة من الكتب كثيرة العدد
منها قديمة ترتقي الى عهد الهيكل الثاني ومنها تتمدى ذلك التاريخ وتتصل بزمن الهيكل
الاول وقد جرت العادة ان من يموت بلا عقب يوقف كتبه على المعبد ولا يجسر
احد من اليهود او من المسلمين ان يساب مرقد حزقيال او يدنسه حتى في ايام الحرب .

وقد ورد ذكر هذا المزار في معجم البلدان في مادة بر ملاحظة قال ياقوت : « موضع
في ارض بابل قرب حلة ديس بن مزيد شرقي قرية يقال لها القسوانات بها قبر باروخ
استاذ حزقيال وقبر يوسف الرمان وقبر يوشع وليس يوشع بن نون وقبر عزرة وليس
عزرة بنافل التوراة الكاتب والجميع يزوره اليهود وفيها ايضاً قبر حزقيال المعروف
بذي الكفيل يقصده اليهود من البلاد الشاسعة للزيارة .

وورد ذكره مرة ثانية في الكتاب عينه في مادة شوشة : قرية بارض بابل
اسفل من الحلة بها قبر القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وبالقرب منها قبر
ذي الكفيل وهو حزقيال في بر ملاحظة . وفي حوالي هذا الزمن زار الشاعر اليهودي

الشهير يهوذا الحريزي ونظم قصيدة في وصفه .

وجاء ذكر هذا المزار في رحلة بتاخيا ص ١٧٩ وقال ان اليهود يجتمعون فيه من
رأس السنة الى يوم الغفران (الكبور) . وتكلم عنه السائح بدرو تكسيرا وبما قال
انه بناء فخم وفيه برج شاهق وهناك رفات النبي المقدس حزقيال وبجذعه الجميع
كل الاحترام .

وفي سنة ١٧٦٦ زاره الرحالة نيسر واليك ما جاء في رحلته عن وصفه قال :
سافرت في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاول من مشهد علي وعلى اربعة
فراسخ ونصف الى الشمال زلت الكفيل ومثل تلك المسافة الى الشمال الشرقي
يصل المسافر الحلة . ولهذا فان المسافة بين المدينتين تسعة اميال او سبعة اميال المائية .
تتطف هنا بمض تنف مما جاء عن الكفيل « يأتي كل سنة الوف من اليهود
لزيارة القبر حتى اليوم وليس لمزار هذا النبي شيء من الكدوز او الفضة او الذهب
او الحجارة الكريمة . ولو شاء اليهود ان يهدوا مثل هذه الهدايا لما تركها اليهود
ولهذا يقنع القوم بزيارته . وفي معبد النبي القائم تحت برج لا يرى غير قبر محاط
بحجار . فان صاحب المكان او حارسه (او قيم المزار) بيت من العرب ولهم جامع
صغير لطيف وبه منارة . . يريح هذا البيت العربي شيئاً كثيراً من الزوار الذين
يقصدون المكان .

ان قبر حزقيال والجامع والقليل من مساكن العرب الحفيرة محاطة بسور مكين
يربو ارتفاعه على ثلاثين قدماً ويبلغ محيطه نحو ١٢٠٠ قدم . ويرغم ان سليمان احد

يهود الكوفة هو الذي قام بإنشائه في أول الامر . (وللزيادة راجع ص ١٦٤ و ١٦٥ من هذا الكتاب) .

ووصف هذا القبر لوفتس (Loftus) في سنة ١٨٥٣ هكذا : يقوم المزار من دارين معقودتي السقف . فسقف الدار الخارجية يستند الى اعمدة ضخمة اما المزار فهو صندوق كبير وقديم الايام طوله عشر اقدام وعرضه اربع اقدام ومزين بشيت انكليزي وببعض اعلام حراء وخضراء . وزين السقف بالمعقود ادراج ذهب وفضة وفلذ وقد بنى في احدى زواياه اسفار موسى الخمسة بالعبرية ويظن ان حزقيال النبي كتبها بيده . وهناك قنديل موقد ليلاً ونهاراً ويقال ان حزقيال بنفسه اوقد ذلك القنديل و بقي على تلك الحال منذ ذلك العهد ويغبرون الزيت والفنائل كلما دعت الحاجة اليه . ووصف هذا المزار بنيامين الثاني فقال ما ملخصه : ان في بلدة الكفل بناء حوله سور وفيه قبر النبي حزقيال مغشى بسجادتين وبقماش مشغول بالابرّة ومطرز ذي قيمة . ولم يكن القبر مسوراً بادئ بدء بل ان الملك يهوياكيم بنى السور بعد ذلك وساعده بضعة الوف من اليهود . وعمل فيه ابراجاً كأنه معقل . وكان يحيط باعلى برج منها راق اتخذ اساساً لبناء يشبه جامعاً . وفي داخله سلم ملتوي عال يصعد به الى قمة البرج . ومن هناك يشاهد الانسان بمينه برج بابل منتصباً كالجبار في البعد . وفي برج الكفل اختراع غريب يحمل السكان على الاعتقاد بان هناك اعجوبة خارقة للطبيعة . وهو ان رافدة من خشب او عمود يجتاز البرج من الجانب الواحد الى جانبه الآخر . وكلا رأسيه يتقد من طرفي الرواق . فان مر هذا العمود بشفق يشعر بحركة ارتجاج

في القسم الاعلى من البرج او على معتقد السكان ان الانسان يجب ان يقول آتئذ هذه الالفاظ بمقام رقية « بسم ملكا شالوم وأنأو » ومعناها بسم سليمان الملك وتاجه . فان غفل عن قولها تصيبه داهية دهما . وقد حاولت ان اقنع اخواني ان لا اعجوبة هناك على ما يتوهمون بل ان الاهتزاز ناشئ عن لولب مخفي في البناء او احدى القطع الميكانيكية ولكني لم اعكن من ازالة هذا الاعتقاد الخرافي عن افهامهم .

في هذا المكان قبر النبي حزقيال وعليه تقوم صخرة كبيرة وهي مطلية بالطلاش كسائر اقسام البناء (يريد القول انها مغشاة بالبورق) . وبجانبها كنيس كبير . وظاهر الكنيس مدعون بدهان جيل يشبه لونه قشرة السلحفاة . وفي داخله روى القسم الذي في قبلة اورشليم مجرداً وغير كامل علامة الحداد على الهيكل المقدس في مدينة الله .

ويرى في طرف من اطراف البناء صورتان كبيرتان الانسان الطبيعي صوراً في الزمان الغابر وتشبهتا على مر الاعوام . وعلى مرءيات اليهود ان هاتين الصورتين هما صورة النبي حزقيال ويهوياكيم الملك . الا انه يصعب على الناظر اليهما ان يميز من آثارهما الطامسة الغاية شبيهة بشر ولا يعرف لونهما ولا لباسهما . فحذار الباب مغطى في امكنة مختلفة بطائفة من الصور شبه الكتابات والنقوش المصرية (١) وهي تحلذ ذكر الذين شيدوا هذا البناء اي الشعب كله وملوكهم .

ويحفظ في الحرم المقدس من هذا الكنيس ادراج من الشريعة وبينها واحد كبره

(١) ان الكتابة التي يشير اليها المؤلف ما هي الا كتابة عربية

عظيم جداً لم اشاهد مثله قد كتب على نوع من الرق يسمى (كويل) وعلى معتقد
يهود العراق قد كتبه حزقيال نفسه .

وعلى رأبي (اي على رأي بنيامين الثاني) ان كتابة هذا السفر يرتقي الى عهد
عنان سنة ٤٤٩٠ للخلقة (١) .

يقرا في هذا السفر في يوم الغفران فقط (الكبور) . وقد حاولت ان افحص هذه
المخطوطة فلم يسمح لي بذلك لانه لم يكن آتذ يوم الكبور اليوم الذي يقرأ فيه
كما اسلفت .

وفي داخل الكنيس غرفة وهي الخزانة (اي الكنيزا) تحفظ كتب الخط
القديمة التي تأتي من امكنة مختلفة . وبجانب الكنيس مجمع الرابانيين (جشيدا) حيث
يلتئم دائماً نحو عشرين رباناً لقراءة كتب التقي ودرس التلموذ وكتب أخرى من
الشريعة . وهم اليهود الوحيدون الذين لهم منوى في الكفل . ويتبرع اخوانهم
يهود بغداد بحاجياتهم وبالوازم هذا المعهد بما يجودون به من الهدايا والهبات الكبيرة .
ومن امثال ذلك اني قبل ان احبط تلك الديار بضع سنوات مات المئري اليهودي
يعقوب سباح بدون خلف ذكر . واوقف تركته على اخوانه اليهود في زفات وكذلك
اوقف ١٥٠,٠٠٠ قران لمساعدة معهد الرابانيين (جشيدا) في الكفل .

يعتقد اليهود والعرب من سكان تلك البقعة بعفائيل بعض اعمال يقومون بها على
قبر النبي طلباً لشفاعته ولا سيما لشفاء المرضى المصابين بامراض عضالة .

(١) راجع عن عنان صفحة ١٠٤ من هذا الكتاب



مرفد كوهين برنغ في جانب الكرخ

يذهب هؤلاء الربانون كل جمعة بعد الظهر الى القبر لينشدوا ترانيم وانشيد تقوية
ويبدلوا ستار القبر . وفي كل سنة في صوم الاسابيع يقصد الكفل زوار اليهود من
بغداد والبصرة وبلاذقارس وامكنة اخرى ليحتفلوا بالعيد هناك . فتجري الحفلات
المختلفة في المزار . فيذهب الرجال الى الكنيس مساء قبل يوم العيد ويقرأون سفر
حزقيال . وقبل بزوغ النهار بساعة يزايدون على الحصول على ميزة تغيير ستور القبر
فمن يدفع اكبر ثمن ينل ذلك الامتياز ويقرأ بصوت عال فصلاً من سفر النبي
(هفتورا) . وتبدل ستور القبر بين الانشيد والترانيم .

ويروي الاهلون هناك الوفاً من الخوارق والمعجزات التي تحدث على قبر حزقيال
وهي تقريباً من الخرافات . وان عشائر البدو الرحل يأتون الى زيارة النبي حزقيال
ويقبلون قبره باحترام ويعتقدون به اعتقاداً صحيحاً وينفقون الربانيين بهدايا
ليظفروا باحسانات النبي بوساطتهم . (انتهى) .

وقد تنازع ملكية هذا المعبد غير طائفة من المراقبين الا انه انتهى الى اليهود
ويقال ان مناحيم افندي دانيال قد ساعد قومه في امر هذا المعبد .

٣ يوشع كوهين كادول

في جانب الكرخ من مدينة السلام مدفون رجل من أئمة اليهود وصلحاتهم
يقصدونه للزيارة والتبرك يسمى النبي يوشع او ربن يوشع او يوشع كوهين كادول (١) .

(١) كوهين كادول كلمتان عبريتان ومعناها الكاهن العظيم

وهو بقرب مدفن الشيخ معروف الكرخي المسلم (١) وبجوار قبر الست زبيدة (٢) في محلة عرفت في عهد العباسيين محلة باب البصرة (٣) وبجوارها محلة قطفتا (٤) ويظهر أن في هذه البقعة كان دير للنصارى يعرف بدير اليسع ومنهم من كان يسميه دير البقال ملاصق مقبرة معروف .

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل الفيروزان وقيل علي الكرخي من موالي علي بن موسى الرضا وكان أبواه نصرايين فاسماهما إلى مؤدب وهو صبي فهرب منه وذان بالاسلام ومات في صدر القرن الثالث للهجرة ببغداد وقبره مشهور بها يزار (راجع وفيات الاعيان لابن خلدان ج ٢ : ٥٥٣)

(٢) المأثور عند البغاددة أن في هذا القبر رفات زبيدة امرأة هرون الرشيد إلا أن بعض الباحثين ينكرون ذلك ويذهبون إلى أن رحية هذا الجرح امرأة بويهية أو سلجوقية اسمها الست زبيدة وأما مدفن زوج الرشيد فهو في مقابر قريش لصق باب الثين حيث مدفون موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهي الكاظمية اليوم وقد استندوا في هذا الرأي إلى ما جاء في حوادث سنة ٤٤٣ هجرية في تاريخ الكامل لابن الأثير . زارني الدكتور هرتسفيد في السنة الماضية إذ كان في بغداد وتفاوضنا طويلاً في هذا الموضوع فانه لا يرتئي هذا الرأي ويقول بأن نص ابن الأثير لا يدل دلالة صريحة على أن مدفن أم الامين كان في باب الثين ويرجح نقله بالبغاددة . اما من حيث طرق البناء فيذهب إلى أنه جدد بناء أحرافه على هذا النسق . (٣) راجع رحلة ابن بطوطة ١ : ١٣٥ من طيبة وادي النيل . (٤) مادة قطفتا في معجم البلدان

وهم من نسب هذا الصريح إلى النبي يوسف بن تون اخذاً بقول العامة . قال اليهود انفسهم لم يذهبوا هذا المذهب . وليس من ادلة تاريخية على منشأ هذا المزار والرافد في ثراه . ولهذا يصعب على المؤرخ ابداء آرائه فيه وكل ما يقال في هذا الشأن وجم في غيب . وغاية ما يقول الشعب اليهودي أو المتفقون منهم أن هناك مدفن أحد الصالحين أو أحد الرؤساء من الكهنة (الكومنينيين) ولم يعرفوا عنه شيئاً .

ومن الغريب أن أقدم ذكر وقعت عليه هذا المزار لسانح تركي وهو الرئيس سيد علي الذي زار المدفن في سنة ٩٦١ هجرية ١٥٥٤ م راجع كتابه مرآت الممالك ص ١٥ .

وجاء عنه عقيب ذلك في رحلة يدرو تكسيرا في أوائل القرن السابع عشر ما ترجمته قال رحالتنا : على مقربة من بغداد داخل بناء صغير نجد قبراً يحترمه العرب واليهود ويقولون أن هناك يستريح جثمان الكاهن العظيم اليهودي . وهو صندوق عظيم مشيد وفي رأس القبر صحيفة من الممنون مكتوب عليها بأحرف عبرية : يوسف كوهين كدول .

ويؤيد سكان الديار الحاضرة أنه كان رجلاً قديماً ويعظمونه للخوارق التي يجريها الله إلى يده . (١)

وزار هذا اقام الرحالة الدنيمركي زهر في أواخر القرن الثامن عشر . وقال عنه : لم يزل يهود ذلك يسمونه قديماً قديماً قديماً .

الذي يكثر اليهود من زيارته . (١)

وتكلم عن هذا المزار بنيامين الثاني وقال ما تعريبه : وعلى مسافة ساعة من بغداد بناء صغير تظله ثمانى نخلات جدارات ويقسم قسمين في أحدهما قبر الكاهن العظيم يهوشع المزين غاية الزينة الذي ذكره زكريا (٣ : ١) . ونحت النعش نجد مخطوطات كثيرة يقرأ منها بعض المقاطيع عند قبره . وفيها حكاية تاريخه الموجودة في كتابات زكريا (٢) ويأتي الضياء الى داخل القبر المعقود من نافذة ضيقة . ويذهب اليهود الى هناك كل شهر ليسمعوا قراءة كتابات الكاهن العظيم . وبعد ان تحم القراءة يشدون الكل الانشيد . ويجتمعون في مكان يبعد قليلاً عن القبر ويتغدون غذاء أخوياً (٣)

C. Niebuhr : Voyage en Arabie II : 246

(١)

(٢) يشير بنيامين الى يهوشع الكاهن العظيم الذي جاء عنه في نبوة زكريا ما يأتي : فانه يدلك الرب على يهوشع قائلاً . هكذا قال رب الجنود ان سلكت في طريقي وان حفظت شأوري فانت ايضا تدين بيتي وتحافظ ايضا على ديارى واعطيك ممالك بين هؤلاء الرافقين . فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم انت ورفقاؤك الجالسون امامك لانهم رجال آية لأنى هاءنذا آتى بعبدى الغصن الى الخ (زكريا ٣ : ٨-٦) . ليس من دليل على ان يهوشع الكاهن العظيم المذكور في كتاب زكريا مدفون هنا .

J. J. Benjamin II : Eight Years in Asia and

(٣)

Africa. 152 - 153

قد مر بنا ص ١٧٩ من هذا الكتاب النزاع الذي قام سنة ١٨٨٩ بين المسلمين واليهود على هذا المزار . وقد ذكرت هذا الحادث نشرة الاتحاد الاسرائيلي العمومي التي تصدر في باريس واسهبت في حكايته فرأينا الاجدر بنا ان نشير اليها دون ان نقبس منها شيئاً .

وغاية ما نقول ان الحكومة التركية اهتمت بامر هذا النزاع من اجل ملكية هذا المزار وبالاخير ارجعته الى اليهود . وليس في هذا المزار من الآثار ما يقف عندها الباحث . ويظهر ان اهميته تتضاءل عند اليهود انفسهم ونقل الزيارة اليه سنة بعد سنة . ترى صورته في الصفحة القابلة .

الشيخ اسحق الغاويري

او

اقدم كنيس لليهود في رصافة بغداد

في إحدى محلات الرصافة من مدينة بغداد الحالية شاهد كنيساً لليهود فيه مدفن احاديثهم اسمه الشيخ اسحق الغاويري . واسم الحلة المذكورة « حلة الشيخ اسحق » . و للكنيس باب آخر حديث البناء يفضي الى شارع سوق خنون . وهو وحلة الشيخ اسحق « من حارات اليهود » .

يرقي اصحاب هذا المدفن تاريخه الى القرن السابع الميلادي ويقولون ان رعين ذلك الجوث كان صيرفياً عند الامام علي بن ابي طالب .

واذ كنا نكتب تاريخ القوم ونبحث عن اسماهم على مر القرون وتوالي
الاجيال دفعتنا الرغبة وحدانا الشوق الى زيارة هذا المعبد القديم على رأي بعضهم
قررناه في اليوم العاشر من شهر شباط من سنة ١٩٢٠ . وكانت معنا دليل
من موارفنا اليهود . وقد لنا الكنيس من الباب الواقع في شارع الشيخ اسحق
وبعد ان تقدمنا بعض خطوات في الحجاز رأينا على يسارنا قبة فيها ضريح الربان
وتجاءنا باباً يقضي الى المصلى المنسوب اليه . فجاها قم المكان وفتح باب غرفة الضريح
فدخلنا وكنا عيون تتفقد لعلنا نهدى الى امر تاريخي يؤيد مدعى القوم ويثبت
صحة رأيهم في ذا الرائد الصالح . فلم تتحقق آمينتنا والظهور السالبة لذلك على كل
ما شاهدناه في ذلك المكان .

ان البناء كانه حديث عهد لا يتجاوز عمره عشرين سنة او ما يقارب . وقيل لي
ان الشعب جددته بعد خرابه . ان الفريقة مربعة الشكل . سقفها معقود بالآجر
وارضها مبطنة بالفلانتي الابيض والازرق وفي وسطها مصطبة من الخشب عالية
عن الارض على شكل القبور العراقية . ومسجاة بقماش لطيف مذهب يزيد المكان
وقاراً وتحت تلك المصطبة يرقو الربان اسحق وفوق الضريح قد يل يوقد ليلاً ونهاراً
حسب عادة الشعوب السامية القديمة في هيبا كلهم ومعايدهم وقيور انهم . هذا كل
ما يجده الباحث داخل غرفة الضريح .

ولما خرجنا من الغرفة رأيت فوق بابها حجراً من الرخام محفوراً عليه بالخط
العبري ما مائة :

« تاريخ الرائد الصالح الربان اسحق الفاو في المتوفى سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس »

تركنا المزار ودخلنا المصلى فرأينا فحماً محم البناء ، جديد الوضع وطرز بنائه
يحاكي بناء سائر الكنائس اليهودية في بغداد . في وسطه منصة عالية يرقاها الربان
اذا قرأ الاسفار او وعظ في شعبه وصلى في جماعته . ويجلس المصلون والسامعون
في امكنة معدة لهم في جانبي الكنيس . وهناك الواح معقودة مكتوب عليها بالعبرية
آيات من التوراة . وقناديل تشتعل ليلاً ونهاراً مادها السايط (وهو دهن السمسم
او السيرج كما يسميه العراقيون) .

ويشاهد هناك بئر ماء مثل الآبار الموجودة في بيوت بغداد ينسب اليها القوم
معجزات وقد روي لنا غير واحد من ملازمي المعبد شيئاً منها . وقد اضحى هذا
الكنيس ملجأ للعميان واصحاب الماهات يختلفون اليه لدرس الشريعة والتفقه في
دروس الدين وتفسيرها .

وبعد ان طافنا بذلك المصلى توجهنا الى الباب الذي يقضي بنا الى سوق حنون
وعند الحجاز رأينا رجلاً في شرح الشباب ، غض الاهاب قد جلس على تحت وامامه
علبة عليها بعض الكتب وحياله امرأة مبرقة تستشده الغيب فعرفنا ان الرجل
من دعاة التنجيم فسالنا دليلاً الخبير عنه فوافق جوابه فكربنا (١)

(١) ذكرنا هذا الامر بما جاء في كتاب « نينوى وبابل » تأليف الباحثة
السرا ارستن هنري لايرد المطبوع بالانكليزية في لندن سنة ١٨٩٢ ص ٢٩١
و ٢٩٢ . في معرض كلامه عن افداح الطين المشوية المكتوبة كتابة سحرية التي
اكتشفها في اطلال بابل ورجح نسبتها الى يهود بابل وما قال : ان الكلدان اشبهوا
سابقاً بالعرافة والتنجيم والسحر وما لا ريب فيه ان اليهود لم يأخذوا بالقيام بهذه

هكذا انتهى تطوافنا ذلك اليوم ولكن لم نزل ذكره في فكرنا باحثين عن تاريخ ذلك المزار لتقف على حقيقة أمره والحقيقة غابتنا المنشودة . وفي اليوم الثاني ذرنا أحد علماء الحاضرة الاعلام من له الملم وكل الملم في تاريخ العراق ومما حده والتجسنا منه ان يطالعنا على تاريخ كنيس الشيخ اسحق الراقده هناك .

فاجابنا حضرة بما فطر عليه من كرم الطباع وسمة العلم بما يأتي : لم اقف كل الوقوف على تاريخ هذا المعبر ولكن جل ما اعرفه ان موقعه في محلة كانت تعرف سابقاً بباب ابرزاو بيرز (بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء الخ) وقد جاء ذكرها في معجم البلدان في مادة بيرز وكانت على زمان مؤلفه ياقوت مقبرة وقال انها بين عمارات البلد وانبية من جهة محلة الظفيرة والمقدرية بها قبور جماعة من الأئمة . . . منهم ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزامدي الفقيه الامام . ثم زاد حضرة العلامة وقال ربما كان الرجل المدفون في معبد اليهود هو ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزامدي (١) قلنا . هذا الرأي الاخير افترض بحث لا يمكن

الاعمال فقط بل اسم تملوها منهم الى وطنهم . ولهذا نرى اليهود الذين جلاهم طيطس ووسيطالس الى رومة بعد خراب اورشليم كانوا يعرفون التنجيم . واستطلاع البخت والسحر . وقد روى لنا ذلك يوفال الكاتب الروماني المهجاء .

(١) هو الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزامدي الملقب جمال الدين ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة (١٠٠٣ م) بفيروزاماد وتوفي في سنة ست وسبعين واربعماية (١٠٨٣) ببغداد . وكان عالماً جليلاً وشاعراً حسناً وتولى عهداً المدرسة النظامية في بغداد .

قبوله لما يعترضه من المشاكل التاريخية والدينية والاجتماعية .

لنرجع من الآن الى مدعيات اليهود في هذا المحل ، ونعخص تقليدهم في تاريخ الراقده في ذلك الحدث . وهي تنحصر في ثلاث قضايا :

١ : انه الشيخ اسحق الفاووني .

٢ : تاريخه سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس او اواخر القرن السابع للميلاد .

٣ : كان في حياته صيرفي الامام علي بن ابي طالب .

قلنا : ١ . اذا كان الشيخ اسحق المدفون هناك من الفاوونيم حقاً فيجوز ترقية تاريخه الى القرن الحادي عشر للميلاد او ابعد من ذلك . ولا يخفى ان الفاوونيم من اليهود تصدوا للدرس التوراة والتوسع في شرحها وكانوا في اول امرهم رؤساء مدرستي يومباديتا (جبة) وسلدرا (سورا) ويقوا في عهد العباسيين وقد قال عنهم مندلسون في كتابه يهود آسية باللغة الانكليزية ص ٢٢٢ ما يأتي :

ان النزاع بين رؤساء الجالوت والفاوونيم اضر كل الضرر بالطائفة جميعها وبلغ اشده في القرن التاسع والعاشر للميلاد . وكان آخر الفاوونيم في منتصف القرن الحادي عشر رجل اسمه حي . راجع ص ٩٧ من كتابنا هذا .

٢ . اما لقب الشيخ المتصدر به اسم اسحق الفاووني فانه يدلنا على ان الرجل من الذين عاشوا في عهد العباسيين . لان الصيارفة والكتاب من اهل الامة كانوا يصدرون القابهم بالشيخ (١) . اه . فربما كان صاحبنا من الصيارفة الذين عاشوا في اخريات ايام العباسيين والافان التاريخ المنقوش على نافذة خريجه وهو سنة ٦٢٠

(١) راجع ص ١٣٢ من هذا الكتاب

تغراب بيت المقدس لا يحتمل ان يكون حقيقياً كما ان صاحبنا لا يحتمل ان يكون
صديقاً للإمام علي بن ابي طالب للاسباب الآتية :

اسس التصور بغداد في نحو منتصف القرن الثاني للهجرة اي في اول النصف
الاخير من القرن الثامن للميلاد . وليس اليوم من اثر واحد في بغداد لليهود
والنصارى والمسلمين يسبق عهد تأسيسها . الا ما ينسبه اليهود من القدم الى هذا
اليهود . وهذا امر فيه نظر . وان المؤرخين القدماء والكتبة المتأخرين
والرحالة الغربيين الذين زاروا هذه الاقطار لم يذكروا شيئاً عن هذا المزار .
س . ان التاريخ الذي يذكره اليهود لحياة هذا العالم يوافق زمن الامام علي بن
ابي طالب الا ان التاريخ لا يذكر صديقاً يهودياً كان في خدمة الامام .

وقصارى القول ان الشيخ اسحق الغاووني اذا كان حقاً من الغاوونيم فانه لا
يرتقي اكثر من القرن العاشر للمسيح . والا فاذا صح ما قلناه لي احد افاضل اليهود
المدققين ان هذا الكنيس لا يرتقي الى اكثر من قرن او قرن وربع قرن .
فيكون الشيخ اسحق حديث عهد .

كل ما ارتأيناه في هذا الفصل مؤسس على افراضات تاريخية ونحن نرغب الى
الذين عندهم من البيانات التاريخية ما يعيط اللثام عن حقيقة هذا الكنيس القديم
ان يزودونا بها او ينشروها فنحن نشكر له فضلهم باسم الحقيقة التي هي ضالتنا
المنشودة .

ولم يأت السائح الذين زاروا هذا القطر بوصف هذا المزار الا واحد من المتأخرين
وهو بنيامين الثاني فقد قال فيه انه بناء واسع قائم على ستة عشر عموداً وتقرأ

هناك (المجلة) كتاب استير في يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار
ولا شيء في داخل البناء يستحق الذكر . والسقف مزين بنقوش محفورة .
ويسمى هذا الكنيس « كنيس الشيخ اسحق الغاووني » . وفي إحدى غرفه
قبر هذا العالم علوه بعلو انسان وفوقه اعلام مربعة الالوان ويقرأ عند القبر عشرة
ربانيين ويتلون الصلوات (١)

٥ : مزار ناحوم الالقوشي

تصفح الكتاب المقدس ترين الانبياء الذين تنبأوا عن يئسوى وذوال مجدها
رجل اسمه ناحوم الالقوشي . اودع نبوءة الممثلة سخطاً وغضباً في ثلاثة فصول
وقد اوردنا في ص ٢١ من هذا الكتاب بعض الايات من نبوءة فلتراجع .

والا الذي يهمنا في هذا الفصل وطن ناحوم ومقره . فهل كان النبي من
القوش آثور او من القوش فلسطين . وفي اي قطر من القطرين دفن ؟ وبعد ان
نورد اقوال العلماء والمؤرخين في هذا الباب نصف قبره في القوش آثور حيث نجده
تقاليد يهود العراق ومسيحيوها ومسلموها .

بذهب القديس ابروئيمس ان القوش وطن ناحوم كانت قرية في الجليل وبشاهد
قبره في قرية بيت جبرا Bethogabra قرب عمواس . ولكني اقول مع
الآري ان نبوة ناحوم ظهرت في زمن جلاء الاسباط العشرة وكما عن يئسوى ولهذا

فالتقليد الذي يجعل مدفنه في القرية الأشورية لا يخلو من أهمية (١) هذا من حيث التقليد السائد اليوم بين العراقيين غير أننا لم نقف على نص قديم في الكتب التاريخية القديمة من شرقية وغربية تدعم ما هو مأثور في هذا القطر عن مدفن الرجل في القرية الأشورية وأزيد على ذلك وأقول إن جنرافي العرب لم يذكروا القوش في مؤلفاتهم فيظهر أنها كانت خاملة الذكر في القرون الوسطى . ومن الغريب أن بنيامين التطيلي يذكر كنيس ناحوم في الموصل وبعد قليل يقول إن قبره يبعد مسافة ست ساعات عن قبر حزقيال في موضع عين شفتا .

أما بتأخينا فيقول إن قبر ناحوم الألقوشي يبعد عن قبر باروخ بن نيري أربعة فراسخ وقبر باروخ بن نيري لا يبعد عن قبر حزقيال إلا ميلاً واحداً . فيكون على وصف هذا السائح في سهول بابل .

وتكلم ليبر في القرن الثامن عشر عن زيارة اليهود لقبر ناحوم في القوش اشورقلنا روايته في ص ١٦٤ من هذا الكتاب فلتراجع وفي أواسط القرن الماضي وصف الكشيس والقبر وزيارة اليهود اليهما كل من لايرد وبنيامين الثاني .

قال لايرد : أن في القوش بموجب تقليد عام . قبر ناحوم الألقوشي كما يلقب في فاتحة نبوته . ويحترم هذا المكان المسلمون والمسيحيون ولا سيما اليهود الذين يحافظون على البناء ويأتون إلى زيارته ذراقات في بعض مواسم السنة . فالقبر هو مصطبة بسيطة من جص أو باووس مغطى بقماش أخضر . . وعلى جدران الغرفة موضوعة قصاصات ورق مكتوب عليها بالعبرية مواعظ دينية وتواريخ زيارات الاسر اليهودية المختلفة .

أن دار القبر بناء بسيط وليس هناك كتابة أو قطعة من العاديات عن المكان ولا أعلم إلى متى يرتقي التقليد عن ناحوم في قرية القوش وهل كان مصدره مسيحياً أو يهودياً . وعقد بنيامين الثاني فصلاً عن القوش ومزار ناحوم استغرق ثيفاً وخمس صفحات في رحلته . وبما ناخذه عليه أنه قال أن سكان هذه القرية ارمن والحال أنهم كلدان باجمعهم .

وفي العراق غير هذا الامكنة يمدحها اليهود قديمة العهد وينسبونها إلى انبياء اسرائيل الا أننا ضربنا صفحاً عن ذكرها . أما قبر النبي يونس أو يونان ومعبد المقدس فهو قائم على اطلال تينوى فهو جامع للمسلمين ويعتبر التقليد أن فيه دفن النبي المذكور . وليس من الأدلة التاريخية ما يؤيد هذا التقليد .



زيادات وايضايات

—>>>0<<<—

- ص ١٤ سطر ١٤ وعلى ذكر اراشتوا قول ابن الدالم الاثري الاستاذ كلي قال لي لما كان في بغداد في اكتوبر سنة ١٩٢٣ وجدت فيها صفائح مكتوبة عليها اسماء يهودية كثيرة
- ص ٨٥ سطر ٣ وقصاري القول ان التلموذ البابلي ذكر ما ينيف على مائتي مدينة بابلية كانت تسكنها اسر يهودية بعد حكم الفرس (نقلاً عن كتاب لايرد الانكليزي المعنون « نينوى وبقاياها »)
- ص ٩٢ سطر ٢ جاءت العبارة الآتية « الرب الشهير المعروف بربان عريقا » وصحيفة بربان « اربخا » ومعناه الطويل لقب هذا اللقب نظراً الى طول قامته وكانت وقته سنة ٢٤٣ وهو اول من سمي عموراني راجع ص ٩٦ من كتابنا هذا . ورأى السائح بتاخيا قبره في سياحته الى بابل في القرن الثاني عشر للميلاد
- ص ٩٩ سطر ١٠ جاء في هذا المكان من الكتاب ان الدين اليهودي انتشر في مصر وذلك استناداً على نص نقلته من المستطرف للأشبهى . الا ان الالب استاس الكرملي عند وقوفه على هذه الرواية شك في صحتها . فاخذ يبحث عن الحقيقة وبعد ايام كتب الي ما يأتي :
- « ما فتئت ابحت عن صحة قول المستطرف في ان اليهودية كانت في مصر

ص سطر

- حتى ظفرت بالضالة والحقيقة انها كانت في حبر وكلام الاشبهى مأخوذ بحرفه عن ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٢١٧ من طبعة الافرنج . ولم يكن في مصر يهودي واحد قط »
- ص ١١٠ سطر ١٦ وماسرجونه مططب البصرة وكان يهودي المذهب سريانياً وهو الذي بعينه ابو بكر محمد بن ذكريا الرازي في كتابه الحاوي بقوله : قال « اليهودي » وكان في ايام بني أمية وانه تولى في الدولة المروانية نقل كتاب اهرودن القيس بن اعين من السرياني الى العربي ومن تأليفه كتاب كتاب في الغذاء وكتاب في العيون وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها (عيون الانبياء ١ : ١٦٣ - ١٦٤ الففطي ٢١٣)
- ص ١١١ سطر ٣ وكان سند بن علي المذكور قد بنى كنيسة لليهود لما كان على دينهم في ظهر باب الشامية (الففطي ص ١٤١) ومجلة الشامية من محلات بغداد القديمة وموقعها في اعلى من علة ابي حنيفة وهي في المكان المعروف اليوم « بالصايخ »
- ص ١١٦ سطر ٩ ان اسم الكتاب في العربية كتاب الدين والدولة وقد طبع النص الاصل في القس الفونس منكتا وارجح الروايات في دين ابي الحسن علي بن ربن الطبري انه يهودي الاصل ثم تنصم . فلي
- ص ١٢٩ سطر ٤ ابو البركات هبة الله علي بن ماسكا او ماسكان

١٣٢ ٩ قال بتاخيا في رحلته ان لا حزان عند يهود بابل وآتور

١٣٢ ١٢ كانت المراتب الدينية عند يهود بابل على هذا المنهج :

١ : راس الجالوت ٢ : راس الجامعة (مثبتا) ٣ : راس الطبقة

(كلة) ٤ : راس الجماعة (سدره) ٥ : راس الفصل ٦ (برقا)

راس الكنيس

١٣٦ ٤ ومن الشواهد على متاجرة يهود العراق بالخمر ما قاله حنين بن بلوع

الحيري وكان نصرانياً يصف الخبرة ومزله فيها :

أنا حنين ومزلي النجف وما ندعي الا الفتى القصف

أقرع بالكاس نمر باطية مترعة تارة واغترف

من قهوة باكر التجار بها بيت يهود قرارها الخرف

والعيش غص ومزلي خصب لم تغلني شقوة ولا عنف

(الاغاني ٢ : ١١٦ - ١١٧)

١٣٧ ٦ لما اوردنا بعض مرويات الربان بتاخيا في كتابنا نقلناها عن المجلة

الآسوية والانسكلوبدية البريطانية كما اشرنا الى هذين المأخذين

في الحاشية واذ وقعت بيدنا الآن رحلته المطبوعة في المطبعة الملكية

في باريس سنة ١٨٣١ بالنص العبري والترجمة الفرنسية وددنا ان

توسع في الاخذ من هذه الرحلة عن يهود العراق قال :

٥ في الموصل ٦٠٠٠ يهودي ولهم ربانيان وهما الربان داود والربان

سموئيل . والضرائب التي يدفعها اليهود يعود نصفها الى السلطان

ونصفها الى رؤسائهم . واليهود كروم . ولرؤساء اليهود حبس يسجنون

فيه المجرمين (١) . واذا حدث خلاف بين مسلم ويهودي يحق لرؤساء

اليهود ان يعاقبوا من كان مجرمًا . وكان في الموصل منجم يهودي

اسمه الربان سليمان . ومما ذكره : ان مات يهودي غريب في الموصل

اخذت الحكومة نصف تركته وبما انحد من الموصل في دجلة شاهد

من ابناء دينه في كل بلد وقريبة مرعيا . واطراً نفقه يهود آتور

وبابل وبلاد ماذي وفارس وعلمهم يكتب الدين . ويقال ان لرئيس

الجامعة الف تلميذ يدرسون عليه ويحضر امامه كل مرة خمسمائة

تلميذ منهم . وله نحو من ستين خادماً وفراشاً يضربون المذنبين

عصياً وثيابهم ارجوانية ومزركشة ولما يهي التلاميذ دروسهم بطارحهم

اكبرهم عمراً اسئلة عن علم الفلك وعن علوم أخرى . ومن اقواله

التي لا توافق الحقائق التاريخية ان اليهود لا يدفعون ضريبة المخلصة

بل يدفع كل منهم ذهباً الى راس الجالوت .

(١) لم يكن هذا الحق لرؤساء اليهود في بغداد في عهد العباسيين راجع ص ١٣١

من كتابنا هذا .

لا يصح كلام بتأخيا الا اذا قرئنا ان رأس الجبال كان يجمع ذلك
الجزية ونحاسبه الحكومة عليها لانه ممثل الجماعة كما كان يجمع الأتراك
ضريبة العسكرية بواسطة الرؤساء الروحانيين من الجماعات .

وزار بتاخيا مدينة نهر دعة وقال انها تسير الى الانديمار . وهي خراب
ليس بها عامر الا محلة واحدة يسكنها اليهود . وخطط الحلة ورأى فيها
قبر رأى مشير المذكور في المشنا .

١٦٤ ٤ وكذلك السائح اوتر N. Otter الذي نزل العراق في سنة ١٧٤٣ لم يتصل بالبحث عن اليهود الا استطراداً فانه قال : ان احمد باشا والي بغداد كان يأخذ غرامة باذنة من الشعب لانه كان سخيّاً مسرفاً . ولما اتهم موشي رئيس الصيارفة (صراف باشي) بتهمة اضطر اليهود الى ان يعطوا الى الوالي ٢٠٠ كيس لينقذوا موشي من القتل . وقد اضطر المذكور الى ان يتنازل عن طلب له على الوالي ٢٠٠ كيس ويمزق الوثائق المؤيدة لكي يعود الى منصبه . ولاقى السائح في ٢٩ ايار سنة ١٧٤٣ موشي في الحلة وكان هناك منذ شهر يدّاع المؤمن لبغداد بأمر من احمد باشا

١٦٥ ٥ ويرى أن اجداد بيت الحيدري كانوا يأخذون الحزبة في هذه المطاوي
من اليهود والنصارى والصابئة في البصرة (نقلاً عن كتاب عنوان

المجد في احوال بغداد والبصرة ومجد للسيد ابراهيم فصيح الحيدري
(وهو كتاب خط)

١٦٥ ١٠ جاء في الرسالة الفارسية : لما دخل اليرانيون البصرة سبوا وحبسوا
أناساً كثيرين ونفوا منهم وغرموا آخرين . ومن الذين نفوا الى
شيراز الناسي يعقوب هرون وأولاده ولما رجع من المنفى عين
صرافاً للخزينة في عهد سلطان باشا ومن الموقوفات التي آتى بها الخيش
الفارسي في البصرة أنه سبي نساء اليهود فاضطرت كثيرات منهن حباً
بمفاهن الى احراق نفوسهن لئلا يقعن في شرك الفاحش

١٩٢ ٤ ان الربان بشاخيا الذي زار العراق حوالي سنة ١١٨٠ يذكر هذه الرؤيا
مع بعض اختلاف ويقول حدثت هذه الرؤيا سابقاً وبذكر ايضاً
الامر التي تظهر على القبر

١٩٨ ١٠ غالى الربان بتاخيا في وصف بناء مزار حزقيال حتى افضى به غلوه
الى القول : من لم ير قصر حزقيال العظيم فانه لم ير اثارا جديلا
في حياته . ووصف القبر وقال انه من خشب الارز المنحصب لم تشهد
العين مثله ويسهر مائتا شرطى على حفظ الكنوز التي هدى الى القبر .

تصحيح خطأ

—>>>0<<<—

ص	س	خطأ	صواب
٤	٦	عرفا	عرف
٤	٧	كيلومتر	كيلومترات
٥	١٢	E'Orient	L'Orient
١٧	١٨	Encyclopaedi	Encyclopaedia
٢٢	١٩	Encyclopédie Biblique	Dictionnaire de la Bible
٢٨	١٤	برج	بدج (Budge)
٢٩	١	تاريخ خرابه	تاريخ خرابه (١)
٢٩	٧	ارز لبنان (١)	ارز لبنان
٢٩	٨	٣٢٣ - ٣٢١ ق م	٣٣١ - ٣٢٣ ق م
٢٩	١٦	By Nile and Tigris page 269	By Nile and Tigris I:264
٣٠	٣	ولنة	ولغة
٣٢	١٢	واراد الكتاب	وما اراد الكتاب
٣٥	١	وكوى	وكوى
٤١	٣	وقلة آمالمهم	وقبلة آمالمهم
٥٢	١٤	انباء	انباء

ص	س	خطأ	صواب
٧٠	٦	ويرسلون بها بني	ويرسلون بها الى بني
٧٣	٨	جاملوا في اليونان	جاملوا اليونان
٨١	١٨	Gsidore	Isidore
٨٣	١٢	وقالى	وقال
١١٤	١٨ و ٨	(٢)	(٣)
١٢٦	١٣	وفي ذلك	وبعد ذلك
١٢٧	١٢	وافتداهم	افتداهم
١٢٨	١١	وكثيراً	وكثيراً
١٣٢	٦	وقد عوف العرب	وقد عرف العرب
١٣٦	١٠ و ٨	غمي وبغمي	غمي وبغمي
١٣٧	٥	رئيس الجالوت	رئيس الجامعة
١٣٩	٩	ي . ع . س	ي . ن . س
١٤٤	١٥	مقالتنا	مقالتنا
١٤٥	٦	والحكة	والحكمة
١٦٠	٩	بالفاظظة	بالفاظظة
١٦٣	١٧	Sieu r	Sieur
١٦٣	١٨	Z	Gouz

صواب	خطأ	ص س
١١٨٩ - ١١٩٠	١١٨١ - ١١٩٠	٨ ١٦٥
Clément	C. lément	١٠ ١٧٠
ما جلس السلطان	ما جلس أن السلطان	٩ ١٧٦
يهودع	يهوشوع	٧ ١٧٩
خدمات جلي	خدمات جلي	١٠ ١٨٠
بنيامين الثاني ص ١٧٣	بنيامين الثاني ص ٠٠٠	٧ ١٨٢
١٢١٧	١٣١٧	١٠ ١٩١
والذي	والا الذي	١٠ ٢١٣
الآثري لا يرد أن	الآثري أن	١٦ ٢١٣
الآبشهي	الآبشهي	١٤ ٢١٦

هذا ما اردنا تصحيحه ولعل هناك خطأ فائنا فنسأل القراء الكرام العذرة .